

الى ابني هاشم واسرته
لهذه طيلة

إهداء من

محمد عبد الحميد عيسى
رئيس قسم التاريخ
بجامعة عين شمس

دكتور
محمد عبد الحميد عيسى صقر

مدرس التاريخ الاسلامي
كلية التربية - جامعة عين شمس

مكتبة

أ.د. محمد عبد الحميد عيسى

الفتح الإسلامي للأندلس

منذ نزول الطبع والنشر

مكتبة سعيد رافت

جامعة عين شمس

١٩٨٥

100

1000

10000

100000

1000000

10000000

100000000

1000000000

10000000000

100000000000

1000000000000

10000000000000

الاستفتاح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ
الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾

سُورَةُ الْعَلَقِ: ٩٦

الإهداء

الى

أرواح الشهداء في شهر رمضان :

شهداء يوم بدر

شهداء فتح الاندلس

شهداء العاشر من رمضان



وَأَمَّا الْفُلُ فَإِنَّمَا هِيَ كَأَصْبُلٍ عَلَى الْخَالِ

وَأَمَّا الْفُلُ فَإِنَّمَا هِيَ كَأَصْبُلٍ عَلَى الْخَالِ

وَأَمَّا الْفُلُ فَإِنَّمَا هِيَ كَأَصْبُلٍ عَلَى الْخَالِ

وَأَمَّا الْفُلُ فَإِنَّمَا هِيَ كَأَصْبُلٍ عَلَى الْخَالِ

اعتذار

قال القاضي عبد الرحمن البيهقي في اعتذاره للعماد
الاصفهانى عن كلام استدركه عليه .

انى رأيت أنه لا يكتب أحد كتابا في يومه الا قال في
غده : لو غير هذا لكان أحسن ، ولو زيد هذا لكان يستحسن ،
ولو قدم هذا لكان أفضل ، ولو ترك هذا لكان أجمل ،
وهذا من أعظم العبر ، وهو استيلاء النقص على جملة البشر (١) .

ويقول حافظ عصره وأديب زمانه الشيخ أحمد بن محمد
المقرئ .

لكز قدرة مثلى غير خافية
والنمل يعذر في القدر الذى حملا (٢)

(١) جلال مظهر : حضارة الاسلام صفحة ٢٢ مطبعة الخانجي
بالقاهرة ١٩٧٤ م .

(٢) المقرئ : نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب ج ١ صفحة ١٥ .

مقدمة

ترددت كثيرا حين شرعت في تسجيل هذه الصفحات ، ومصدر ترددي هو الرهبة من التصدي للكتابة في مثل هذا المجال الوعر ، وخاصة أن جلة من الاساتذة الكرام قد تصدوا لقضية الفتح الاسلامي للاندلس وسلطوا الاضواء على جوانبها المختلفة ، وناقشوا الكثير من قضاياها الغامضة ، وغلب على ترددي ، أن قضية الفتح الاسلامي للاندلس ، احدى العلامات البارزة في تاريخ أمتنا الاسلامية ، ومن هنا تستحق باستمرار أن تكون موضع الاهتمام ، ومحل الدراسة من قبل جميع المختصين والدارسين في هذا المجال . وقناعتي الشخصية بأن دراسة الجوانب المختلفة لتاريخ المسلمين في الاندلس على وجه التحديد ، تعد مصباحا مشعا يلقي بضوءه ليضيء فترة رائعة من فترات تاريخ أمتنا الاسلامية الحافل بكل ألوان الجد والعظمة ، والمتضمن عطاء باذخا للانسانية في كل مجال من مجالات الحياة .

والاندلس ، وتاريخ المسلمين في الاندلس دون كل بقاع العالم الاسلامي الاخرى ، درس التاريخ الذي لم يستوعب ، بل درس التاريخ الذي قد يتكرر ، والذي يهتف بنا : بأن التاريخ يمكن أن يعيد نفسه ما لم يتعلم الانسان ، ويستفيد من التجربة الماضية ، وسأبين معنى حديثي هذا بصورة أوضح لعل كلماتي تحرك ساكنا ، أو لعلها تذكر أحدا ، والذكرى تنفع المؤمنين كما قال الله سبحانه وتعالى .

ان ما يتعرض له العالم الاسلامي اليوم من هجمات شرسة يتعاون فيها الشرق والغرب على السواء ، انما هو صورة مكررة لما تعرضت له بلاد الاندلس من قبل ، وسوف نتعرض نحن حاليا لنفسى مصير أهل الاندلس ما لم نستوعب درسى التاريخ الاسلامي هناك ، نقرأ عن فترات أمجادهم وندرسها ونتعلم منهم أسباب رقيهم وقوتهم ، ونقرأ أيضا أيضا عن فترات ضعفهم وندرسها ونتعلم منها أسباب الضعف وعوامل التفكك حتى نتفادها حاليا في صراعنا من أجل البقاء ،

والا فلن يكون مصر المسجد الاقصى في القدس الشريف بأفضل من مصر
المسجد الجامع في قرطبة الغراء .

مرت بلاد الاندلس في تاريخها بفترات مجد لا يضاهي ، أعطت فيها
للعالم درسا بينا في الاخلاص ، والتضامن والوحدة تحت راية الاسلام
وخاضت بهذه الروح معارك شرسة وحروبا مميقة خرجت منها مرفوعة
الرأس مكللة الجبين ، ثم أصاب المسلمين فيها عدوى التفريق والتحزب
والتنافس ، وبعدوا عن روح الاسلام وطبيعته ، ودعوته للمسلمين بالاعتصام
بحبل الله جميعا ولا يتفرقوا ، واصبح بأسهم فيما بينهم أشد
وأذى من بأسهم على عدوهم ، والعدو جزل فرح يضرب المسلمين
بعضهم ببعض ، ويستخلص منهم أرضهم وبلادهم قليلا قليلا الى أن
قضى عليهم واحدا بعد الآخر .

شهد القرن الثاني الهجري تفككا بين الفاتحين المسلمين وصراعا
قبليا ، فعادت الشراذم المسيحية النصرانية الى تأسيس قواعدها
وتنظيم نفسها ، وشهد القرن الثالث الهجري في نصفه الاخير تفكك
المسلمين وانقسامهم فقويت هذه الجماعات ، وأسست دويلات بدأت في
الاتساع والزحف على بلاد المسلمين تستوطنها من جديد وتقيم عليها
ممالك مسيحية لا يهدأ لها بال الا بالقضاء على المسلمين .

وتوحد المسلمون في القرن الرابع الهجري ، تحت راية الخلافة
الاسلامية ، فسموا بأنفسهم وبلادهم الى ذروة التاريخ مجدا وحضارة
وآذاقوا الممالك المسيحية الشمالية مرارة الهزيمة والخضوع حتى أصبح
خليفة الاندلس هو الحاكم الذي يفصل بين أمراء هذه الممالك ويتدخل
في شئونها الداخلية .

عادت الاندلس الى التشتت والضعف في القرن الخامس الهجري
وتقسمت الدولة الواحدة الى دويلات وطوائف ، وتصارع الحكام
والاندلسيون فيما بينهم ، ونسوا أوامر دينهم ، وتفرقت أهواؤهم ،
وعادوا شيعا يضرب بعضهم بعضا ، والعدو على أبوابهم ، ويجثم على
صدورهم يحرك بينهم العداوة والبغضاء ، وينتظر أن يفتنى المسلمون

بعضهم بعضا أو أن تسقط بلادهم في يده كالثمرة الناضجة ، وفعلا سقطت مدينة طليطلة - ٤٧٨ هـ ١٠٨٥ م . ، إحدى حواضر المسلمين الرئيسية في الاندلس وبعد أن نفذت ارادة الله وضاعت المدينة الخالدة - أعادها الله الى الاسلام - وأحس المسلمون بوطأة الفناء وأنه ملجأ لهم الا الى الله سبحانه وتعالى والتمسك بقرآنه ونواهيه ، وحينما طبقوا ذلك فعلا وقولا باستعانتهم باخوانهم في الدين في شمال افريقيا ، وهم المرابطون ، ورغم أن العدو الخبيث وضعفاء النفوس قد حذروا المسلمين في الاندلس من الاتحاد بالمسلمين في المغرب حتى تظل الفرقة ، الا أن نور الاسلام قد أشرق في نفوس المصلحين المسلمين وصاح ابن عباد في أسبيلية ، « لان أكون راعي جمال في صحراء افريقية خير من أن أكون راعي خنازير في وديان قشتالة » وتعالى النداء الى الله والى الوحدة والجهاد ، وكان نصر الله رائعا في معركة الزلاقة ٤٧٩ هـ ١٠٨٦ م (١) . ولم يكن عدد المسلمين أو عتادهم بأكثر مما لدى المسيحيين من عدد أو عتاد ، ولكنه الايمان كان يملا الصدور ، ويحرك النفوس ويحمس المجاهدين . وانتصر المسلمون في الزلاقة وانقذوا أنفسهم وبلادهم لعدة مئات من السنين ولولا عودتهم الى الفرقة والخلاف ما صفت في بلاد الاندلس صوت الاذان ينادى أن لا اله الا الله ، محمد رسول الله ، وظلت مساجدها مجلسا للعلماء ومحطا للزاحطين المتنقلين بين بلاد العالم الاسلامي (١) . أليس صحيحا أن الدرس واضح وأن ليس على المسلمين حاليا الا أن يستوعبوه وأن يعودوا الى قراءته مرة ومرات لعل الله أن يفتح قلوبهم وعقولهم لتفهم هذا الدرس ، والعودة بأسرع ما يكون الى دينهم الصحيح ، والى وحدتهم حتى يمكنهم أن يواجهوا عدوهم الحاضر وأن لا يتحولوا مع التاريخ الى مجرد صفحات تذكر تذرف عليها الدموع ، بدلا من صفحات غار ومجد تشرق في سماء التاريخ .

(١) انظر مقالتي عن « الزلاقة معركة كسبها الايمان وضيع آثارها الخلاف » مجلة الامة ، قطر سبتمبر ١٩٨٢ م .

نقطة أخرى أضعها أمام الذين لا يمدون ابصارهم لأكثير من مواقع أقدامهم : لم تضع بلاد المسلمين في الاندلس بعد معركة واحدة ، أو بين عشية أو ضحاها ، كلا وإنما استغرق ذلك ثمانية قرون كاملة ، نعم ، ثابر العدو - كما يفعل الآن - على استخلاص قطعة قطعة ، وبلدة بلدة ، مهما كانت صغيرة ، واستغل فرقة المسلمين وعدم وحدتهم ، وضربهم ببعض ، الى أن تمكنت أجياله ، جيلًا بعد جيل ، من تحقيق النصر النهائي على المسلمين في عام ٨٩٧ هـ . ١٤٩٢ م . بالاستيلاء على غرناطة آخر معقل إسلامي على أرض الاندلس .

مضى على ذلك الحدث الجلل ما يقرب من خمسة قرون زمنية ، وتبقى أعوام قليلة لتكتمل القرون الخمسة ، فهل يستوعب المسلمون الدرس ونتنبه الى نتائجه ؟ .

وليس ذلك هدفي الوحيد من كتابة هذه الصفحات ، اننى عاشق الاندلس معنى وحرفا ، لان الاندلس : التاريخ والحضارة بكل ما في هاتين الكلمتين من معنى ، وبكل ما يمكن أن تذكره من تحليل أو تفصيل هي في تاريخ المسلمين غرة التاج ودرقه الثمينة ، فتاريخ الاسلام في الاندلس - دون جدال - قمة العظمة ، ويستحق منا جميعا الوقفة الطويلة ندرس جوانبه ، ونستوعب كنه عظمته ، ونتعلم من دروسه ونمضي على هديه ، ناهيك عن العظمة والعبرة مما جرى هناك .

واذا كان من كلمة أخيرة في هذه المقدمة التي أخطها ذات صباح وعام ١٩٨٤ م . يلفظ أيامه الأخيرة ، ولم يتبق الا سبعة أعوام فقط بالتمام والكمال على ذكرى مرور خمسة قرون على سقوط غرناطة « ١٤٩٢ م » فاننى أناشد أمتنا الإسلامية أن تتجمع لتحيا هذه الذكرى بالدرس والبحث لما خفى من جوانبها وإبراز مناحي القوة والمجد في صفحاتها ، لعلها تكون النواة التي تعيد الى الأمة الإسلامية وحدتها ومن ثم تعيد قوتها وعظمتها وأسأل الله أن يلهم المسئولين عن شئون المسلمين الصواب والحكمة وهو على كل شيء قدير .

ولقد اخترت موضوع « الفتح الاسلامى لاندلس » لكى اقدم للمسلمين واحدة من الصفحات الناصعة في تاريخ امتهم المجيد ، ولالقي الضوء على بعض جوانب هذه المسألة التى أثارت الكثير من الجدل بين الباحثين .

ولقد سبقنى الى الكتابة في تاريخ الفتح الاسلامى لاندلس الكثيرون من مؤرخى المغرب والاندلس ، وأخصى بالذكر منهم الاساتذة الافاضل د . حسين مؤنس ، ود . السيد عبد العزيز سالم ود . أحمد مختار العبادى ، وغيرهم ، ومع ذلك ، ورغم كتاباتهم القيمة في هذا المجال ، فإن القضية تبقى مطروحة باستمرار لما تتضمنه من جوانب هامة ما زالت حتى الآن في حاجة الى المزيد من البحث والتحصيل .

ورغم أن الاستاذ الدكتور حسين مؤنس قد ألقى كثيرا من الضوء على هذه القضية في مقالته القيمة (٢) اعتمادا على ما ظهر من كتب كانت حتى ذلك الحين حبيسة بعض المكتبات ، الا ان الرواية النهائية لقصة الفتح الاسلامى لم تكتب بعد في صورتها النهائية .

لقد نشر المجلس الاعلى للابحاث العلمية في مدريد كتاب « ذكر بلاد الاندلس » تحقيق د . لويس مولينا ، ونشر المعهد المصرى للدراسات الاسلامية في مدريد كتاب الزهرات المنثورة « تحقيق د . محمود مكي وبه بعض الجوانب والامور المتصلة بالفتح ، علاوة على الكتاب المنسوب لابراهيم الرقيق والذي نشر بتحقيق النجى الكعبى ، وكل هذه الكتب قد حملت بعض الآراء والاخبار التى تساعدنا على اعادة كتابة تاريخ الفتح الاسلامى لاندلس .

ولقد استطعت في هذا الكتاب أن استعرض مناقشا عددا هاما من قضايا الفتح وخاصة أحوال اسبانيا قبل الفتح الاسلامى ومرحلة الاستعداد ، وقضية الخلاف بين موسى بن نصير وطارق بن زياد ، وعودة هذين القائدين الى المشرق ، ومصيرهما هناك ، وكذلك دور الامير عبد العزيز بن موسى ، وقضية فتح شرق الاندلس ، وأعتقد أنني

(٢) حسين مؤنس : رواية جديدة عن فتح الاندلس ، مجلة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية مدريد ، العدد ١٧ ، عام ١٩٧٨ م .

توصلت الى الكثير من الآراء الجديدة ، والافكار البناءة حول تلك القضايا .

ولقد قسمت دراستى هذه الى قسمين ، أولهما ، واعتبره دراسته تمهيدية ، وان جعلته الفصل الاول وعنوانه « الطريق الى الاندلس » ، وتناولت فيه مجموعة من العناصر الرئيسية وهى التعريف ببلاد المغرب العربى ، ثم موجزا لتاريخ هذه المنطقة فى العصر الفينيقي القرطاجى ، يلى ذلك موجز لتاريخ المغرب فى العصر الرومانى ، ثم الوندالى الى أن يقع فى قبضة البيزنطيين . وانتقلت الى دراسة مراحل الفتح الاسلامى للمغرب ، والعوامل التى تسببت فى إطالة مدة الفتح الاسلامى لهذه البلاد .

أما القسم الرئيسى من الدراسة ، فجعلت عنوانه « الاندلس : الارض والتاريخ » ، ويشتمل هذا الفصل على تعريف جغرافية الاندلس ، ثم ملخص لتاريخ هذه البلاد فى العصور الباكورة ثم العصر الرومانى الى أن نصل الى الوجود الوندالى هناك فالعصر القوطى ، وأحوال هذا البلاد قبل الفتح سياسيا واجتماعيا واقتصاديا ، وبعد ذلك كان التركيز على الفتح الاسلامى لاندلس ومرحلة ، وقضاياها الكثيرة .

لقد بذلت فى هذه الصفحات جهدى ، واعترف أننى لم أوفها حقها كاملا ، وذلك بسبب ظروف وجودى فى القصيم وقلة المتاح من الوسائل المعينة على الدراسة ، لكننى أرضيت ضميرى ، ولم أدرج بهذا والكمال لله وحده سبحانه وتعالى . وأود فى هذه المقدمة التى تسبق أول عمل جاد لى فى مجال التاريخ الاندلسى أن أوجه شكرى الى استاذين فاضلين أحمل لهما - ككل أساتذتى - وافر المحبة وعميق الاحترام وهما الاستاذ الدكتور عبد الشافى غنيم أول من درسنى هذه المادة ، والاستاذ الدكتور السيد عبد العزيز سالم مثلى الاعلى فى الدراسات الاندلسية والى كل من تقدم لى يد العون والمساعدة . أدعو الله سبحانه وتعالى أن يثيبه على خير الجزاء وهو خير المكافئين .

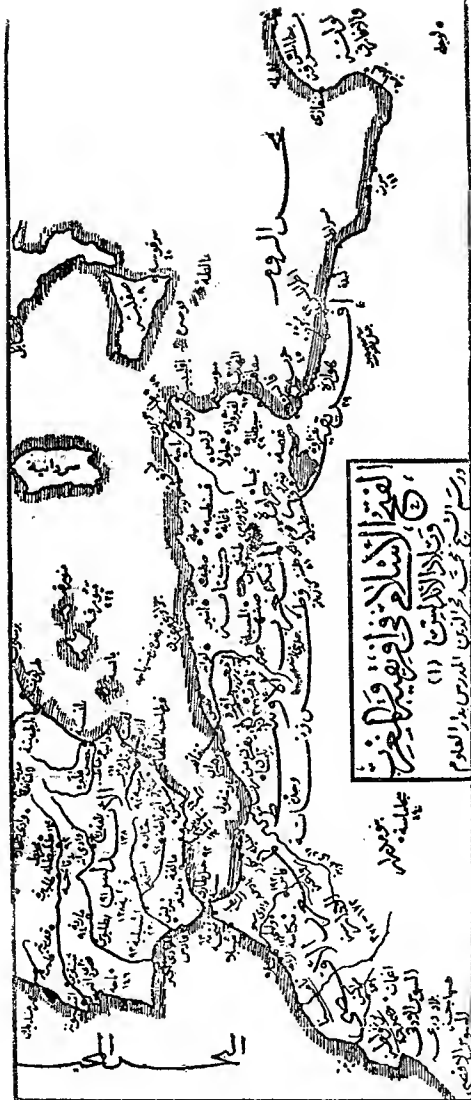
د . محمد عبد الحميد عيسى

بريدة فى ١٢/١/١٩٨٤ م

الفصل الأول

الطريق إلى الاندلس

- ١ - التعريف بالمغرب العربى .
- ٢ - المغرب فى العصر الفينيقى القرطاجى .
- ٣ - المغرب فى العصر الرومانى .
- ٤ - المغرب تحت سيطرة الوندال .
- ٥ - المغرب تحت سيطرة البيزنطيين .
- ٦ - مراحل الفتح الإسلامى للمغرب .
- ٧ - أسباب طول مدة الفتح الإسلامى للمغرب .



الفيزياء الإسلامية في القرنين الثاني عشر
 والثالث عشر للميلاد (1)

د. محمد عبد الحليم المدرس بـ العلوم

طبع في
 المطبعة
 الخيرية
 بالقاهرة

م. ١٠

المغرب الاسلامى

تمهيد

يمتد تعبير المغرب الاسلامى تاريخيا الى آفاق أكثر اتساعا لما هو عليه المغرب الاسلامى حاليا . ونقصد بهذا أن المغرب الاسلامى يشتمل على كل البلاد الاسلامية التى كانت تقع الى الغرب من الحدود المصرية ، وهى منطقة شاسعة تضم بين جوانبها بالإضافة الى كل البلاد الاسلامية الحالية ، ما رفرع عليه الاسلام من بلاد اسبانيا والبرتغال ، وجنوب فرنسا ، وجزيرة صقلية ، وجنوب إيطاليا ، وجزر سردينيا وكورسيكا وجزر البليار ، وإذا كان المغرب الاسلامى تقلص الان ليصبح ليبيا وتونس والجزائر والمغرب وموريتانيا فقط ، ففعل ذلك يكون سببا كافيا لكى يحرك المسلمين للتعرف على تاريخ هذه المنطقة الاسلامى ، والاسباب التى أدت الى خروج أكثرها من نور الايمان ، والعودة الى ما كانت عليه قبل أن تحررها دماء المجاهدين المسلمين .

وينقسم المغرب الاسلامى حسب تقسيمات المؤرخين والجغرافيين المسلمين الى عدة أقسام رئيسية هى :

١ - برقة وطرابلس ، وهى أولى الاقاليم دخولا فى الاسلام وتقعان الى الغرب مباشرة من الحدود المصرية ، ويعتبرها كثير من المؤرخين والجغرافيين جزءا من الاقليمسمى بافريقية .

٢ - المغرب الادنى وقاعدة هذه المنطقة مدينة القيروان وتشتمل على بلاد تونس الحالية وجزء من شرقي الجزائر وتقع فى عمومها الى الشرق من بلاد المغرب .

٣ - المغرب الاوسط وهى المنطقة التى تشكل حاليا بلاد الجمهورية الجزائرية تقريبا ولم يكن لها قاعدة واحدة فى العصور الاسلامية ، وان كانت تلمسان أشهر عواصم هذا الاقليم (١) .

(١) أحمد مختار العبادى (الدكتور) . تاريخ المغرب والاندلس - القاهرة ١٩٧٨ م .

(م ٢ - الفتح الاسلامى للاندلس)

٤ - المغرب الأقصى : وهو الجزء الاخير المقابل للبر المعدوة الأندلسية ، ويشكل حاليا بلاد المغرب .

وعلى الرغم من ذلك التفسير الذى وضعه المؤرخون والجغرافيون المسلمون لهذه المساحات الشاسعة من البلاد ، الا أننا نستطيع أن نلمح وجود وحدة طبيعية بين أقسامها عامة لا تقتصر على مظاهر المطح أو تشابه المناخ ، وإنما هناك أيضا وحدة بين عناصر سكانها الأصليين ، وتتمايز فى ذلك عن باقى أقسام القارة الأفريقية الكبرى (١) .

المغرب قبل الفتح الإسلامى :

ليس الهدف من كتابة هذه السطور التأريخ للمنطقة قبل الإسلام بصورة تفصيلية وإنما القاء نظرة سريعة لتذكر الملامح العامة لهذا التاريخ حتى يمكن لنا أن نرى بوضوح عظمة الإسلام والمسلمين فيما دخلوه من تغيير أساسى وجذرى على حياة المنطقة وكذلك التعرف على ما أضفاه الإسلام على هذه البلاد من نعمة الاستقرار والرقى ، وهما شيئان لم يتاحا لها على مدى سبعة قرون أو أكثر قبل الإسلام ، كما يتيح لنا ذلك أن نتبين كيف أن المسلمين استطاعوا أن يخلصوا هذه المنطقة الى درجة كبيرة من آثار مجموعة من القرون الطويلة عاشتها تحت سيطرة شعوب أخرى وحضارة وديانة مختلفة سبقت المسلمين فى وصولها الى هذه المنطقة ، وتركت فيها آثارها ، وطبعت عليها بصماتها .

وجدت الحياة الانسانية على ارض المغرب منذ عصور ما قبل التاريخ ، لكن الفترة التاريخية تبدأ فى هذه المنطقة مع وجود الفينيقيين بها ، واتصالهم بشواطئها وإقامة بعضهم هناك ويرجعها المؤرخون الى الفترة الزمنية الممتدة من ١٢٠٠ - ١٤٦ ق م .

(١) السيد عبد العزيز سالم (الدكتور) المغرب الكبير - ج ٢
بيروت ١٩٨١ م .

وفي القرن التاسع قبل الميلاد بدأ الفينيقيون تأسيس مستعمراتهم الدائمة هناك وفي القرن السادس قبل الميلاد أخذت هذه المستعمرات خطواتها الأولى نحو استقلالها عن المستعمرات الفينيقية في المشرق (١) .

عاشت المنطقة تحت سيادة قرطاجة عدة مئات من السنين كان للفينيقيين فيها السيطرة شبه الكاملة على حوض غرب البحر المتوسط ، ودخلوا من أجل ذلك في صراع مع اليونانيين أولا ، ثم مع الرومان بعد ذلك وهو الصراع الذي يعرف تاريخيا باسم الحروب البونية التي انتهت بتدمير قرطاجة سنة ١٤٦ ق.م. وسيطرة الرومان على شمال افريقية ، وتحويل المنطقة كلها الى محافظة خاضعة للرومان (٢) .

العصر الروماني :

نشأت ولاية افريقية سنة ١٤٦ ق.م. بعد تهديم قرطاجة وكانت صغيرة جدا عرفت باسم افريقية القديمة (٣) ثم أخذت أراضي الرومان في الازدياد ، حتى استقر الامر ليووليوس قيصر الذي بدأ في تغيير النظام السياسي لافريقية بجعله من نومدية الشرقية ولاية جديدة أخذت اسم افريكا الجديدة ، ثم أدمجت بعد ذلك في افريكا القديمة في عام ٢٧ ق.م. - ضمت اليها بعد ذلك ولاية بريطانيا سنة ٤٠ وبذلك أصبحت افريقية ولاية خاضعة للحكم الروماني (٤) .

-
- (١) سيد الناضوري (الدكتور) المغرب الكبير ج ١ العصور القديمة ص ١٦٧ ، ص ١٧٤ .
(٢) انظر في ذلك الدراسة القيمة للدكتور السيد الناضوري ضمن سلسلة المغرب الكبير ج ٢ ص ١٥٣ - ٢٨٨ .
(٣) أحمد صقر ، مدنية المغرب العربي في التاريخ ، تونس ١٩٥٩ م ص ٢٩٥ وما بعدها .
(٤) نفس المرجع ص ٣٠٤ - ٣٠٩ .

شهدت المنطقة ايان تلك الفترة ازدهارا اقتصاديا حيث اتجهت السياسة الرومانية الى استغلال اقاليم المغرب استغلالا شاملا في المجال الاقتصادي ، وكان المغرب الى جانب مصر بمثابة المخزن الطبيعي للغلال الذي تعتمد عليه روما ، ومن ثم اهتم الرومان بتطوير الحياة الزراعية ، وما يقرب عليها من مشروعات انمائية (*) .

وكان للتقدم الاقتصادي أثره أيضا في تطور الحياة الاجتماعية ، بدأت المراكز الحضرية في الانتشار وأخذت مدنها بأشكال مختلفة من أنماط الحياة لكنها جميعا تستلهم النظام الروماني حتى كونت روما في الأفريقيين حركة ارتقاء وصعود نحو الحياة الرومانية وزرعت في نفوسهم روح المنافسة والمباراة ، وبذل الجهد للتدرج في سلم المعالي والرقى (٥) .

ولم يقتصر الرومان في فرض حضارتهم على المغرب على تلك الجوانب المادية حسب ، لكنهم حاولوا أيضا نشر ثقافتهم بكل الوسائل ضمن سكان المنطقة فحاولوا فرض اللغة اللاتينية ، كما أنهم سعوا الى نشر نظامهم الدينية المتعلقة بعبادة الامبراطور وان لم يتقبل السكان هذه المسائل بصورة اقتناعية ، ولذلك فاننا نجد منهم اقبالا على المسيحية التي بدأت في الانتشار في المغرب منذ القرن الاول الميلادي ، حتى أن بعض المؤرخين يجعل سرعة انتشارها هناك ، وكذلك ظهور بعض الحركات الدينية والاجتماعية في المغرب على أنها رمز لعدم الخضوع للرومان أو رغبة في التعبير عن معارضتهم مما أدى الى ازدهار المسيحية هناك ، وظهور بعض الأدباء المسيحيين في المغرب مثل أغسطين (٦) .

بدأت الامور في الاضطراب في المغرب نتيجة لعدة عوامل منها الاقتصادية والسياسية والدينية ، وكانت نتيجة هزم القاتل

(*) د . سيد الناصوري ص ٣٤٠ - ٣٤١ .

(٥) أحمد صقر - المرجع المذكور صفحة : ٣١٨ - ٣١٩ .

(٦) د . سيد الناصوري - المصدر المشار اليه صفحة : ٣٤٢ .

اختلال الامور في المستعمرات الرومانية ، وضعف نفوذ حكامهم ، حتى وصل الامر ببعض الولاة الى الاستنجد بالوندال المتغلبين على أسبانيا في ذلك الحين ، فقدموا ، وكان قدومهم الضربة القاضية على حضارة ودولة الرومان بأفريقية ، حيث استولوا في عام ٤٣٩ م على قرطاجة ومن ثم انتهى الحكم الروماني في افريقية (٧) .

العصر الوندالي في افريقية :

الوندال قسم من القبائل التي عرفت في التاريخ بالقبائل الجرمانية والتي نزحت الى حدود الامبراطورية الرومانية منذ القرن الثالث الميلادي ثم توغلت الى داخلها على مدار القرن الرابع والخامس من الميلاد ، واستقر الوندال في أسبانيا في تلك الفترة ثم ما لبثوا أن نزحوا الى افريقيا نتيجة لضغط القوط الغربيين عليهم ، وسنوح الفرصة حين استنجد بهم أحد ولاة الرومان في المنطقة ، لكي يعبروا جبل طارق في حدود ثمانين الفا بقيادة ملكهم جنسريك في عام ٤٢٩ ، وتمكنوا من الاستيلاء على البلاد ، وتوجوا انتصاراتهم بالاستيلاء على قرطاجة في عام ٤٣٩ ، وبذلك ضاع على الرومان جزء هام من أجزاء امبراطوريتهم (٨) .

ويعتبر جنسريك قائد الوندال من أشهر زعماء هذه الفترة من التاريخ واستطاع أن يجبر روما على الاعتراف به ملاكاً مستقلاً في سنة ٤٤٢ (٩) .

ويجمع المؤرخون على أن سياسة هذا الرجل مع سكان المنطقة كانت سيئة للغاية ، فلقند نهج في حكم مملكته الجديدة نهجاً استبدادياً .

(٧) أحمد صقر - المرجع المذكور صفحة : ٣٧٩ .

(٨) سعيد عاشور (دكتور) أوروبا العصور الوسطى ج ١ ص ٩١ القاهرة ١٩٨٣ ، صفحة : ٨٩ .

(٩) الباز العريني (الدكتور) تاريخ أوروبا العصور الوسطى - بيروت ١٩٦٨ ص ٩٦ .

عنيفا فصادر الضياع ، وانتزع الارض من أصحابها وتعسف في جمع الاموال والضرائب من الاهالى ، وعاملهم في قسوة بالغة (١٠) .

أما عن علاقاتهم بالرومان فكانت سيئة الى أقصى حد ، وخاصة بعد أن أصبحوا قوة بحرية قوية ، فهاجموا صقلية وسردينية ، وكورسيكا كما أنهم هاجموا روما نفسها سنة ٤٥٥ م . وتفككت قوة الوندال بعد وفاة جنسريك سنة ٤٧٧ م . ، وتمكن البيزنطيون من القضاء على دولتهم والسيطرة على شمال افريقية ، واعدته الى حظيرة الامبراطورية البيزنطية (١١) .

العصر البيزنطى في افريقية :

حينما تولى جستنيان عرش الامبراطورية البيزنطية عام ٥٢٧ م كان همه الاول إعادة توحيد الامبراطورية الرومانية القديمة ، واسترداد أملاكها من أيدي القبائل الجرمانية التى أسست لها دولا مستقلة بها . وبدأ بالوندال ، حيث أرسل قائده بليزاريوس على رأس جيش روماني تمكن من تحطيم دولة الوندال وادخال المنطقة مرة أخرى في دائرة الامبراطورية البيزنطية ، وعاد الرومان الى تملك الاراضى ، وإزالة آثار الوندال ، الا أنهم لم يجدوا استجابة كافية من السكان الاصليين الذين نظروا اليهم نفس النظرة الى سابقيهم ، باعتبارهم مغتصبين لخيرات البلاد .

أصبحت بلاد المغرب أرضا بيزنطية يولى عليها قادة من قبل الامبراطور ، حتى بدأ الضعف يتفشى في أنحاء الامبراطورية البيزنطية عامة ، وخاصة بعد وفاة جستنيان ، وتأثر المغرب بذلك فضعف النفوذ البيزنطى هناك ، ثم ازدادت المشاكل حدة بالخلافات المذهبية الدينية المسيحية التى بدأت تحطم جسم الامبراطورية سواء في الشرق

(١٠) سعيد عاشور (الدكتور) أوروبا العصور الوسطى ج ١ صفحة :

(١١) سعيد عاشور : المرجع السابق صفحة : ٩٠ .

الباز العرينى ، المرجع المشار اليه صفحة : ٩٦ .

أو الغرب مثل قضية « طبيعة السيد المسيح » على عصر جستنيان وخلفائه ، وقضية الايقونية واللائقونية في عصر الامبراطور ليو الثالث الأيسورى .

وفي سنة ٦٤١ م . أعلن جريجوريوس استقلاله ببلاد المغرب عن الامبراطورية البيزنطية واستقر في مدينة سبيللة كعاصمة له بعيدا عن قرطاجنة ، ولكي يتحصن بها من غزو البيزنطين ، أو هجمات المسلمين التي بدأت تدق أبواب افريقية في تلك السنوات (١٢) .

الفتح الاسلامي لبلاد المغرب

بدأ المسلمون نشر رسالة الاسلام خارج شبه الجزيرة العربية اعتبارا من نهاية عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حينما قام ، عليه السلام بارسال سرايا المسلمين الى اطراف الشام ولم يكـد ينفـضى القرن الاول الهجرى حتى كانت راية الاسلام ترفرف على آفاق واسعة من العالم المعروف حينذاك ، ووصلت كلمة لاله الا الله من حدود الصين شرقا الى المحيط الاطلنطى غربا ومن منتصف اراضى فرنسا الحالية شمالا الى جنوب الصحراء الكبرى فى غرب العالم الاسلامى ، ومن اواسط البلاد الروسية حاليا شمالا الى المحيط الهندى جنوبا فى شرق هذا العالم الكبير .

وليس هذا مجال الحديث عن أسباب هذه الفتوحات الاسلامية ودوافعها الحقيقية ، كما أنه ليس مجال الرد على افتراءات المفكرين وأصحاب الاغراض والاهواء ممن يحاولون التقليل من عظمة هذه الفتوحات وروعيتها وانما قد تتاح هذه الفرصة أمام المؤرخين حين تأريخهم وكتابتهم عن بداية هذه الفتوحات الاسلامية ، وخاصة عند دراستهم لعصر الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم وتقييم المسلمين بالجهاد بقيادتهم لنشر الاسلام خارج ربوع شبه الجزيرة العربية .

هناك ملاحظة أساسية يجب أن نشير اليها لصلتها الوطيدة بالفتوحات الاسلامية فى المغرب . وهى أن انتشار الاسلام وتوسع دولته قد ضرب مثلا فريدا فى السرعة والانجاز ، بحيث أن مناطق واسعة مثل بلاد الشام ومصر والعراق وفارس وبعض ما جاورها من اقالييم قد دخلها المسلمون فى فترات زمنية وجيزة جدا .

أما المغرب فقد تميز بظاهرة اخرى عكسية ، وهى أن فترة

الفتح قد طالأت الى درجة غريبة ، وامتدت هناك فترات النصر والهزيمة الى أكثر من ستمين عاما بدأت من أوائل سنة ٢٢ هـ على يد عمرو بن العاص رضى الله عنه بعد اتمامه فتح مصر ، ولم تنقته الا في حدود عام ٨٥ هـ . على يد القائد المسلم حسان بن النعمان رضى الله عنه ، قائد الجيوش الاسلامية في افريقية والمغرب من قبل عبد الملك بن مروان واستقرت نهائيا على يد موسى بن نصير الذى عينه الخليفة الوليد بن عبد الملك .

وحتى نفهم ذلك تفهما صحيحا ، فلا بد من أن تجرى دراسة هذه الفترة من فترات الجهاد الاسلامى ضمن نظرة شاملة تتناول كثيرا من الابعاد ، وحتى يمكن دراستها دراسة واتعية فانها لا يمكن أن تتم بمعزل عن دراسة البيئة السياسية في باقى انحاء الدولة الاسلامية ومدى تأثير ما كان يجرى في عاصمة المسلمين - وهي المدينة المنورة حينذاك - على مجريات الامور في الفتوحات الاسلامية في افريقية وخاصة استشهاد خليفة المسلمين ذى النورين عثمان بن عفان رضى الله عنه وما أعقب ذلك من فتنة بين المسلمين على عهد على كرم الله وجهه وما واجهه الامويون من مشكلات وثورات قام بها العلويون ، والموقف من خلافة عبد الله بن الزبير رضى الله عنه الى أن استقر الامر لعبد الملك بن مروان . وكذلك دراسة علاقات الدولة الاسلامية بالدولة البيزنطية . لان ميدان الصراع كان واحدا في شرقه وغربه وكثيرا ما كان يتأثر جنود الاسلام في افريقية والجند البيزنطى بمدى تطور هذه العلاقات سلبا أو ايجابا .

يضاف الى ذلك دراسة البيئة المصرية الاسلامية بعد الفتح الاسلامى لها ومدى ارتباط عمليات الفتح في شمال افريقية بتفرغ ولايتها للجهاد أو قيامهم أنفسهم بقيادة هذه الفتوحات ، ومدى علاقاتهم بالخلفاء وتأثير ذلك على القيادة في المغرب .

وكذلك لا يمكن أن تكون الدراسة مفصلة عن تتبع العلاقات بين البتر « والبرانس » - وبين هؤلاء والروم البيزنطيين مما كان له

أثره الواضح على الممارك بين العرب المسلمين من جهة والبروم والبربر المسيحيين من جهة ثانية ، وإلى أى حد نجح العرب المسلمون في اجتذاب بعض فئات البربر إلى الاسلام ، والاستفادة من العلاقات التي كانت تربط هاتين الفئتين من البربر لاستكمال حلقات الفتح الاسلامي لافريقية الشمالية .

نتيجة لطول مدة الفتح الاسلامي لمنطقة الفريقية والمغرب فان المؤرخين يميلون إلى تقسيم هذه الفتوحات إلى عدة مراحل من أجل تسهيل دراستها واستيعابها .

فهناك من يقسمها إلى مراحل عدة بحسب القادة الذين تولوا الجهاد هناك (١٣) وهناك من يقسمها إلى مرحلتين أساسيتين أولاهما قبل تأسيس مدينة القيروان والآخرى تالية لها .

وليس هناك تعارض بين التقسمين لان أصحاب الرأي الثاني انما يعودون أيضا إلى تقسيم كل مرحلة رئيسية إلى تقسيمات داخلية نسبة إلى امراء الفتح فيها ، ومنفتح التقسيم الاول في عرضنا السريع لفتح المسلمين للمغرب (١٤) .

المرحلة الاولى : مرحلة عمرو بن العاص رضى الله عنه :

ما كاد عمرو بن العاص رضى الله عنه يستقر في الاسكندرية حتى بدأ يفكر في تأمين حدودها الغربية وذلك بفتح اقليم برقة وطرابلس اللتين كانتا تابعتين لصر من الناحية النظرية وان تمتعتا بالاستقلال فعليا منذ اواخر الحكم البيزنطي للمنطقة . (١٥) ولم

(١٣) د . حسين مؤنس : فجر الاندلس صفحة : ٤٦ وما بعدها .
د . السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس صفحة ٢٥ وما بعدها . محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام في الاندلس ج ١ صفحة : ١٥ وما بعدها .

(٤) انظر الدراسة القيمة للدكتور السيد عبد العزيز سالم في كتابه المغرب الكبير الجزء الثاني من سلسلة المغرب الكبير ، ابتداء من صفحة : ١٤١ وما بعدها .

(١٥) السيد عبد العزيز سالم - المغرب الكبير ج ٢ صفحة : ١٤١ .

يكن هدف عمرو بن العاص قاصرا على تأمين حدود مصر الغربية فحسب ،
وانه ما كانت تحثه دوافع الجهاد الاسلامي من أجل مواصلة نشر
الاسلام . واذا كان ابن عذاري يذكر أن عمرو بن العاص قد وجه
عقبة بن نافع الفهري الى لوبية وإفريقية فافتتحهما . ثم توجه
عمرو بنفسه الى برقة فصالح أهلها على الجزية ، دينار على كل حالم
وتوجه منها الى طرابلس ، ففتحها (١٦) فان ابن عبد الحكم يقول
« فسار عمرو بن العاص في الخيل حتى قدم برقة فصالح أهلها على
ثلاثة عشر الف دينار يؤدونها جزية » (١٧) .

وبعد أن انتهى من فتح برقة بدأ الاستعداد لفتح طرابلس ولكن
كان لابد وأن يؤمن خط الرجعة خشية أن يؤتى من قبل السكان
المقيمين في الواحات الداخلية وخاصة فزان ، ومن هنا ادرك ضرورة
تقسيم جيشه الى فرقتين أحدهما بقيادته تتجه الى طرابلس ، والثانية
بقيادة عقبة بن نافع الفهري لتتجه لاختراع المناطق الداخلية ،
ويرى الدكتور السيد عبد العزيز سالم أن مهمة عقبة في هذا المجال
كانت في المقام الاول الاستيثار من طاعة أهل الواحات أو على
الأقل من وقوفهم موقفا حياديا (١٨) .

ولا شك أن عقبة بن نافع في هذه الفترة كان مازال حدثا لانفاسه
سواء بعد أربعين عاما يقود الفتوحات الاسلامية في المنطقة حتى
يستشهد في عام ٦٤ هـ . ، ويميل الى ذلك الدكتور حسين مؤنس
حيث يقول بأن عقبة كان قائدا صغيرا في جيش عمرو فأرسله الى
زويلة وفزان وودان ، وأن عقبة قد أقام في هذه النواحي نحو عشرين
سنة يدعو للاسلام ، ويضرب لاهلها مثلا للمسلم الصحيح المتقاني في
دينه (١٩) .

-
- (١٦) ابن عذاري : البيان المغرب ج ١ صفحة : ٨ طبعة كولان
وليفي بروفنسسال .
(١٧) ابن عبد الحكم : فتوح إفريقية والاندلس صفحة : ٢٨ تحقيق
عبد الله أنيس الطباع .
(١٨) السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير صفحة : ١٤٤ .
(١٩) حسين مؤنس : فجر الاندلس صفحة : ٣٧ .

ووصل عمرو بن العاص الى طرابلس في سنة اثنتين وعشرين فحاصرها مدة شهر وصمدت المدينة بأسوارها المنيعة حتى تمكن المسلمون من دخولها والاستيلاء عليها ، وذلك بأن جماعة منهم تسللوا الى داخل المدينة عبر الجهة التي تربطها بالبحر ، حيث استولوا على الكنيسة وفتحوا الابواب ليدخل جيش المسلمين المدينة ويضعها تحت حمايته ، ولم يضجح المسلمون وقتا فقام عمرو بن العاص بتجريد سرية من خيله على مدينة سبرت ، والتي كانت تساند طرابلس ، وفاجأ المسلمون أهل المدينة ، ودخلوها عفوة ، وأفاء الله عليهم ما بها من خيرات (٢٠) .

وفي أثناء حصار عمرو بن العاص لمدينة طرابلس ارسل قائده بسرين الرطاة الى ودان فافتحها سنة ٢٣ ، وقصد من ذلك القضاء على أية محاولات من جانب البربر لانجاد مدينة طرابلس ومساعدتها (٢١) .

يذكر ابن عبد الحكم ، أن عمرو بن العاص بعد أن افتتح طرابلس ، كتب بذلك الى الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وأنه طلب منه الاذن لمواصلة الجهاد في افريقية وكتب اليه يقول « ان الله قد فتح علينا أطرابلس ، وليس بينها وبين افريقيا الا تسعة أيام ، فان رأى أمير المؤمنين أن يغزوها ويفتحها الله على يده فعل « فكتب اليه عمر » لا ، انهما ليست بافريقيا ، ولكنها المفرقة غادرة مغدور بها لا يغزوها أحد ما بقيت (٢٢) ، أما رواية ابن عذارى فانها أكثر اختصارا حيث يقول وفي سنة ٢٣ افتتح بلاد أطرابلس ، وكتب الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه يخبره بما أفاء الله عليه من النصر والفتح ، وأن ليس أمامه الا بلاد افريقية وملوكها - كثير وأهلها في عدد عظيم ، وأكثر ركوبهم الخيل ، فأمره

(٢٠) ابن عبد الحكم : فتوح افريقية ٣١ ، ٣٢ .

(٢١) ابن عذارى : الديان المغرب ج ١ صفحة : ٨ - المغرب

الكبير ج ٢ صفحة : ١٤٩ .

(٢٢) ابن عبد الحكم صفحة ٣٢ .

بالانصراف عنها ، فأمر عمرو العسكر بالرحيل قافلا الى مصر (٢٣) .

ونقتسأل عن موقف الخليفة عمر رضى الله عنه لعدم السماح بمواصلة الجهاد في هذه المنطقة ، وهو الذى دفع بالمسلمين الى الجهاد في ميادين شتى وتم على يديه انهيار قواعد أكبر الامبراطوريتين هما فارس والروم .

يرى الدكتور ابراهيم بيضون أن القيادة العربية اكتفت بهذا القدر من الانقصاصات التى حققتها في برقة وطرابلس ولذلك أمرت قائد الحملة عمرو بن العاص بالعودة الى مصر حيث أصبح حاكما عليها (٢٤) .

أما الدكتور السيد عبد العزيز سالم فإنه يستشف من تصرف الخليفة رضوان الله عليه ، انه كان على علم بمجريات الامور في إفريقيا وكان محيطا بثورات أهلها ونكتهم باليهود ، وغدرهم بأصحاب السلطان ، وأنه كان من الطبيعى أن يرفض طلب عمرو بن العاص خشية التفرير بالمسلمين في مخاطر لا يعلمها الا الله (٢٥) ويميل الدكتور أحمد مختار العبادى الى نفس الراى ، ويقول أن صحت رواية رفض الخليفة رضى الله عنه فانما يدل ذلك على أن عمر كان يخشى على جيوش المسلمين من أن يحسبوا ويتبعثر في هذه المناطق الشاسعة وهى لم تزل بعد في حاجة الى توطيد نفوذها وسلطانها في البلاد التى فتحتها ، واستقرت فيها حديثا كالشام ومصر ، ويدل هذا الراى على سلامة تفكير الخليفة عمر بن الخطاب كقائد عربى ممتاز (٢٦) .

يرى الاستاذ شكرى فيصل أن « عمر لم يأذن له ولعلله رأى بعد هذا التقدم العريض ، حاجة المسلمين الى فترة من الهدوء

(٢٣) ابن عذارى ج ١ صفحة ٩ .

(٢٤) ابراهيم بيضون (الدكتور) الدولة العربية في أسبانيا -

بيروت ١٩٨٠ صفحة : ٢٤ .

(٢٥) السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ج ٢ صفحة : ١٥١

(٢٦) أحمد مختار العبادى : في تاريخ المغرب والاندلس صفحة :

يُثَبِّتُون فِيهَا أَقْدَامَهُمْ فَتَسْتَقِرُّ بِهِم الْأَرْضُ ، وَتَدِينُ لَهُم الْأَطْرَافُ
وَيَكُونُونَ عَلَى دَلَالَةٍ مِمَّا يَسْتَدْبِرُونَ ، إِذَا أَقْدَمُوا (٢٧) .

عَادَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ إِلَى الْفَسْطَاطِ بِمِصْرَ ، مَقَرَّ وَلَايَتِهِ ، تَارَكَ
عُقْبَةَ بْنَ نَافِعٍ فِي بَرْقَةٍ الَّتِي أَصْبَحَتْ مِنْذُ ذَلِكَ الْحِينِ مَقَرًّا لِلْجِيُوشِ
الْإِسْلَامِيَّةِ عَلَى مَشَارِفِ الْحُدُودِ الْمِصْرِيَّةِ ، وَنَجَّحَ عُقْبَةُ بْنُ نَافِعٍ
خِلَالَ فِتْرَةٍ أَقَامَتْهُ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى الْإِسْلَامِ ، حَيْثُ بَذَرَ الْبُذْرَةَ الْأُولَى
لِنُفُوشِ الدَّعْوَةِ فِي هَذِهِ الْمَنْطِقَةِ .

وَفِي سَنَةِ ٢٤ اسْتَشْهَدَ الْخَلِيفَةُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَتَوَلَّى خِلَافَةَ
الْمُسْلِمِينَ عِثْمَانُ بْنُ عَفَّانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَقَامَ بِعِزْلِ عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ
عَنْ وَلَايَةِ مِصْرَ ، وَعَيْنُ بَدَلًا مِنْهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي السَّرْحِ الْهَذَلِيُّ
سَيَقُولُ أَمْرَ الْجِهَادِ مَعَ الْمُسْلِمِينَ فِي مَنَاطِقِ افْرِيقِيَّةِ (٢٧ ب) .

المرحلة الثانية : حملات عبد الله بن سعد بن أبي السرح .

لَمْ يَكُنْ جَرِيحُورِيُوسَ وَتَسْمِيهِ الْمَصَادِرُ الْعَرَبِيَّةُ « جَرْجِير »
الْحَاكِمَ الْبِيزَنْطِيَّ عَلَى عِلَاقَةٍ طَيِّبَةٍ بِالْإِمْبِرَاطُورِيَّةِ وَجَاءَتْ الْأَحْدَاثُ الْجَدِيدَةُ
لِتَرْفَعَنَّ مِنْ دَرَجَةِ الْخَطَرِ الْمَحِيطِ بِهِ ، حَتَّى اضْطُرَّ إِلَى التَّقَهُُّرِ إِلَى
دَاخِلِ الْبِلَادِ لِيَتَّخِذَ مِنْ مَدِينَةِ سَبِيْطَلَّةِ عَاصِمَةً لَهُ ، لِكَمَا أَنَّهُ عَمِلَ
عَلَى تَحْصِينِ قَابِيسَ وَسَفَاقْسَ وَفَقْصَةَ لِكَيْ تُشَكَلَ حَاجِزًا دَفَاعِيًّا أَمَامَ
عَاصِمَتِهِ الَّتِي ابْتَعَدَ بِهَا عَنِ الْبَحْرِ وَغَارَاتِ الْبِيزَنْطِيِّينَ وَلِيَحْمِيَ نَفْسَهُ
فِي ذَاتِ الْوَقْتِ مِنْ هَجَمَاتِ الْمُسْلِمِينَ .

وَفِي نَفْسِ الْوَقْتِ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي السَّرْحِ وَالَّذِي مِصْرَ
الْجَدِيدَ ، قَدْ أَخَذَ فِي تَجْرِيدِ السَّرَايَا عَلَى افْرِيقِيَّةِ وَاسْتَأْذَنَ الْخَلِيفَةُ
رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ فَتَرَدَّدَ فِي ذَلِكَ مُسْتَشِيرًا بِمَوْقِفِ الْخَلِيفَةِ عُمَرُ بْنُ
الْخَطَّابِ مَعَ عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ وَتَطَوَّرَتِ الْأُمُورُ فِي افْرِيقِيَّةِ لِغَيْرِ صَالِحِ
الْمُسْلِمِينَ ، فَخَرَجَتْ طَرَابِلُسُ عَنْ طَاعَتِهِمْ وَكَثُرَتْ كِتَابَاتُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعْدٍ
إِلَى الْخَلِيفَةِ عِثْمَانَ يُطَلِّبُ مِنْهُ السَّمَاخَ بِغَزْوِ افْرِيقِيَّةِ وَامْبَادِهِ

(٢٧) شُكْرِي فَيَّصَل : حَرَكَةُ الْفَتْحِ الْإِسْلَامِي ، ط ٣ - بَيْرُوتِ

١٩٧٤ م . صَفْحَةٌ : ١٥٧ .

(٢٧ ب) الطَّبْرِي : تَارِيخُ الْأُمَمِ وَالْمُلُوكِ ج ٣ صَفْحَةٌ : ٤٨ - ٤٩ .

بالمجاهدين من المسلمين حتى استجاب الى ذلك (٢٨) .

ويرى ابن عبد الحكم وكذلك ابن عذارى ، أن عثمان رضى الله عنه قد ندب الناس للجهاد في افريقية فخرج المسلمون في جيش عظيم ، عليهم الحرث بن الحكم وبه جلة من أعلام الصحابة وأعان خليفة المسلمين رضى الله عنه الناس بألف بعير يحمل عليها ضعفاء الناس ، وفتح بيوت السلاح التي كانت للمسلمين (٢٩) .

ولما وصل هذا الجيش الى مصر ، تولى قيادته عبد الله بن سعد بن أبي السرح وضم اليه المجاهدين من جند مصر ومن معهم ممن يعاونهم حتى وصل عدد الجيش الى حوالي عشرين ألفا (٣٠) وبدأ في بث سرايا لثغزو آفاق افريقية دون أن يتوقف لحصار طرابلس أو قابس - على أساس أن هدفه الاساسى كان اللقاء مع البيزنطيين المتمثلين في جرجير وجيوشه والتقى عبد الله وجرجير في وضح النهار في موضع يعرف بسببيلة وكان عدد جيش العدو حوالي مائة وعشرين ألفا (٣١) .

حقق المسلمون انتصارا باهرا في هذه المعركة ، وقتل جرجير قائد الروم ، وغنم المسلمون غنائم جمّة ، وذلك في عام ٢٨ هجرية . وتفسب الرواية الاسلامية كبير فضل في هذه المعركة الى عبد الله ابن الزبير رضى الله عنهما ، ولقد أفرد الاستاذ الدكتور السيد عبد العزيز سالم لذلك دراسة ممتعة ضمن كتابه القيم عن المغرب

(٢٨) انظر الطبرى ، المجلد الثالث ، ج ٥ صفحة : ٥٠ وابن كثير في البداية والنهاية ج ٧ صفحة : ١٦٦ وكذلك محمد على مغربى - عثمان بن عفان صفحـة : ٦٩ - ٧٠ الطبعة الاولى ١٩٨٤ م . والشـيخ محمد الخضرى اتمام الوفاء في سيرة الخلفاء صفحـة ١٨٩ دار الفكر بيروت . أنهى من تأليفه عام ١٣١٦ هـ .

(٢٩) ابن عبد الحكم : فتوح مصر صفحـة : ٣٥ . ابن عذارى : البيان المغرب ج ١ صفحـة : ٩٠ .

(٣٠) ابن عذارى ج ١ صفحـة : ٩٠ .

(٣١) اليعقوبى - تاريخ اليعقوبى ج ٢ صفحـة : ١٦٥ ابن عذارى ج ١ صفحـة : ١٠ .

• الكبير (٣٢) •

وعاد عبد الله بن الزبير الى المدينة مبشرا بانتصار المسلمين وحمل نصيب بيت مال المسلمين الى الخليفة عثمان رضى الله عنه •

ويعد هذا الانتصار الحاسم على البيزنطيين الذى يرى فيه الدكتور حسين مؤنس أنه كسر سلطان البيزنطيين كسرة لن يعود بعدها الى ما كان عليه قبل الفتح الاسلامى • ثم يستطرد قائلاً ولو أن عبد الله بن سعد بن أبى السرح أقام فى البلاد أو ترك فيها حامية لكان لانتصار سببيلة نتائج بعيدة حاسمة لكنه عجل بالعودة لاسباب غير ظاهرة - مكتفياً بمال عظيم جمعه من أهل البلاد ، فكان على من أتى بعده أن يبدأ من جديد (٣٣) •

أما الدكتور عبد العزيز سالم ، فإنه يرى أن عبد الله بن سعد بعد أن استولى على سببيلة ، فإنه أراد استغلال النصر فى الاستيلاء على قرطاجنة ، وأنه بث جيوشه فى البلاد ، فبلغت قفصة ، فسبوا واغتنموا وسير عسكرا الى حصين الاجم وفتحسه ولما رأى رؤساء المبدن فى افريقية ذلك ، طلبوا من عبد الله بن سعد الصلح على أن يدفعوا له مبلغا كبيرا من المال ، ومن ناحية أخرى فإن أنباء مزعجة عن تحركات الروم كانت قد بدأت تضاوره ، وغيبته الطويلة عن مصر وفقده لعدد كبير من جنوده فى معركة سببيلة ، ذلك كله كان الدافع الذى جعله يعود الى مصر وأنه وإن لم يتخذ قيروانا أو قاعدة فى هذه المنطقة الا أن غزواته هذه كانت تجربة مفيدة للمسلمين (٣٤) •

(٣٢) اورد ابن كثير وصفا مسهبا لحالة المسلمين فى المعركة ، وموقف عبد الله ابن الزبير فيها • انظر البدايه والنهايه ج ٧ صفحه : ١٦٦ وكذلك السيد عبد العزيز سالم - المغرب الكبير ج ٢ صفحه ١٥٢ - وانظر أيضا كتاب الشيخ محمد الخضرى ، لقمم الوفاء فى سيرة الخلفاء صفحه : ١٨٩ - ١٩٠ •

(٣٣) حسين مؤنس - فجر الاندلس صفحه : ٣٧ •

(٣٤) عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ج ٢ صفحه : ١٧٣ - ١٧٤ • وانظر كذلك شكرى • فيصل : حركة الفتح الاسلامى صفحه :

وقبل أن تنتقل الى المرحلة القادمة من الدراسة فاننا نود أن نشير الى ملحمة خالدة قادها القائد المسلم عبد الله بن سعد وكان مجالها البحر هذه المرة مما يدل على عظمته وقدراته العسكرية سواء على البر أو في البحر ، وهذه الملحمة هي المعركة الخالدة « ذات الصواري » التي وقعت في حدود عام ٣٤ هـ . بين الاسطول الاسلامي واسطول البيزنطيين وانتصر المسلمون فيها انتصارا باهرا حينما نجحوا في تحويلها الى شبه معركة برية عن طريق جذب سفن الاعداء بالخطاطيف ولصقها بسفن المسلمين ثم الهجوم عليها ، وربط سفن المسلمين بعضها ببعض بالسلاسل مما منع البيزنطيين من اختراقها ويشير الدكتور احمد مختار العبادي الى أن هذه المعركة قد وقعت بالقرب من سواحل الاناضول الذي يزخر بغابات السرو والارز التي تستخدم في صناعة السفن مما يبين أهمية هذه الاماكن لكل من المسلمين والبيزنطيين (٣٥) . هذا وقد اورد ابن كثير وصفا دقيقا مؤثرا عن المعركة فيقول : قصد الروم المسلمين في جمع لهم يرمثله منبذ كان الاسلام خرجوا في خمسمائة مركب وقصدوا عبد الله بن سعد بن أبي السرح وأصحابه من المسلمين الذين ببلاد المغرب ، فلما تراءى الجمعان ذات يوم بات الروم يقسمقسون ويصلبون (*) وبات المسلمون يقرأون ويصلون ، فلما أصبحوا ، صف عبد الله بن سعد أصحابه صفوفنا في المراكب وأمرهم بذكر الله وتلاوة القرآن ، قال بعض من حضر ذلك : فاقبلوا اليها في أمر لم يرد مثله من كثرة المراكب وعقدوا صواريخها ، وكانت الريح لهم علينا ، فأرسينا ثم سكنت الريح علينا فقتلنا لهم : ان شئتم خرجنا نحن وأنتم الى البر ، فمات الاعجلون منا ومنكم ، فقال : فنخروا نخرة رجل واحد وقالوا الماء الماء .

قال : فدفنونا منهم . وربطنا سفننا بسفنهم ، ثم اجتلدنا واياهم بالسيوف ، يثب الرجال على الرجال بالسيوف والخناجر وضربت

(٣٥) العبادي : في تاريخ المغرب والانديلس صفحة : ٣٧ .

(*) أي أن البيزنطيين يذلون كلمات التساوسة ، ويشيرون بالصليب طلبا للنصرة على المسلمين .

(م ٣ - الفتح الاسلامي للانديلس)

الامواج في عيون تلك السفن حتى ألجأتها الى الساحل وألقت الامواج جثث الرجال الى الساحل حتى صارت مثل الجبل العظيم وغلب الدم على لون الماء ، وصبر المسلمون يومئذ صبرا لم يعهد مثله قط ، وقتل منهم بشر كثير ، ومن الروم أضعاف ذلك . ثم أنزل الله نصره على المسلمين فهرب قسطنطين وجيشه وقد قتلوا جدا - وبه جراحات شديدة مهيبة ، مكث حينما يداوى منها بعد ذلك - وأقام عبد الله بن سعد بذات الصواري أياما ، ثم رجع منصورا مظفرا . (٤٢) .

الرحلة الثالثة : حملة معاوية بن حديج .

انقضت سنوات طويلة قبل أن تبدأ هذه المرحلة شغل العالم الاسلامي خلالها بأحداث شديدة أدت الى استشهاده خليفة المسلمين عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وقيام الحرب بين علي بن أبي طالب ومعاوية ابن أبي سفيان ، مما ترتب عليه توقف الفتوحات الاسلامية في افريقية ، بل وضياع مكاسب المسلمين هناك اللهم الا ما اكتسبوه من خبرة ومعرفة بهذه المناطق ، وما تركوه هناك من بذور طيبة للديانة الاسلامية .

وحينما استقرت الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان ، وتنازل الحسن بن علي عنها ، وعاد المسلمون الى الجماعة والوحدة ، أعاد عمرو بن العاص مرة ثانية لولاية مصر ، لكن الامور بالنسبة له كانت مغايرة لما كان عليه الحال في المرة الاولى ، فرغم أنه لهم يهمل افريقية تماما ، الا أنه اكتفى بتجريد بعض الحملات والسرايا حيث يورد الدكتور عبد العزيز سالم ، نقلا عن المؤرخين المسلمين أن عمرو أرسل عقبة بن نافع لقتال لواتة ومزاتة ، كما أنه غزا بعض الاقاليم الجنوبية (٣٧) .

وحين توفي عمرو بن العاص ، قرر الخليفة معاوية بن أبي سفيان فصل ولاية افريقية عن ولاية مصر ، وجعلها تابعة للخلافة مباشرة

(٣٦) ابن كثير : البداية والنهاية ج ٧ صفحة : ١٧٢ .

(٣٧) السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ج ٢ صفحة : ١٧٥ .

ففي سنة ٤٤ هجرية حدث ذلك التطور الخطير في علاقة المغرب بالخلافة الإسلامية ومنذ ذلك الحين أصبح المغرب ولاية مستقلة تابعة للخلافة رأسياً ، وكان معاوية بن حديج أول وال إسلامي عين على أفريقية (٣٨) .

تجمع الروايات التاريخية على اهتمام الخليفة معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنه بأمر أفريقية ، وأنه طلب من ابن حديج مواصلة الجهاد في أفريقية ، وأمدّه بمعدد كبير من المقاتلة منهم الكثير من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبناء صحابته المهاجرين أمثال عبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمر ، وعبد الملك بن مروان ، وغيرهم .

خرج ابن حديج في جيش كبير حتى وصل الى جنوب قرطاجنة في موضع يعرف بقونية ، وهو المكان الذى سوف تنشأ عليه قيروان المسلمين فيما بعد كما انه المكان الذى سبق فيه قتال المسلمين بقيادة عبد الله بن سعد للبيزنطيين بقيادة جرجير وهناك التقى مع الجيش البيزنطى بقيادة نففور ، فانهمز البيزنطيون عنده أول اشتباك وانسحبوا الى مدينة سوسة وتحصنوا الى داخل أسوارها ، ويؤكد الدكتور حسين مؤنس أن العرب قد وقع بالبيزنطيين ولذئك غانهم بعد مناوشات قليلة مع المسلمين ألقوا من سوسة الى صقلية ، واستولى المسلمون على سوسة (٣٩) . ويرى الدكتور عبد العزيز سالم أن ابن حديج سير جيشين : أحدهما بقيادة عبد الله بن الزبير ووجهته سوسة ، والثانى بقيادة عبد الملك بن مروان ، ووجهته حصن جلواء . وظل هو معسكرا في منطقة القرن مدة طويلة ، حتى يقال أنه قد بنى مساكن سماها قيروان ، واحتقر هناك الأبيار المعروفة باسم آبار معاوية بن حديج (٤٠) .

-
- (٣٨) حسين مؤنس : فجر الاندلس صفحة : ٣٨ . وعبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ج ٢ صفحة : ١٧٦ .
(٣٩) حسين مؤنس : فجر الاندلس صفحة : ٣٩ .
(٤٠) عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ج ٢ صفحة : ١٨٣ .

تمكن المسلمون في هذه الغزوة من فتح سوسة وجلولاء وكذلك من الاستيلاء على بنزرت وجزيرة جربة ، وهناك اشارات الى قيام معاوية من حديج بارسال أسطوله في هذه الفترة لغزو جزيرة صقلية ، لكن معظم الدراسات الحديثة لا تميل الى تصديق هذه الرواية (٤١) .

لم تفتح الفرصة لمعاوية بن حديج لاستكمال فتح افريقية اذ عزله الخليفة معاوية بن أبي سفيان عن قيادة الجند في افريقيا عام ٤٨ هـ . وعين بدلا منه القائد المجاهد عقبة بن نافع الفهري الذي تعتبر ولايته تعبيرا عن نظرة الخلافة الاسلامية الجديدة الى الفتوحات في افريقية ، وأنه قد آن الاوان - لاستقرار المسلمين الدائم هناك ، مما يدل على أن عزل معاوية بن حديج لم يكن راجعا الى نقص أو تقصير ، وإنما كان اختيار عقبة بن نافع مؤشرا لتطور جديد في استراتيجية الفتح في المغرب ، ونابعا من قناعة تامة بأن القائد الجديد وليس غيره رجل المستقبل في مرحلة انتهت بها حرب الاستنزاف والسرايا العادية ، لتبدأ مرحلة ذوى الكفاءات والأهمية العسكرية من فريسان هذه الجهة الموهوبين (٤٢) .

المرحلة الرابعة : عقبة بن نافع الفهري في ولايته الاولى (٥٠ - ٥٥ هـ) .
يجمع المؤرخون على أن بداية ولاية عقبة بن نافع الفهري تمثل مرحلة جديدة من مراحل الجهاد الاسلامي في منطقة المغرب ، وكان اختيار

(٤١) انظر في ذلك . حسين مؤنس ، فجر الاندلس صفحة ٣٩ وعبد العزيز سالم في المغرب الكبير صفحة : ١٨٥ - ١٨٦ . و ابراهيم بيضون في الدولة العربية في أسبانيا صفحة : ٣١ - ٣٢ ومع ذلك فقد مال الى تصديقها الدكتور احمد مختار العبادي في تاريخ المغرب والاندلس صفحة : ٣٨ . وكتابه دراسات في تاريخ المغرب والاندلس صفحة ٦ - ٧ اعتمادا على كثير من المصادر التاريخية .

(٤٢) ابراهيم بيضون : الدولة العربية في اسبانيا الصفحات ٣٢ - ٣٣ اعتمادا على كثير من المصادر التاريخية .

معاوية لعقبة اختيارا موفقا جدا ، نظرا لتاريخه الطويل وخبرته العميقة في شئون هذه المنطقة ، فهو واحد من أوائل المجاهدين حيث كان من قادة عمرو بن العاص في حملته الاولى على برقة ، وكان عمره حينذاك في حدود الرابعة عشر عاما ، وأنه ظل مرابطا هناك بعد عوده عمرو بن العاص الى مصر ، وخلال ذلك شارك في كافة مراحل الكفاح في المنطقة ، ففي حملة عمرو بن العاص على طرابلس كان عقبة على رأس الجيش الذي أخضع قبيلة لواتة بذلك الأنواحي . كذلك انضم عقبة الى حملة عبد الله من سعد بن أبي السرح وتشير المصادر الى أنه في الوقت الذي كان فيه معاوية بن حديج يرسل السرايا الى الاقاليم الشمالية الساحلية في سوسة وبفرت وقابس ، كان عقبة بن نافع يحارب في الصحراء الجنوبية في فزان وودان وما وراءها من الواحات الجنوبية (٤٣) .

بالإضافة الى ذلك ، ركز المؤرخون على ما كان يتصف به عقبة ابن نافع من تقوى وورع شديدين ، فهو عند الدكتور حسين مؤنس « وكان في نفسه رجلا شديدا الايمان تميز نفسه الى نشر الدين (٤٤) وعند العبادي » كان رجلا مرابطا مجاهدا في سبيل الله لدرجة أن بعض الروايات جعلت منه بطلا أسطوريا بل قطبا عارفا مستجاب الدعوة (٤٥) وعند الدكتور عبد العزيز سالم « من أكابر التابعين وأفاضلهم (٤٦) » .

هو عقبة بن نافع بن عبد قيس الفهري ، ولد قبل وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعام واحد (٤٧) ويرى الدكتور سالم أنه قد ولد على عهد الرسول عليه السلام ، على أساس اشتراكه في فتح مصر وأقليم برقة وطرابلس ، وأن عمرو كان يقدر بلده ، ويرفع

-
- (٤٣) مختار العبادي : في تاريخ المغرب والاندلس صفحة : ٣٨ - ٣٩
(٤٤) حسين مؤنس : فجر الاندلس صفحة : ٣٩ .
(٤٥) العبادي : في تاريخ المغرب والاندلس صفحة : ٣٩ .
(٤٦) عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ج ٢ صفحة : ١٩١ .
(٤٧) ابن عذاري : البيان المغرب ج ١ صفحة : ٩ .

منزلته ، ويثق في كفايته ، ويجعله قائدا وليس من المعقول أن يكون ذلك لشاب لم يجاوز العاشرة (٤٨) .

وتعتبر ولاية عقبة بن نافع على افريقية بداية استقرار لفتوحات المسلمين هناك . ولقد طال الزمن بعقبة بن نافع وهو يتقرب الفرصة ليستأنف فتوحاته التي بدأها منذ حملة عمرو من العاص الاولى في فزان وودان وما يجاورها من جوف الصحراء . ولا نزاع في أن طول عهده بافريقية ، وكثرة اشتغاله بحروبها قد مكنه من تكوين فكرة واضحة عن هذه البلاد التي جال ربوعها ، وتعرف على الكثير من أخلاق وعادات أهلها ، وتأكد أن فتح افريقية والمغرب لا يثبت الا بأمرين أساسيين : أولهما اتشاء مركز للمسلمين تعمكر فيه جيوشهم ، ويأمنون فيه على نسلاتهم وذرائعهم وأموالهم ومنه يخرجون للغزو بدلا من العودة في كل مرة الى فسطاط مصر . أما ثانياً الامرين فهو غزو البربر أنفسهم ، والتوغل في قلب بلادهم ، وأدراكهم في منازلهم سواء في الهضاب أو في الجبال ، دون الاقتصار على غزو مدن الساحل ، ثم العودة الى الفسطاط ، لانه - كما سبق القول - بعودة المسلمين الى مصر تعود الامور في افريقية الى ما كانت عليه لاتصال هذه المناطق عن طريق البحر بالبيزنطيين وتتلقى منهم الامدادات الدائمة ، وكانوا كما وصفهم المؤرخون المسلمون « اذا دخل عليهم أمير أطاعوا ، وأظهر بعضهم الاسلام ، فاذا عاد الامير عنهم نكثوا وارتد من أسلم والى هذا المعنى أشار عقبة بن نافع (٤٩) .

تلك كانت الخطة التي وضعها عقبة بن نافع ، وأراد أن ينفذها على مرحلتين ، لكنه اذا كان قد نجح في أن ينفذ المرحلة الاولى ببناء القيروان ، فانه ما كاد يشرع في العمل في المرحلة الثانية حتى رأت الخلافة أن تعهد بقيادة جيوش المسلمين في افريقية الى أبي المهاجر دينار ، مولى مسلمة من مخلص الانصارى ، والى مصر حينذاك من قبل الخليفة معاوية بن أبي سفيان .

(٤٨) عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ج ٢ صفحة ١٩١ .

(٤٩) ابن عذارى : البيان المغرب ج ١ صفحة : ١٩ ، ابن الاثير

الكامل في التاريخ . ج ٣٧ صفحة : ٢٣٤ .

خرج عقبة الى افريقية في سنة ٥٠ هجرية في جيش تراوح تعداده ما بين عشرة آلاف على ما يذكر ابن عذارى (٥٠) أو أكثر من ذلك على ما يذكر الدكتور السيد عبد العزيز سالم (٥١) ، وتحجب السير على الطريق الساحلى المعروف والذي كان عليه اتجاه الحملات من قبل واتخذ طريقا داخليا لعله يتمكن من مفاجأة البربر والسكان ، ومضى يفتح الحصون والقصور ، ويضرب بين القبائل ، ويترك فيها من يحرسها حتى وصل الى الموضع الذى سبق أن عسكر فيه من قبل قائد جيوش المسلمين في افريقية معاوية بن حديج والذي يرى بعض المؤرخين أنه هو أول من فكر في اتخاذ قاعدة للمسلمين في أفريقية وأنه سبق له « أن اختط مدينة عند القرن قبل تأسيس عقبة للقيروان وأقام بها إقامته بافريقية » (٥٢) ولكن عقبة عدل عن هذا المكان الى مكان آخر أكثر عمقا في داخل الصحراء خشية تعرض مدينته الجديدة لغارات البيزنطيين وقسائل ، انى أخاف أن يطرقها صاحب القسطنطينية بغتة فيملكها ، ولكن جعلوا بينها وبين البحر مالا يدركه صالحي البحر الا وقد علم به (٥٣) كما أنه اختار مكانا صالحا للرعى ، يقول ابن عبد الحكم أن عقبة ركب « والناس معه حتى أتى موضع القيروان اليوم ، وكان واديا كثير الشجر ، كثير القطف » (٥٤) .

شرع عقبة في تأسيس مدينته في عام ٥٠ هـ أو ٥١ هـ فاختط دار الامارة والمسجد وأقام حوله دور عسكره ، واستغرق بناء المدينة ٤ سنوات كاملة مما جعل المؤرخين يعجبون من طول فترة البناء خاصة وأن المسلمين كانوا وسط محيط كبير من الأعداء وأرجع المؤرخون ذلك ، الى الظروف الأولى في هذه الفترة ، وخاصة ما كانت تمر به

-
- (٥٠) ابن عذارى البيان المغرب ج ١ صفحة ١٩ .
(٥١) عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ج ٧ صفحة : ١٩٧ .
(٥٢) ابن عبد الحكم : فتوح افريقية صفحة : ٥٤ .
(٥٣) ابن عذارى : البيان المغرب ج ١ صفحة ١٩ .
(٥٤) ابن عبد الحكم : فتوح افريقية صفحة : ٥٤ . ابن عذارى - البيان صفحة (٢٠) .

الامبراطورية البيزنطية من مدافعة المسلمين عنها في الشرق وما انتابها من أزمات داخلية (٥٥) .

عمرت القيروان بمختلف الابنية ، وأمها الناس من جميع الجهات وقامت بها الاسواق ، ويبالغ ابن عذارى في وصفها وعدد دورها فيقول : ثم أخذ الناس في بناء المساجد والمساكن ، وعمرت ، وشهد الناس اليها المطايا من كل أفق ، وعظم قدرها ، وكان دورها ثلاثة عشر ألف ذراع ، وستمائة ذراع حتى اكتمل أمرها . (٥٦) .

وأصبحت المدينة هي قاعدة المسلمين الاساسية في كل ما هو غرب مصر وترتب على ذلك ظهور هذه المنطقة كولاية لها أهميتها ، مما أكد نظرية الخلافة الخاصة بضرورة فصلها عن مصر ، كما جعلت الجهاد فيها مطمحاً يمكن أن يسجل أسماء القائمين عليه في هذه المنطقة في سجل الخالدين .

ومن أجل ذلك سعى مسلمة بن مخلد الانصارى والى مصر لى تكون له السيطرة على هذه المنطقة بالاضافة الى مصر واستغل في ذلك صلته الوثيقة بالخليفة معاوية بن أبى سفيان الذى استجاب لآرائه وعزل عقبة بن نافع الفهري عن ولاية افريقية وضمها الى مسلمة بن مخلد الذى أصبح بذلك أول وال ضمت اليه ولاية مصر والمغرب (٥٧) ، وقام مسلمة بتعيين هولاة أبا المهاجر دينار على افريقية .

المرحلة الخامسة : أبو المهاجر دينار ٥٥ - ٦٢ هـ .

تولى أبو المهاجر ادارة شئون جند المسلمين في افريقية من سنة ٥٥ الى سنة ٦٢ هـ ، أى حوالى سبع سنوات الى أن عاد عقبة بن نافع

(٥٥) ابراهيم بيمون : الدولة العربية في اسبانيا صفحة : ٣٤

(٥٦) ابن عذارى : البيان المغرب ج ١ صفحة : ٢١ .

(٥٧) ابن عبد الحكم : فتوح افريقيا والاندلس صفحة : ٥٥ . وابن

عذارى : البيان المغرب ج ١ صفحة : ٢١ ويؤكد ذلك أيضا الدكتور

عبد الله أندهس الطباع نقلا عن ابن الأبار في كتابه الحلة السيرة . انظر

فتوح افريقيا صفحة ٢٢ التعليق رقم / ١ .

مرة ثانية الى افريقية . وربما كان ذلك سببا في اهمال بعض المؤرخين لهذه الفترة من جهاد المسلمين في المغرب وأنصرافهم عنها ، وذلك لتتبعهم أعمال عقبة بن نافع مما جعلهم يعبرون فترة أبي المهاجر مسرعين .

لم يكن أبو المهاجر دينار أقل كفاءة من عقبة بن نافع فهما ينتميان الى مدرسة واحدة هي مدرسة الاسلام ، وتعلم فيهما الاثنان معنى الجهاد والتضحية في سبيل الله ورغم كل ما أثاره بعض المؤرخين من خلاف بين القائلين أو ما حدث بينهما من اساءة فاننا نجدهما يشتركان في هدف واحد هو العمل ما أمكنهما على نشر كلمة الله سبحانه وتعالى في المغرب ، وإن اختلف أسلوب كل منهما في تأدية هذا الواجب .

لقب عبد كان عقبة عسكريا صرفا تميز بطبيعته الى حسم الامور مستخدما سيفه وجنده ، بينما كان أبو المهاجر رجلا سياسيا محنكا ، استخدم السيف حين كان له ضرورة وأعمل فكره لكي يتمكن من قلوب بعض البربر ويضمهم الى الاسلام ويخرجهم من ساحة الاعداء الى ساحة المحايدين ان لم يكونوا معاهدين .

كان أبو المهاجر أول قائد مسلم يقدر له أن يخرج من سهل تونس ليتوغل في هضاب المغرب الاوسط ، ويهاجم القبائل البربرية في مواطنها الحصينة ، ويوجز ابن عبد الحكم حديثه عن أبي المهاجر فيقول فاهما قدم افريقية كره أن ينزل في الموضع الذي اختطه عقبة بن نافع ومضى حتى خلفه بميلين فبنى ونزل ، وكان الناس قبل أبي المهاجر يغزون افريقية ثم يقفلون منها الى القسطنطينة ، وأول من أقام بها حين غزاها ، أبو المهاجر مولى الانصار ، أقام بها الشتاء والصيف واتخذها منزلا (٥٨) .

ونفسيرنا لتخطى أبي المهاجر دينار قيروان عقبة بن نافع واتخاذها مكانا يبعد عنه ميلين هو أن أبا المهاجر أراد الاقتراب

أكثر من مواقع قتاله ، وليس كما يذهب بعض الباحثين كراهية لما
بناه عقبة بن نافع ، والله أعلم (٥٩) .

خرج أبو المهاجر على رأس قواته يفتتح ما يمر به من بلاد
حتى وصل الى مكان تكثر به العيون بالقرب من تلمسان وتعرف هذه
هذه العيون باسم عيون أبي المهاجر ، ومن هناك زحف الى قبيلة
أوربة أقوى قبائل بربر البرانس ، وكان زعيم هذه القبيلة هو كسيلة
بن لزوم الاوربي ، فالتقى عليه أبو المهاجر وظفر به ، وعرض عليه
الاسلام فأسلم ، وأحسن اليه أبو المهاجر واستبقاه (٦٠) . وأسلم
معه كثير من قومه ، ونجح أبو المهاجر بفضل مؤازرة كسيلة له في
الاستيلاء على تلمسان ، وبهذا يعتبر أول أمير مسلم وطئت خيله
أرض المغرب الاوسط ، وتدل نتائج هذه الحملة على مقدرته السياسية
وكياسته في كسب زعيم بربر أوربة الى جانب المسلمين (٦١) .

ويذكر المؤرخون لأبي المهاجر دينار حملة أخرى ضد الروم
في هذه المرة بعد أن كانت حملته الأولى ضد البربر ، حيث اتجه
الى قتال قرطاجنة عاصمة الروم في افريقية وكان القتال شديدا
بين الفريقين ، وكثر القتل بين الناس ، واستمرت المعركة يومين
وبعدها صالح أبو المهاجر أهل قرطاجنة على أن يتنازلوا له عن
جزيرة شريك ، وهي نتوء بارز في البحر يشرف على قرطاجنة وما وراءها
من ولاية افريقية ، وفي هذا دليل واضح على بعد نظر أبي المهاجر
فهو قد وضع الأرض كشرط للصلح بدلا من المال ، وفي هذا تمكين
للمسلمين في هذه البلاد ، كما أن هذه المنطقة ذات أهمية حربية
كبرى يستطيع أن يحمي ما وراءه من أقطار ، ويرد غارات الروم المفاجئة من
البحر (٦٢) .

(٥٩) انظر تحليل الدكتور عبد العزيز سالم لهذه الواقعة في
كتاب المغرب الكبير صفحة : ٢١٣ - ٢١٥ .

(٦٠) ابن عذاري البيان المغرب ج ١ صفحة : ٣٨ - ٣٩ .

(٦١) عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ج ٢ صفحة ٢١٩ صفحة ٢١٩

حسين مؤنس . فجر الاندلس صفحة : ٤٠ .

(٦٢) شكري فيصل : حركة الفتح الاسلامي . صفحة : ١٦٦ - ١٦٧

وعاد أبو المهاجر دينار الى معسكره ليقيم فيه حوالى العام وفى هذه الاثناء كانت الظروف السياسية فى عاصمة الدولة الاسلامية قد تغيرت، فمات الخليفة معاوية سنة ٦٠ هـ . وتولى بدلا منه ابنه يزيد الذى استجاب الى شكايات عقبة بن نافع ورغبته فى العودة الى موطن جهاده فعزل الخليفة أبا المهاجر دينار وولى مكانه عقبة بن نافع وذلك فى حدود عام ٦٢ هـ .

المرحلة السادسة : عقبة بن نافع فى ولاية الثانية ٦٢ - ٦٤ هـ .

يمكن لنا أن نتصور مشاعر عقبة بن نافع مع عودته الى القيادة فى افريقية ، لقد كان أحد أسباب عزله عن افريقية اتهامه بالتقصير فى الجهاد والحرب واضاعة الوقت فى بناء القيروان ، ولعل ذلك القول ، وغيره مما لم يكن له أساس من الصحة قد بعث فى عقبة الكثير من الافكار التى قد لا تؤدى الى نتائج مرضية ، فهو قد عاد ونفسه محملة بفكرة خوض المعارك أيا كان موقعها ، وأن يثبت عكس ما تقول به عليه ، وننتبين خطته الجديدة حين وصوله الى القيروان مع من صدبه من صحاب رسول الله والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين ، فانه يعيد العمران الى مدينته ، ويدعو لها قائلا يارب املاها علما وفقها ، واملاها بالمطيعين لك ، واجعلها عزا لدينك ، وذلا على من كفرك (٦٣) . ثم يعزم على الغزو فى سبيل الله ، فيترك حامية صغيرة فى المدينة برئاسة زهير بن قيس البلوى - الذى يماثله صلاحا وورعا ، ويجمع عقبة أولاده ليقول لهم « انى قد بعث نفسى من الله عز وجل وغرمت على من كفر به ، حتى أقتل فيه والحق به ، ولست أدرى أترونى بعد يومى هذا أم لا ؟ » لان أملى الموت فى سبيل الله « (٦٤) .

كانت هذه هى المشاعر التى تنفاب عقبة رضى الله عنه ، ومن هنا رفض سياسة أبى المهاجر القائمة على اصطناع البربر والتقرب

(٦٣) ابن عذارى : البيان المغرب ج ١ صفحة : ٢٣ .

(٦٤) ابن عذارى : البيان المغرب ج ١ صفحة : ٢٣ - ٢٤ .

منهم ، بل انه سجن أبا المهاجر وكسيلة وحملهما معه متجدين بالحديد في غزوته الكبرى التي قطع فيها كل المغرب الأوسط والأقصى حتى وصل طنجة ، ومنها الى السوس الأدنى ، حتى خاض بفريسه في مياه المحيط ، فأحدم فريسه فيه حتى بلغ الماء نحره ، ثم قال « اللهم اني أشهدك أن لا مجاز ولو وجدت مجازا لجزت » (٦٥) .

ويبين لنا ابن عذاري في تصوير واضح حالة عقبة بن نافع النفسية التي ملأت عليه نفسه ، وهي حبه للجهاد والقتال ، والتقدم الى أقصى ما يمكن الوصول ، دون توخي الحذر وأورد فقرات من هذا النص لأهميته ، وللنتائج الخطيرة التي تترتب على تلك الغزوة فيصف لنا غزوات عقبة بعد أن أوصى أولاده بقوله « خرج رحمه الله غازيا للروم والبربر وهم اذ ذاك مجوس ونصاري ، وذلك بمدينة باغاية وقرطاجنة وما والاها . فهزمهم ، وقتلهم تقتيلا وغزوته الى مدينة باغاية فلم ير المسلمون في مغازيهم أصلب منها ، . . . فحضر الى مدينة المنستير ، وكانت في ذلك الزمان من أعظم مدائن الروم وغزوته بالزاب وقتاله اياهم على وادي المسيلة . . . وغزوته بتيهت . . . وغزوته أيضا الى طنجة ، وذلك أنه لما توالى الهزائم على نصارى افريقية وبربرها وكثر القتل فيهم حتى كاد يستأصلهم لجأ من بقى منهم الى الحصون والمعقل ، فلم يبرحوها فكره القمام على محاصرتهم ، فيفوته الغزو وقتل غيرهم من الطوائف الكفار اذ كانت أمم المغرب من نصارى وبربر لا يحصون كثرة وانتشارا - ولا يكتاثرون بالرمل والحصى - فترك أهل افريقية متحصنين بحصونهم وأوغل في الغرب ، يقتل ويأسر أمة بعد أمة ، وطائفة بعد طائفة بائعا نفسه عن مولاه ، لا تروعه كثرة ولا تعتريه هو ومن معه سامة ولا قفرة حتى صار بأحواز طنجة (٦٦) .

وفي غمرة هذا الحماس ، والانغماس في محاولة تحقيق نصر حاسم على البربر والاروم ، يهرب كسيلة زعيم البربر ، ويرتد عن الاسلام ،

(٦٥) ابن عبد الحكم : فتوح افريقية صفحة : ٦٠ .

(٦٦) ابن عذاري : البيان المغرب ج ١ صفحة : ٢٥ - ٢٦ .

ويجتمع حوله البربر من جديد ويعود التحالف القدام بين البربر والبيزنطيين وساعد على ذلك سياسة التسامح الديني التي اتبعتها الامبراطورية العتيقة في عهد قسطنطين الرابع ٦٦٨ - ٦٨٥ م . (٦٧) . وتربص الخطر بعقبة والمسلمين في طريق عودتهم دون أن يشعروا به ، فلقد كانت انحصاراتهم الكبيرة وغزواتهم الموفقة مما يوحى للنفس بالامان والاطمئنان ، ولم يكن الامر كذلك .

بدأ عقبة بن نافع رحلة العودة الى القيروان بعد أن أرضى نفسه ، وكان جيشه قد تناقص كثيرا في القتال ثم أنه صرف أعذارا كبرى منه لتسببه الى القيروان ربما لان اخبارا مقلقة قد وصلت على ما يرى الدكتور العبادي (٦٨) أو لانه قد اطمأن الى ما أنجزه في المغرب الاقصى كما يرى الدكتور بيضون (٦٩) .

ويرجع ابن عذارى تصرف عقبة الى ثقته الكاملة واطمئنانه لنتائج حروبه السابقة ، فيقول : لما وصل الى مدينة طبنسة أمر أصحابه ، فتقدموا ثقة منه بما دوخ من البلاد وأنه لا يقوم له أحد ، لينفذ قدر الله ومراده ، ويتعجل لبعده من كرامته ميعاده . فينصرف أصحابه الى منازلهم عند قريهم منها وسار هو الى مدينة تهودة لينظر فيمن يصلح لها من الفرسان ، فلما انتهى اليها بقيية من كانوا معه وكانوا قليلا (٧٠) .

عند وصول عقبة ومن معه ، وكانوا حوالي خمسة آلاف ، الى مدينة تهودة فاجأهم كسيلة البربري في جيش ينيف على خمسين ألفا أو يزيد ، ولم يكن بد من القتال في وقت غير ملائم وبموازين عسكرية

-
- (٦٧) شمكري فيصل : حركة الفتح الاسلامي صفحة ١٦٧ .
(٦٨) أحمد مختار العبادي : في تاريخ المغرب والانطلس صفحة : ٤١
وبوافقه على ذلك د . السيد عبد العزيز سالم . انظر كتابه المغرب الكبير ج ٢ : صفحة : ٢٢٧ اعتمادا على اقوال ابن عذارى ج ١ : صفحة : ٢٨ .
(٦٩) ابراهيم بيضون : الدولة العربية في اسبانيا .
(٧٠) ابن عذارى : البيان المغرب ج ١ : صفحة : ٢٨ .

غير متكافئة ، وكان على المسلمين ، رغم شدة تعبهم ونصبهم أن يخوضوا حربا ضد عدو يفوقهم عددا وعدة ولم يكن من سييل الا احدى الحسينيين اما النصر واما الشهادة وقاتلوا قتال الابطال ، وتساقط الشهداء ، ويرى القائد المسلم أن لا أمل في النصر ، فيأمر بفك قيود أبى المهاجر دينار ويطلب منه ان يلحق بالناس في القيروان ، لكن متى كان المسلم حقا ينجو بنفسه ويترك أخاه في معمة القتال ، ولقد كان أبو المهاجر مسلما ، فظل الى جوار قرائده الى أن استشهدا معا وأيديهما على سيفيهما الى جانب الالاف من جنودهما الذين فضلوا الاستشهاد ورووا أرض تهودة بجنائهم الزكية .

وهناك رواية أخرى تدل على ما كان يتمتع به قائد المسلمين من روح تعلو على كل حزازات شخصية ، وتقسامى الى تلك الكفانة العالية التي خلقها الاسلام في النفوس ، ومفاد هذه الرواية أن أبى المهاجر رضوان الله عليه كان مقيدا بالحديد حين المعركة وكم ألم ذلك نفسه ، فهتف قائلا :

كفى حزنا ان ترتدى الخيل بالقنا

واترك مشحودا على وثاقيه *

فلما سمع عقبة بذلك أمر بفك قيوده ، واشترك أبو المهاجر في القتال الى أن لقي ربه مع جنود المسلمين في هذه المعركة .

لقد انجبت معركة تهودة عن هزيمة قاسية للمسلمين ، وفقدانهم لاثنتين من كبار قادتهم ، كما كان لها نتائج سيئة جدا ، وبعبدا خطيرا أضاع على المسلمين كفاح ما يقرب من أربعين عاما .

لقد انتشى كسيلة بنصره ، وتقدم ليحتل قيروان المسلمين الذى سبق أن رحل عنه زهير بن قيس ، وانسحب بمن معه من المقاتلين

(*) روى القاضى ابو يوسف رحمه الله في كتابه « الخراج » أن أبى محجن كان سجينا عند سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه أثناء معركة القادسية وأنه انشد هذا البيت لكى يطلق سراحه ، على ان يعود الى القيد بعد المعركة « انظر ص ٣١ من كتاب الخراج .

الى برقة ، وعادت افريقية كما كانت ، الا من دخل في الاسلام من البربر ، ويرى الدكتور حسين مؤنس ، أن الهزيمة لم تكن قاضية على كل أثر للمسلمين في البلاد إذ أن افريقية تضم اذ ذاك جماعات اسلامية قوية في القيروان وما حولها وفي بعض نواحي الاوراس ، وقد خضعت هذه الجماعات لكسيلة ، ولكنها ظلت تتقرب عودة المسلمين (٧١) .

ويتأكد هذا الرأي حينما نرى كسيلة يحسن معاملته مسلمي القيروان لعلمه بأن المسلمين لن يتركوها وسيعودون اليها ثانية ، ثم نراه بعد ذلك يرحل عنها ويعود ادراجه الى بلده ممس خوفا من وثوب المسلمين عليه في القيروان .

ويعلق الدكتور شكوى فيحصل على هذه المعركة بقوله : وكانت مأساة تهودة هي أقسى ما لقي المسلمون من هزيمة في فتوح المغرب وقد تكون أقسى ما لقوا في الفتوح الاخرى ، فلم نشهد الا مرة واحدة في فتوح طرستان حين هلك جيش مصتلة ، أن الجيش قد فنى كله ، ولم نشهد مرة أن حركة الارتداد شملت الاقطار المفتوحة بمثل هذه المسعة الواسعة من طنجة الى القيروان أو برقة .

لقد خرجت افريقية من يد الجيش الاسلامي ، ولكنها لم تخرج من يد المسلمين فقد كانت أسلمت بعض قبائل البربر ، وكانت بقية في برقة تنتظر ساعة الثار ، وكان لا بد من جولة جديدة (٧٢) .

ونختتم الاشارة الى أثر هذه المعركة بالتعليق الذي أورده الدكتور السيد عبد العزيز سالم : ودوى خبر مقتل عقبة في افريقية والمغرب دويها هائلا ، وكان له أثر عميق في نفوس المسلمين ، وكان كسيلة قد زحف بجيوش لا حصر لها من البربر والروم الى القيروان « فانقلبت - افريقية نارا » ، وعظم البلاء على المسلمين « (٧٣) .

(٧١) حسين مؤنس : فجر الاندلس صفحة : ٤١ .

(٧٢) شكوى فيحصل : حركة الفتح الاسلامي صفحة : ١٧٠ .

(٧٣) عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ج ٢ صفحة : ٢٢٩ .

المرحلة السابعة : زهير بن قيس البلوى ٦٩ - ٧٠ هـ .

انسحب زهير ببقايا المسلمين من القيروان ، وأقام في برقة أكثر من ٤ سنوات ينتظر ما تنجلي عنه الاحداث في عاصمة الخلافة الاسلامية وسيطر كسيلة على كل افريقية والمغرب .

في ذلك الوقت كانت الدولة الاسلامية في دمشق تشهد أياما عصيبة ، فلقد دعا عبد الله بن الزبير رضى الله عنه الى نفسه وأرسل يزيد جيوشه لمحاربته ، وتعرضت مدينة رسول الله لموقعة الحرة ، واتجهت جيوش يزيد محاصرة عبد الله بن الزبير في مكة . ومات يزيد بن معاوية سنة ٦٤ هـ . وتطورت الامور بعد وفاته تطورا خطيرا في خلافة ابنه معاوية الثانى التى لم تستمر لأكثر من ٤٠ يوما فلم يتمتع بالملك مرضه ولم يكن بد من انزوائه في داره حتى مات (٧٤) .

وعقد زعماء الاموية مؤتمرا بالجابية عام ٦٥ تناقشوا فيه أمرهم وبايعوا بالخلافة مروان بن الحكم الذى تمكن من الانتصار على جماعة عبد الله بن الزبير في معركة مرج راهط سنة ٦٥ هـ . واستطاع مروان بن الحكم ان يسترد مصر من عامل ابن الزبير ، ثم أرسل مروان جيشين أحدهما الى العراق والآخر الى الحجاز ، تمكن جيش الحجاز فيما بعد من هزيمة جيوش عبد الله بن الزبير . ومات مروان بن الحكم سنة ٦٥ هـ . بعد أن عهد بالخلافة من بعده لابنيه عبد الملك وعبد العزيز (٧٥) .

تمكن عبد الملك بن مروان من مواجهة كل الصعاب التى كانت تعترضه واستنقر له أمر الخلافة ، وكان عليه ان لا ينسى ميدان جهاد المسلمين في افريقية ، وهو ميدان شهد بعض جهاده تحت إمرة معاوية بن حديج ، واختار عبد الملك لذلك زهير بن قيس البلوى ، وذلك لتشابهه مع عقبة رحمه الله في الزهد والورع ، وصاحبته ايام ، وأنه أقرب الناس اليه .

(٧٤) حسن إبراهيم : (الدكتور) تاريخ الاسلام ج ١ ص ٢٨٨ .

(٧٥) حسن إبراهيم حسن : نفس المصدر ج ١ ص ٢٩٠ .

يروى ابن عذارى أنه لما ولى عبد الملك واشتد سلطانه . اجتمع
أكابر المسلمين إليه ، وسألوه تخليص افريقية ، ومن بها من المسلمين
من يد كسيلة اللعين . فقال : « لا يصلح للطلاب بدم عقبة من الروم
والبربر الا من هو مثله ديننا وعقلا » .

فاجتمع رأيهم على تقديم زهير بن قيس البلوى ، وقالوا : هذا
صاحب عقبة ، وأعلم الناس ، يسيرته ، وتديره ، وأولاهم بطلب
دمه » (٧٦) .

كتب عبد الملك الى زهير بن قيس يأمره بجهاد البربر ، فرد عليه
زهير يعلمه بقله جنده وكثرة أعدائه ، فأمدّه عبد الملك بن مروان بالخيول
والرجال والاهوال ، وحشد اليه وجوه العرب ، وبعثهم اليه فوفدت
الجيوش على زهير ، وتسرّع الناس معه الى افريقية (٧٧) . أما ابن
عبد الحكم فانه يروى أن عبد العزيز بن مروان والى مصر في تلك الفترة
هو الذى أمر زهيرا بالسير لقتال كسيلة (٧٨) .

كان زهير بن قيس قد صحب عقبة بن نافع منذ عام ٤٣ هجرية
واشتبك في فتوح افريقية منذ ذلك الحين ، وكان من كبار رجال عقبة
الذين يثق في كفايتهم فيوليه شأن التبروان أثناء قيامه بحملته الكبرى
على المغرب .

خرج زهير بالمدد الذى وصله من عبد الملك بن مروان ، وما أمكنه
تجنيدته من عرب افريقية ، وتوجه في جيش كثيف للقاء كسيلة عند
ممس ، وانقصر عليه انتصارا ساحقا ، وقتل كسيلة في المعركة ، ومعه
جموع كبيرة من البربر وتوغل فرسان المسلمين في المغرب ، وينقل
لنا تعليق السلاوى على هذه المعركة وهو « وفي هذه الواقعة ذل
البربر وفنيت فرسانهم ورجالهم ، وخضعت شوكتهم ، واضمحل أمر
الفرنجة فلم يعد كما كان ، وخاف البربر من زهير والعرب خوفا

(٧٦) ابن عذارى : البيان المغرب ج ١ صفحة : ٣١ .

(٧٧) ابن عذارى : البيان المغرب ج ١ صفحة : ٣١ .

(٧٨) ابن عبد الحكم فتوح افريقية صفحة : ٦١ .

شهيدا فلاجئوا إلى القلاع والحصون وكسرت شوكة أوربة من بينهم ،
واستقر جمهورهم بديار المغرب الاقصى وملكوا مدينة وأيلي » (٧٩) .

عاد زهير بن قيس البلوى وجيشه إلى القيروان ، وترك من أراد
الاقامة وكان وجوده وجيشه في القيروان يثيران خوف اللبربر مما جعلهم
على حذر قول ابن عذارى يلجأون إلى الحصون والقلاع ولعل ذلك كان
سببا في أن يعود زهير إلى برقة ، ومعه من أراد اصطحابه ، بعد
أن اطمأن إلى أنه قد أدى واجبه ، وانتقم لمصر عقبة ومن معه من
المسلمين ويقول عن ذلك ابن عذارى : ثم ان زهيرا رأى بافريقية
ملكا عظيما ، فأبى أن يقيم بها وقال : « إني ما قدمت الا للجهاد
وأخاف أن تميل بي إلى الدنيا فأهلك » وكان من رؤساء العابدين
وكبراء الزاهدين ، فترك القيروان آدنة ، وانصرف عنها وأقام بها
كثير من أصحابه » (٨٠) .

ولا شك أن الروم كانوا يراقبون الاحداث في افريقية وقد أصابهم
ما وقع بكسيلة ، وأفزعهم انتصار المسلمين الحاسم بقيادة زهير ،
وعلموا أن جيش المسلمين كله يشترك في المعركة « وقد كان بلغهم
بالقسطنطينية سير زهير من برقة إلى افريقية لقتال كسيلة
فاغتنموا خلوها فخرجوا إليها في مراكب كثيرة ، وقوة عظيمة من جزيرة
صقلية ، وأغاروا على برقة ، فأصابوا منها سبيبا وقتلوا ونهبوا
ووافق ذلك قدوم زهير من افريقية إلى برقة ، فأخبر بالخبر فأمر
العساكر بالسرعة والجد في قتالهم (٨١) .

اضطر زهير بن قيس البلوى ، ومن معه من قوات قليلة إلى الاشتباك
في معركة لم يكن مستعدا لها ، وفي ظروف غير مواتية ولم يكن النصر
فيها حليف المسلمين ، واستشهد زهير ومن معه من أشرف العرب ،

(٧٩) السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ج ٢ صفحة : ٢٣٧ ،
نقلا عن السلاوي صفحة : ٩١ .

(٨٠) ابن عذارى : البيان المغرب ج ١ صفحة : ٣٢ - ٣٣ .

(٨١) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ٤ صفحة : ٩٢ ، وانظر

أيضا شكري فيصل في حركة الفتح الاسلامي صفحة : ١٧٢ .

ويعصف لنا ابن عذارى المعركة في هذه السطور : ثم رحل زهير الى الشرق في خلق عظيم ، فبلغ الروم خروجه من افريقية الى برقة فأمكنهم ما يريدون ، فخرجوا اليها في مراكب كثيرة وقوة عظيمة فأغاروا على برقة فأصابوا بها سبيا كثيرا ، وقتلوا ونهبوا ، ووافق ذلك قدوم عسكر زهير الى برقة من افريقية ، فأخبر زهير بخبرهم ، فأمر عسكره بالسير الى الساحل ، طمعا أن يدرك سبي المسلمين ، فيستنقذهم . فأشرف على الروم ، فإذا هم في خلق عظيم . فلم يقدر على الرجوع وقد استغاث به المسلمون وصاحوا ، والروم يدخلونهم في مراكبهم فنادى بأصحابه الانزول ، وكانوا أشراف العابدين ، ورؤساء العرب المجاهدين أكثرهم من التابعين . فنزل الروم اليهم ، وتلقوهم بعدد عظيم ، والتحم القتال ، وتكاثر عليهم الروم ، فقتل زهير رضى الله عنه - وأشراف من كان معه من العرب ، ومضى المسلمون الى دمشق ، فدخلوا على عبد الملك ابن مروان ، فأخبروه أن أميرهم وأشراف رجالهم قد استشهدوا « (٨٢) » .

وهكذا استشهد قائد المسلمين في افريقية زهير بن قيس البلوى بعد أن أعاد الى المسلمين ما ضاع بعد هزيمة عقبة وانتصر لشهداء تهودة لكن هزيمته أمام الروم أثارت المشاكل من جديد أمام استقرار المسلمين في افريقية ، وكان لابد من مواجهة حاسمة بعد أن طال الامر كثيرا .

المرحلة الثامنة : حسان بن النعمان ٧٤ - ٨٥ هـ .

تأثرت الخلافة الاموية بمصرع الامراء الثلاثة - عقبة وأبو المهاجر وزهير بن قيس - في الميدان الافريقى ، وصعب على الامويين أن تضيق الانتصارات التي اكتسبها المسلمون بجمائهم وجهادهم فوق رمال هذه المنطقة ، وان تتاح الفرصة للروم البيزنطيين لكي يثأروا لما لحقهم من هزائم على يد المسلمين في الميدان الشرقى باكتساب انتصارات على المسلمين في الميدان الغربى ، ميدان افريقية والمغرب .

(٨٢) ابن عذارى : البيان المغرب ج ١ صفحة ٣٣ . وانظر ابن الاثير ج ٩ صفحة : ١٦ .

كانت معركة الامويين مع البيزنطيين معركة واحدة سواء في الشرق أو الغرب ، ولذلك أدرك المسلمون أن انتصارهم في أفريقية لن يكون نهائيا إلا بالقضاء على سلطة الروم في المنطقة وربما كان هذا سببا في اختيارهم لحسان بن النعمان الغساني لقيادة معارك المسلمين في هذه المنطقة وللغساسنة خبرتهم الطويلة بالروم منذ ما قبل الاسلام ، لهذا حينما اجتمع اشراف العرب ، وسألوا عبد الملك أن ينظر لأفريقية من يسد ثغرها ويصلح أمرها ؟ فقال لهم عبد الملك : « ما أرى أحدا كفوا لأفريقية كحسان بن النعمان » (٨٣) .

من ناحية ثانية كان عبد الملك بن مروان قد خلص له الامر في الخلافة ومات عبد الله بن الزبير ، ونجح في القضاء على ثورات الشيعة في العراق ، وأصبح خليفة للمسلمين بلا منازع ، وكان لابد له من عمل كبير يمدو به عن المسلمين ما خلفته تلك السنوات الطوال من الجهاد في مجال أفريقية والمغرب .

أدرك الخليفة أن لابد من قوة كبيرة ، وموارد ثابتة ينفق منها على الفتح ، فأمرد حسان بن النعمان بجيش يقدر بأربعين ألفا وأطلق يده في خراج مصر ينفق منه على رجاله ، فيذكر ابن عذارى أنه في سنة ٧٨ هـ . قدم حسان بن النعمان أفريقية اختاره لها عبد الملك بن مروان ، وقدمه على عسكر فيه أربعون ألفا أقامه أولا في مصر بالعسكر ، عدة لما يحدث . ثم كتب اليه يأمره بالذهوض إلى أفريقية ، ويقول له « انى قد اطلقت يدك في أموال مصر فاعط من معك ومن ورد عليك ، وأعط الناس ، وأخرج إلى بلاد أفريقية على بركة الله وعونه » (٨٤) .

سار حسان إلى أفريقية في هذا الجيش ، وهو أكبر جيش من المسلمين وجه لفتح هذه البلاد ، وقد وضع خطة ثابتة لعملياته ركزها أولا للقضاء على الروم .

(٨٣) ابن عذارى : البيان المغرب ج ١ صفحة : ٣٣ .

(٨٤) ابن عذارى : البيان المغرب ج ١ صفحة : ٣٤ .

ولهذا اتجه بكل قواته الى قرطاجنة ، وهى عاصمة البيزنطيين فى افريقية ، ومصدر المقاومة الثابت ، وحاصر المدينة التى خرجت لقتاله ، وانقصر عليهم ، وقتل منهم خلقا كثيرا ، واضطر من بقى منهم الى الفرار بما فيها من سفن اتجه بعضها الى صقلية ، والبعض الآخر الى الاندلس .

ويبدو أن حسان بعد انتصاره على هذه المدينة وقضائه على خطر الروم ، غادر قرطاجنة فعاد بعض أهلها وبواديها بعد علمهم بهروب قائدها ، فدخلوها واعتصموا بها ، مما اضطر حسان أن يعود الى حصارها حصارا شديدا حتى دخلها بالسيف فقتلهم قتلا ذريعا وسباهم ونهبهم ، وأرسل لمن حوالىها فاجتمعوا اليه مسارعين ، خوفا من عظيم سطوته ، وشدة بأسه فلما أتوه ، ولم يبق منهم أحد ، أمرهم بتخريب قرطاجنة وهدمها . فخرّبوها حتى صارت كأمس الغابر ثم بلغه أن النصارى اجتمعوا ، وأمدّهم البربر بعسكر عظيم فى صقفورة * فرحل اليهم حسان حتى لقيهم . وقاتلهم حتى هزمهم وقتل الروم والبربر قتلا ذريعا ، وحمل عليهم أغنة خيله ، فما ترك من بلادهم موضعا الا وطئه . ولجأ الروم هاربين خائفين الى مدينة باجة ، فتحصنوا بها . وهرب البربر الى اقليم بونة . - وانصرف حسان الى القيروان (٨٥) .

وهكذا تمكن حسان بن النعمان من القضاء على النفوذ البيزنطى فى المنطقة باستيلائه على قرطاجنة ٦٩٧ م . وهكذا بدأت شمال افريقية الخطوات الحقيقية لى تتحول « من الحضارة اللاتينية الى الحضارة العربية ومن الديانة المسيحية الى الديانة الاسلامية (٨٦) .

(*) عرفها الدكتور السيد عبد العزيز سالم ، فقلا عن الادريسي بأنها تقع فى الاقليم المتصل بأرض قرطاجنة من ناحية المغرب (انظر المغرب الكبير ج ٢ صفحة : ٢٤٣) .

(٨٥) ابن عذارى : نفس المصدر صفحة : ٣٥ .

(٨٦) سعيد عبد الفتاح عاشور تاريخ اوربا العصور الوسطى

ج ١ صفحة : ١٤٣ .

لم يكن المغرب قد استقر نهائيا بالانتصار الحاسم على الروم والبيزنطيين بل كانت هناك شوكة أخرى قائمة تتمثل في مقاومة البربر ، وقد آلت زعامتهم الى امرأة كاهنة تطلق عليها المصادر اسم « داهيا بنت ماتيا » ، تقيم مع رجالها في منطقة جبال أوراس ترقب الاحداث بين البيزنطيين وحسان .

عباد حسان بن النعمان الى القيروان للراحة أياما ولكي تجرباً جراح أصحابه ، وسأل عن من بقي في إفريقية ممن يخشى خطره على المسلمين فأعلموه بأمر الكاهنة « فجميع من بإفريقية من الروم منها خائفون ، وجميع البربر لها مطيعون ، فان تقتلتها دان لك الغرب كله ، ولم يبق مضاد ولا معاند (٨٧) » .

استعد حسان للزحف على الكاهنة وجيوشها ، وتقدم نحو بلادها وبلغها خبر مسيره اليها ، فتقدمت الى مدينة باغاية فأخرجت عنها من كان بها من الروم وهدمتها حتى لا يتحصن بها حسان ورجاله وعلم بذلك حسان ففزل في واد يسمى سكيانة ورحلت الكاهنة حتى نزلت على الوادي المذكور ، ويطلق ابن عبد الحكم على المكان اسمهم « نهر البلاء » حيث اقتتلوا قتالا شديدا فهزمته ، وقتلت من أصحابه ، وأسرت منهم ثمانين رجلا وأفلت حسان ، ونفذ من مكانه (٨٨) .

أما ابن عذارى فيقول بعد نزول الكاهنة على الوادي المذكور « فكان هو يشرب من أعلى الودي وهي من أسفله فلما توافقت الخيل ، دنا بعضهم من بعض ، فأبى حسان أن يقاتلها آخر النهار ، فبات الفريقان ليلتهم على سروجهم ولما أصبح الصباح ، التقى الجمعان ، فتقاتلوا قتالا لم يسمع بمثله وصبر الفريقان صبرا لم ينفته أحد اليه ، الى أن انهزم حسان بن النعمان ومن معه من المسلمين . وقتلت الكاهنة العرب قتلا ذريعا ، وأسرت ثمانين رجلا من أعيان أصحابه » (٨٩) .

(٨٧) ابن عذارى ٣٥/١ .

(٨٨) ابن عبد الحكم صفحة : ٦٣ .

(٨٩) ابن عذارى ٣٦/١ .

كانت الهزيمة شديدة على المسلمين ، عاد بعدها حسان بجيوشه الى برقة تاركا القيروان ، وبها قليل من المسلمين ، وكتب الى الخليفة عبد الملك بصعوبة الموقف وما حدث له ، وبرر ذلك قائلا « بأن أمم المغرب ليس لها غاية ، ولا يقف أحد منها على نهاية كلمها بادت أمة ، خلفتها أمم ؟ وهى من الجهل والكثرة كسائمة الغنم . فجاءه جواب أمير المؤمنين يأمره أن يقيم حيثما وافاه الجواب ، فورد عليه فى عمل برقة فأقام بها وببنى هنالك قصورا تسمى الان بقصور حسان (٩٠) .

كان الموقف حرجا ، فالوالى وقائد الجند يقيم فى برقة وقتل من المسلمين فى القيروان معرضة لخطر هجوم الكاهنة التى لوحظ أنها لم تحاول الهجوم على القيروان ، بل من العجيب أنها أحسنت معاملة أسراها من المسلمين ، ربما لقناعتهما بأن ذلك النصر ليس آخر المطاف ، ولا بد من عودة المسلمين لنزالها والقصاص منها .

ولكن الخطر داهم القيروان من ناحية أخرى ، فقد شق على الروم أن تسقط قرطاجنة بين يدى حسان ، فأعدوا أسطولا كبيرا على رأسه البطريق يوحنا وظهر هذا الأسطول فى قرطاجنة سنة ٦٧ هـ / ٦٩٧ م ، وتمكن من الاستيلاء على المدينة فى يسر ، وقسم فى معاملة من وقع تحت يده من المسلمين قسوة زائدة حتى ليقال أن قائدهم كان يقتل المسلمين بيده (٩١) .

أصبحت الامور شديدة التعقيد ، وبدأ الامر وكأن المسلمين قد خسروا كفاح ما يزيد على نصف قرن من الزمان ، وتعاون البربر والبيزنطيون على استخلاص الاراضى التى سبق للمسلمين نزولها فالبربر يسيطرون على البلاد الداخلية ، والبيزنطيون على السواحل والمناطق الشمالية وملكت الكاهنة المغرب كله بعد حسان خمس سنين ،

(٩٠) ابن عذارى ٣٦/١ .

(٩١) شكرى فيصهل : حركة الفتح الاسلامى صفحة ١٧٤ .

والمسلمون فى برقة ينتظرون أوامر الخليفة ، ويراقبون ما يحدث فى افريقية ، وبدأت تباشير نصر الله تنثرى .

انتظرت الكاهنة المسلمين مدة طويلة ، وأعماها الله سبحانه وتعالى فجبال بخاطرهما أن المسلمين انما قدموا طمعا فى خيرات هذه البلاد ، ومن ثم اذا خربت هذه الخيرات فان ذلك قد يقطع طريق العودة نهائيا أمام المسلمين ومثالت لاعوانها ان العرب انما يطلبون من افريقية المدائن والذهب والفضة ونحن انما نريد منها المزارع والاراعى ، فلا نوى لكم الا خراب بلاد افريقية كلها ، حتى يئأس منها العرب ، فلا يكون لهم رجوع اليها الى آخر الدهر ، فوجهت قومها الى كل ناحية يقطعون الشجر ويهدمون الحصون . » (٩٢) .

أثار هذا العمل السكان الافارقة والبربر والروم ضد الكاهنة وهرب كثير منهم الى خارج افريقية ، بل ولجأ الكثير منهم الى حسان ابن النعمان ، وفى نفس الوقت تلقى حسان المدد من الخليفة ووجد الفرصة سانحة لكى يخرج لقتال الكاهنة ، وانضم الى جيشه كثير من البربر ، وأحست الكاهنة بأن لاطاقة لها بقتال حسان ، فأرسلت اليه ولديها يستأهقان لنفسيهما مع بعض من سبق أن أسرتهم من المسلمين ، وتزايد جيش حسان فى طريقه بمن كان ينضم اليه من الناقمين على الكاهنة حتى أصبح فى خلق عظيم ، والتقى معها فى معركة فاصلة ، والتحم فيها القتال ، واشتدت الحرب والنزال ، حتى منح الله نصره للمؤمنين وقتلت الكاهنة ، وهزم جيشها هزيمة كبيرة .

وطلب البربر الامان من حسان ، فلم يقبل أمانهم الا أن يعطوه من قبائلهم اثنى عشر الفا يجاهدون مع العرب ، فأجابوه وأسلموا على يديه . فعقد لولدى الكاهنة ، لكل واحد منهما على ستة الاف فارس ، وأخرجهم مع العرب يجولون فى المغرب يقاتلون الروم ومن كفر من البربر ، ويواصل ابن عذارى قوله : وانصرف حسان

الى مدينة القيروان ، بعد ما حسن اسلام البربر وطاعتهم ، وذلك في سنة ٨٣ هـ . وفي هذه السنة ، استقامت بلاد افريقية لحسان بن النعمان فدون الدواوين ، وصالح على الخراج ، وكتبه على عجم افريقية ، وعلى من أقام معهم على دين النصرانية (٩٣) .

وينقل لناد . سعيد عاشور رأى الكتاب الغربيين تطبيقا على تحول شمال افريقية بعد ذلك الى الاسلام والعروبة قائلا : حتى البربر الذين طالما أظهروا عنادا يسترعى الانتباه ضد الغزاة السابقين ، سرعان ما اندمجوا في تيار الحضارة الجديدة وأصبحوا مسلمين متحمسين ، وبذلك مرت السبعمئة سنة التي سيطرت فيها أوروبا على شمال افريقية دون أن تترك أثرا في تلك البلاد سوى الأساطير والاطلال فالمسيحية اندثرت ، والحياة الرومانية ذبلت ، والمدن تركها الرومان ليعودوا ادراجهم الى أوروبا (٩٤) .

اتجه حسان بعد ذلك الى قرطاجنة لمواجهة الروم ، واجبرهم على الفرار من المدينة ، وقد رأى حسان بعد ذلك أن يشرع في بناء مدينة جديدة للمسلمين تشرف على مدينة قرطاجنة ، فبنى مدينة تونس، التي لعبت دورها في تثبيت الاسلام والعروبة في المنطقة بمثل ما قامت به من قبل مدينة القيروان ، ويعتبر بناء هذه المدينة دليلا على استقرار حركة الفتوحات الاسلامية في افريقية ، ورمزا لانتهاة حقبة تاريخية وبداية حقبة أخرى جديدة .

قام حسان بتنظيم الولاية الجديدة ودون الدواوين كما سبقت الاشارة ، وأقيل البربر على الاسلام ، وساوى حسان بينهم وبين العرب في الفتي والغنيمه ، ثم أقام العمال على نواحي الادارة من خراج وزكاة وجند وأرسل الخليفة قاضيا للقيروان أسوة بغيرها من العواصم الاسلامية الكبرى (٩٥) .

(٩٣) ابن عدوى : ٣٨/١ .

(٩٤) سعيد عاشور : أوروبا العصور الوسطى ج ١ صفحة : ١٤٣ .

(٩٥) حسين مؤنس : فجر الاندلس صفحة : ٤٥ .

وفي أوائل سنة ٨٦ هـ عزل حسان بن النعمان عن إفريقية وتولاها موسى بن نصير الذى استطاع بما وهب الله له من قدرة القيادة ومن الذكاء أن يثبت قدم الإسلام والمسلمين في إفريقية وأكمل الفتوحات في منطقة المغرب الأقصى ، وأرسل قواده وجنوده لقتال القبائل التى مازالت خارج سيطرة المسلمين ، وتوغل الى الجنوب في المغرب .

ويذكر المؤرخون لموسى بن نصير جهادا بحريا رائعا ، حتى يقال أنه غزا صقلية وعاد منها بغنائم كثيرة ، كما أرسل المراكب أيضا بقيادة عياش بن أخيل فغزت سرقوسة في عام ٨٦ هـ . (٩٦) . وأرسل ابنه مروان الى السوس الأقصى ، وواصل غزواته حتى دان له المغرب كله باستثناء مدينة سبقة المطلة على المضيق ، وتركها للصلة التى بدأت تنمو بينه وبين حاكمها المعروف باسم « يليان » .

وبدأ موسى بن نصير مهمة أخرى لا تقل أهمية عن جهاده الحربى في المغرب الأقصى ، وهى تثبيت الإسلام ، وتعليم اللغة العربية بين المسلمين الجدد من البربر ، فيذكر ابن عذارى ، أن موسى « استعمل مولاة طارقا على طنجة وما والاها في سبعة عشرة ألفا من العرب واثنى عشر ألفا من البربر ، وأمر العرب أن يعلموا البربر القرآن ، وأن يفقهوهم في الدين ، ثم مضى قافلا الى إفريقية (٩٧) » .

ولقد سبق موسى في هذه المهمة الشهيد عقبة بن نافع الذى يذكر له ابن عذارى أنه كان قد ترك فيهم بعض أصحابه يعلمونهم القرآن والإسلام منهم شاكر صاحب الرباط وغيره (٩٨) .

وليست هذه فقط هى مآثر ذلك القائد الإسلامى العظيم لكن إرادة الله كانت تدخر له مجدا خالدا حين أمكنه أن يقنع هذا الشعب الجديد في الإسلام بالمشاركة في الجهاد وحمل رسالة الإسلام لأول

(٩٦) عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ج ٢ صفحة : ٢٥٦ .

(٩٧) ابن عذارى : البيان ج ١ صفحة : ٤٣ .

(٩٨) ابن عذارى : نفس المصدر ج ١ صفحة : ٤٣ .

مرة عبر البحر الى القارة الاوربية ، وذلك بغزوها من الغرب بعد أن فشل المسلمون كثيراً في دخول هذه القارة من الشرق . ولكن قبل أن تمضى مع الجيوش الاسلامية الى الاندلس ، علينا أن نتوقف قليلا لننساءل عن أسباب طول مدة الفتح الاسلامى ، والتي نيفت على اليمينت عامما .

أسباب طول مدة الفتح الاسلامى

انقسمت الفتوحات الاسلامية خارج شبه الجزيرة العربية بصفة عامة بالجهد المنظم والسرعة والاستقرار ، على العكس مما حدث فى فتوحات المسلمين لمنطقة افريقية والمغرب .

ولنلق نظرة سريعة على الفتوحات الاسلامية فى اشرق لنتبين أوجه الخلاف بينها وبين ما حدث فى منطقة المغرب .

بدأت فتوح العراق بالناوشات التى كان يشنها المثنى بن حارثة ، ثم توجه خالد بن الوليد رضى الله عنه لفتح الحيرة فى سنة ١٢ هجرية، وانتهت هذه الفتوحات بانتصار النعمان بن مقرن رحمة الله فى معركة نهاوند سنة ٢١ هـ ، ولم يقع بعدها ارتداد من الفرس بصرة جماعية ، ولم تخرج بلادهم من أيدي المسلمين بعد ذلك .

أما فتوح بلاد الشام فقد بدأت بالجيوش التى سبىرها الخليفة أبو بكر الصديق رحمه الله سنة ١٢ هجرية بقيادة أبى عبيدة من الجراح ، وعمر بن العاص وشرحبيل بن حسنة ويزيد بن أبى سفيان وانتهت جميعها على الرغم المعارك القاسية والكيرة التى واجهها المسلمون هناك بتسليم بيت المقدس للخليفة عمر بن الخطاب فى سنة ١٦ هـ . وهى مدة لا تزيد على خمس سنوات ، على اتساع بلاد الشام وكثرة مدنها وسكانها .

أما فتح مصر فانه لم يستغرق أكثر من عامين بين سنة ١٩ ، ٢١ هـ . وذلك منذ بداية دخول المسلمين الاراضى المصرية عند رفح ، وحتى توقيع معاهدة الاسكندرية ويبين ذلك ضرورة التعرف على

الاسباب التي جعلت من فتح المغرب مسألة صعبة طال فيها جهاد المسلمين وقدموا كثيرا من التضحيات والمهج والارواح ، ويمكن تلخيص الاسباب في النقاط التالية :

أولا : الاحوال السياسية في الدولة الاسلامية :

لم يأخذ الفتح العربي لهذه البلاد نفس الصورة المنظمة التي رأيناها في كل من الشام والعراق وفارس ومصر ، ففي هذه الفتوحات كان واضحا أنها تشكل عملا أساسيا من أعمال الدولة الاسلامية نتج عنها السلطة العليا وعلى رأسها الخليفة الى هذه الفتوحات بكل سمعها وبصرها واهتمامها الى درجة تنبيه هذه القوات بضرورة أخطار الخليفة بكل ما يدور في المعركة من أحداث سياسية أو معارك حربية ، وتتلقى الجيوش تبعا لذلك توجهات الخلافة في كل هذه الامور بعد استشارة أولى الامر في العاصمة الاسلامية .

ودلالة ذلك الواضحة تتجلى في الاهتمام الذي كان يبذره كل من الخلفيتين أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب بأمر هذه الفتوحات وكيف كان خالد بن الوليد وأبو عبيدة بن الجراح يحيطان بالخلافة علما بكل الامور ويتلقيان التوجيهات من المدينة الى الحد الذي جعل عمر بن الخطاب يتدخل بنفسه في أمر تولية قيادة الجند في معركة اليرموك فيعزل خالدًا ويعين أبا عبيدة ثم يذهب بنفسه لاستلام بيت المقدس ، هذا الى جانب التقصيرات المختلفة التي كان يأمر بها الخلفاء أثناء سير عملية الفتح ، اذا أضفنا الى ذلك وجود قيادة عليا في كل مجموعة من المجموعات الغازية في كل من الشام والعراق ومصر يرجع اليها كافة القيادات الاخرى قبل اتخاذ الاجراءات الحاسمة وتشاورها في أمورها وتتلقى منها تعليماتها حيث يذكر أن ابا بكر حين عقد لعمر بن العاص قال له بعد أن سلمه الراية ، قد وليتك هذا الجيش فانصرف الى أهل فلسطين وكاتب أبا عبيدة وانجده اذا ارادك ولا تقطع أمرا دونه (٩٧) .

وكان قواد الجيوش العربية على اتصال بقائدهم العام وهو بدوره على اتصال بالخليفة ، كما أنهم اجتمعوا معا في الشام لكي

(٩٧) الطبري : تاريخ الامم ج ٤ صفحة : ٣٨ . ابن الاثير ج ٢
صفحة : ١٩٥ . حسن ابراهيم . تاريخ الاسلام ج ١ صفحة : ٢٢٤ .

يتداولوا في كيفية مواجهة الروم . وكان رأى عمرو بن العاص أن تتحد الجيوش الاربعة لمواجهة التكتل البيزنطى ورأى البعض الآخر أن يبقى كل جيش في مكانه لكي لا تنتقص عليهم الميادين ، وأرسل أبو عبيدة يستشير الخليفة فجاء رده مصوباً رأى عمرو . وتوحدت الجيوش في مواجهة الروم .

كل ذلك يدلنا على مدى التنظيم والاهتمام الذى كانت تلقاه الفتوحات الاسلامية في ذلك الوقت باعتبارها عملاً أساسياً يشهد اهتمامات الدولة بأكملها . وإذا كان ذلك قد حدث في بلاد الشام فإنه قد حدث أيضاً في العراق وفارس مع سعد بن أبي وقاص والنعمان بن مقرن وفي مصر مع عمرو بن العاص .

أما الذى حدث في افريقية فكان في معظم الاحيان اجتهاداً من ولاية مصر أو من الجند العرب في هذه البلاد بقصد تمهيد الطريق وجس النبض والحصول على ما ينعم الله به من الغنائم . الى أن بنيت القيروان ، وأصبحت هناك عاصمة اسلامية يسكنها المسلمون المستقرون ، وبها الجامع والخطبة والامام ، وأصبح من مهام خليفة المسلمين أن يرفع من يقيم فيها ويؤمن شعائر الاسلام هناك . ونستثنى من ذلك الفترة الخاصة بعهد الخليفة عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضى الله عنهما ، فقد كان اهتمامهما واضحاً بميدان افريقية ومحدداً .

كذلك فان من أهم أسباب الاختلاف بين الميدان الافريقى الغربى وبين الميادين العربية الأخرى ما طرأ على الدولة الاسلامية نفسها من مشكلات وفتن جعلت بأسها في دخلها وليس على أعدائها ، فهناك الفتنة الكبرى التى صدعت الجبهة الداخلية والتي انتهت بمصرع عثمان بن عفان رضى الله عنه ، ثم هناك الخلاف بين على بن أبى طالب ، وبين طلحة والزبير وعائشة رحمهم الله جميعاً ، والذى انقضى بموقعة الجمل ، ثم الصدام الذى نشأ بين على بن أبى طالب وبين معاوية والى الشام ، وطبع بصماته على كل شبر من الدولة الاسلامية ثم ما صادف معاوية

بعد ذلك من عقبات كان لابد من مواجهتها قبل تأمين الخلافة الجديدة ،
وما قبله خلفاؤه من بعده حتى عهد عبد الملك بن مروان من مشاكل
المطالبين بالخلافة مثل الحسنيين بن علي وعبد الله بن الزبير والخوارج
بالاضافة الى معارك المسلمين مع الدولة البيزنطية .

كل ذلك كان له أثره الواضح في انصراف الحكومة المركزية عن
متابعة وتنظيم الفتح الاسلامي لافريقية والمغرب مما كان سببا في اطالة
مدة الفتح على هذه الصورة ، ولم يكن ذلك راجعا الى افتقار
الشجاعة أو الرغبة في الاستشهاد عند المسلمين ، لاننا نجد أن
عمليات الفتح تسرع نحو نهايتها حين انتهى عبد الملك بن مروان من كل
ما كان يواجهه من مشاكل وصعوبات وخلصت له خلافة المؤمنين
بعد عام ٧٣ هـ . ووجه اهتمامه للفتح .

ثانيا : بعد الميدان الافريقي :

كان بعد الميدان الافريقي المغربي عن الحكومة المركزية أحد
الاسباب الرئيسية في تردد الخلفاء المسلمين في الاهتمام بهذا الفتح فاذا
اضفنا الى ذلك الحاجة الى استخدام الاسطول وركوب البحر لادركنا
عاملا آخر من عوامل التردد ، يحدثنا التاريخ عن تردد عمر بن الخطاب
في فتح مصر ، وتشبيهه للجنود على ظهر السفن بالديدان على العيدان ، وكان
دائما الرغبة في أن لا تفصل بينه وبين جنده فواصل مائية . كما
أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، منع عمرو بن العاص من غزو
افريقية ، حين كتب اليه عمرو يقول بأن ليس أمامه الا بلاد افريقية
وملوكها كثير وأهلها في عدد عظيم ، وأكثر ركوبهم الخيل ، فأمره
بالانصراف عنها (٩٨) .

وفي قول آخر أن عمرا أرسل الى عمر بن الخطاب قائلا ان
الله قد فتح علينا أطرابلس ، وليس بينها وبين افريقيا الا تسعة
أيام ، فان رأى أمير المؤمنين أن يغزوها ، ويفتحها الله على يديه فعل ،

فكتب اليه عمر : « لا » انها ليست بافريقية ، ولكنها المفرقة
غادرة مغدور بها ، لا يغزوها أحد ما بقيت (٩٩) .

بالاضافة الى هذا فان افريقية والمغرب ميدان واسع مترام
الاطراف يتكتل الروم عند السواحل ، في حماية الاساطيل أما الجنوب
فيمثل صحارى واسعة يسكنها أقوام عزوفون بالطبيعة على حب
الاختلاط ، ميالون الى الدفاع عن الحرية ، وبوسعهم استخدام أساليب
الكر والفر وساعدتهم معرفتهم بالطبيعة والجغرافية في بلادهم فتميزوا
على العرب وأمكنهم ايقاع الهزيمة بهم في أكثر من معركة ، بل
وصرعوا بعض قادتهم مثل عقبة وأبى المهاجر دينار .

ثالثا : مساعدات البيزنطيين :

كانت الدولة البيزنطية تعتبر ميدان الصراع مع الدولة الاسلامية
واحدا ، في مشرقه أو مغربه ، وكانت أساطيلها تهيب لها سلاحا لم
يكن قد استقر استعماله عند العرب بالقدر المطلوب ، ولذلك
انتهزت الدولة البيزنطية كل فرصة تنجو فيها من مضايقات
المسلمين في الشرق حتى تسارع بإرسال الاساطيل الى افريقية
لمساعدة الروم المدافعين هناك وذلك في كل مرة تصل السفن البيزنطية
الى شمال افريقية كان الروم يستردون أنفاسهم وقواهم ويستعيدون
عزمهم على القتال ويعاودون احتلال القرى والمدن على الساحل ، كما
أن وصول الاساطيل كان مشجعا للبربر على الانتفاض على الحكم
الاسلامى ، واستئناف الصراع وقد استطاع بعض قادة الاساطيل
البيزنطية التفاهم مع بربر البرانس وشكلوا خطرا كبيرا على الفتوحات
الاسلامية في افريقية وكثيرا ما كانت هذه الاساطيل تدهم المناطق
الساحلية التي كان العرب يقطنون فيها ويحملونهم أسرى الى بيزنطة
أو يقضون عليهم ، وليس ببعيد ما حدث مع القائد زهير بن قيس
البلوى ، أو ما حدث للمسلمين المقيمين قرب قرطاجنة حينما هاجمهم
الاسطول البيزنطى بقيادة يوحنا بعد أن هزم حسان بن النعمان

من الكاهنة في حدود عام ٧٥ هـ (١٠٠) .

رابعاً : اختلاف وجهات النظر بين قادة الفتح في المنطقة :

لا شك أن اتساع الميدان الأفريقي ، وكثرة مشاكله جعلت وجهات النظر تتباين عند قادة الفتح الإسلامي للمنطقة وحيث أنه لم تكن هناك معرفة سابقة بأبعاد الميدان الأفريقي وسكانه ، على عكس الحال في المناطق القريبة من الجزيرة العربية فلم تكن هناك خطة ثابتة ومحددة تسير عليها الفتوحات - الإسلامية ، ولعب الاجتهاد هناك دوره الرئيسي في توجيه العمليات ، ففي الوقت الذي رأى بعض القادة أن القتال أو العمليات العسكرية هي الحل الأمثل ، رأى بعضهم ضرورة إقامة معسكرات ثابتة للمسلمين ، ولجأ آخرون إلى سياسة إقامة علاقات مع البربر وكان تباين وجهات النظر أحد عوامل تغيير السياسة في المنطقة وما يترتب على ذلك من تغيير في الوسائل وخطوات التنفيذ .

جانب آخر من جوانب اختلاف وجهات النظر يمكن إرجاعه إلى السيطرة المزدوجة التي كانت تمارس على الأقليم من قبل ولاية مصر أو الخلفاء في دمشق مباشرة ، ولقد كانت إحدى القضايا الأساسية تتمثل في العلاقة التي تربط بين أراضي إفريقية والمغرب وولاية مصر الإسلامية ، ونرى من دراستنا لتعيين قادة الفتح في هذا الاقليم أن تبعيته كانت تتذبذب ما بين الخضوع للتعليمات التي تصدر من ولاية مصر ، وما بين تلقي هذه التعليمات من الخليفة في دمشق مباشرة وليس ببعيد عن الذاكرة موقف مسلمة بن مخلد الانصاري وإلى مصر من عقبة بن نافع الفهري ، أو موقف عبد العزيز بن مروان من حسان بن النعمان .

خامساً : موقف ولاية مصر .

ليس من شك أن ميدان الجهاد المفتوح في إفريقية كان حافزاً لولاية مصر لفرض سيطرتهم على هذا الاقليم الجديد كما أن ميدان الجهاد عامة كان مطمحاً لكل من يسعى ليقدم جهده في سبيل الله وغايته ،

ومن هنا حرص ولاية مصر على أن تكون لهم اليد الطولى في افريقية كما حرصت الخلافة في دمشق على أن تكون لها هذه الامور . ووقف الخلفاء موقفا أساسيا يجعل من افريقية ولاية مستقلة من ولايات الخلافة ، لكن مرت بعض الفترات الزمنية التي تولى فيها امارة مصر بعض الشخصيات التي لها صلة خاصة بالخليفة بحيث كان الخلفاء في موقف لا يجدون فيه مناصا من الاستجابة الى رغبات الولاية في مصر .

ولسنا نستطيع أن نستبق الاحداث أو أن نعلم ما كان يمكن أن تسفر عنه الامور لو لم يتدخل مسلمة بن مخلد ليعزل عقبة بن نافع بعد انتهاؤه من بنيان القيروان في سنة ٥٠ هـ . أو لو أن حسان بن نعمان قد بقى واليا على افريقيا بعد انتصاراته الرائعة على الكاهنة من ناحية والروم من ناحية أخرى ؟ .

سادسا : عدم وجود قواعد ثابتة للفتح في افريقية .

كان الفتح الاسلامي للمنطقة وحتى تأسيس القيروان مجرد محاولات استكشافية أو حملات يمكن أن ندرجها تحت عمليات جس النبض دون أن تهدف الى الاستقرار في المنطقة ، وربما لم يكن المسلمون قد كونوا فكرة واضحة عن أبعاد المنطقة وسكانها ، ولذلك فاننا نرى عودتهم بعد كل عملية الى الفسطاط في مصر دون ترك قوات كافية للحفاظ على ما أمكن الاستيلاء عليه من أرض أو مدن ، مما كان يعطى الفرصة ، بمجرد أن تنتهى العمليات ويعود المسلمون من حيث اتوا ، لكى يستعيد الروم والبربر ما سبق لهم أن فقدوه في معاركهم مع المسلمين .

ولم تتحول سياسة الفتوحات الاسلامية الا بعد بناء القيروان أو التفكير في اتخاذ قاعدة ثابتة للمسلمين في المنطقة .

وليس من شك في أن بناء المدن الاسلامية في الامصار المفتوحة قد لعب دوره الحاسم ، ليس فقط في تثبيت أقدام المسلمين في هذه المناطق ، وإنما في نشر العروبة والاسلام ، واخراج هذه المناطق من بقايا جاهليتها الى عصر جديد في رحاب الامة الاسلامية .

وهكذا كان دور القيروان وتونس ومن بعدهما مدينة فاس في حياة هذا الاقليم الواسع الامتداد .

ولقد لعبت القيروان دورا أساسيا في عمليات الفتح الاسلامي ففيها اختطت القبائل بيوتها حول المسجد الكبير ، وأصبحت المدينة كغيرها من العواصم الاسلامية كالفسطاط والكوفة والبصرة .

وأصبح فرضا عمليا على خليفة المسلمين حماية المسلمين المقيمين في افريقية والدفاع عن حدودها ، وإتاحة الامن والاستقرار لهم لاداء شعائر دينهم ، وتأمين طريقهم الى بيت الله الحرام ، كما اخذ المسلمون هناك ينتشرون بالقرب من مدينتهم ، يدعون الى دينهم ، ويختلطون بسكان المنطقة الاصليين ، مما ساعد على تثبيت اقدامهم هناك .

ولذلك نجد أن فكرة اتخاذ قاعدة للمسلمين ، قد وردت عند معاوية بن حديج ، ونفذها بعد ذلك عقبة بن نافع وتابعها كل من جاء بعده من قادة الفتح الاسلامي في المنطقة .

سابعاً : طبيعة السكان في افريقية :

اتفق المؤرخون على أن سكان افريقية كانوا ينقسمون عند اتصال المسلمين بالمنطقة الى ثلاثة أقسام رئيسية وهم :

١ - الروم البيزنطيون : وقد كانوا حكام البلاد ، والطبقة العليا وأقاموا في المدن وعلى السواحل ، وملكوا الارض ، واستغلوا كل امكانيات المنطقة لصالحهم ، وكانوا العنصر المسيطر ، أداة الإمبراطورية البيزنطية في حكمها لهذه المنطقة .

٢ - الافارقة : واختلف هذا العنصر عن الروم وعن البربر على أساس انهم بقايا العصور السابقة على العهد البيزنطي ومن سكن المدن من الغرباء ، وليس يجمع هذا الخليط أصول دموية واحدة ولا جد أعلى ينتسبون اليه ، وانما تجمعهم هذه الحياة المشتركة وهذا الاستقرار في الأرض ، وهذا الارتباط في المعيشة (١٠١) .

٣ - البربر : وهم سكان هذه المنطقة الاصليون ، ولقد اختلف هؤلاء السكان في طبيعة حياتهم ونظمهم الاجتماعية فمنهم من تحضر وأقام

في المدن أو بالقرب منها ، ومنهم من عاش عيشة البادية بكل ما تتطلبه من بدالة وقسوة الحياة .

ولقد جاءت التسمية بالبربر من قبل الرومان ، ولعلها من اسم صوت جاء من أن البربر يحدثون أصواتا غير مفهومة تغلب عليها الراء والباء حينما يتكلمون أي أنهم يبربرون في أحاديثهم (١٠٢) .

وكعادة المؤرخين العرب فانهم أرجعوا هذه التسمية الى اجداد هذه القبائل ، والتي نسبوها الى أصول عربية . كما أرجعوا البربر عامة الى شخصية عربية أسموها برين قيس الذي خرج من الحجاز واستقر في بلاد المغرب حتى ليقول أحد شعرائهم :

وشطت ببرداره عن بلادنا

وطوح بر نفسه حيث يمم

وأزرت ببر لكنة أعجمية

وما كان بر في الحجاز بأعجا (١٠٣)

كما أورد بعض المؤرخين تفسيراً لهذه التسمية مرجعة الى الثياب التي كان يرتديها البربر فالبرافس هم الذين يرتدون البرنس ، والبرهم الذين لا يستعملونه (١٠٤) .

وأهم ما نبغى الإشارة اليه هو أن البربر يتشابهون كثيراً مع العرب في أنماط حياتهم الاجتماعية وفي سماتهم الخلقية تشابهها كثيراً فساكن المغرب يميلون الى حب الحرية والخلاء ويجيدون ركوب الخيل والكر والفر ، ويأذفون الضيم وهي سمات تجعلهم يتفانون في القتال ولقد رأينا كيف أمكنهم استغلال طبيعة بلادهم التي كانوا

(١٠٢) مختار العبادي : في تاريخ المغرب والاندلس صفحة : ١٢ .

(١٠٣) مختار العبادي : المصدر السابق صفحة : ١٤ .

(١٠٤) عبد الحليم عويس « الدكتور » : دراسة في أجناس الحضارة الاسلامية « البربر » مجلة كلية العلوم العربية - الرياض . العدد (٣) صفحة : ٢٤٦ .

يعرفونها معرفة جيدة في ايقاع الهزيمة بالجيش الاسلامي والانتصار عليها ولم يتمكن المسلمون من اخضاعهم تماما الا حينما نجحوا في استمالتهم الى الاسلام ، واقناعهم بأخوتهم في العرق وفي الاصل .

وهناك وثيقة تنسب الى موسى بن نصير ، يشهد فيها ومن معه من المسلمين بأن البربر انما هم من أصل عربي ، واخوة العرب المسلمين ، ومن ثم لهم مائتهم وعليهم ما عليهم . (١٠٣) ويميل الى ذلك الاستاذ الدكتور أحمد مختار العبادي حيث يقول :

غير أن الامر الذي لا شك فيه هو أن المسلمين لم يتمكنوا من السيطرة على المغرب الا بعد أن ابتعدوا عن سياسة العنف ، وعملوا على اكتساب البربر عن طريق نشر الاسلام بينهم ، وادخالهم في الجيوش العربية كجنود محاربين (١٠٤) .

ويرى الدكتور شكري فيصل أنه « حين كان الولاة يحسنون السيرة في البربر ويأخذونهم باليسر كما فعل أبو المهاجر كان البربر يقبلون على الاسلام أو يقبلون على نصره المسلمين فاذا آل الامر الى لسون من التحدى بين البربر والعرب كالذي حدث لعقبة وكسيلة ، غضب البربر لانفسهم ، وانقلبوا على المسلمين ، وتسببوا لهم في مواقف صعبة كثيرة (١٠٥) » .

لهذه العوامل مجتمعة ، وغيرها كان فتح المسلمين للمغرب فتحا مميزا عن باقي الاقاليم التي حررها المسلمون ولعل العطاء من هذه المنطقة كان أيضا مختلفا ، لاننا نرى أن هذا الشعب الذي قاوم المجاهدين المسلمين كثيرا ، لم يلبث الا قليلا حتى يعتنق الاسلام ويحمل راية الجهاد الاسلامي ، ويقدم للمسلمين وللاسلام ، نصرا عزيزا غاليا وذلك حينما عبر زقاق البحر المتوسط لأول مرة في تاريخ

(١٠٣) انظر مجلة الوثائق المغربية العدد الاول عام ١٩٧٦ م ص ٢٥ .

(١٠٤) العبادي : في تاريخ المغرب والاندلس صفحة : ٤٦ - ٤٧ .

(١٠٥) شكري فيصل : حركة الفتح الاسلامي صفحة : ١٨٢ -

الدولة الإسلامية وفتح اقليمها أوروبا هو الاندلس ، فبارك الله
شعب المغرب ، ورحم الجاهدين الذين أدخلوه نور الايمان (١٠٦) .

الاطلال على الاندلس :

حينما تولى موسى بن نصير أمر افريقية والمغرب ، كان هذا
الجزء من العالم قد دان في معظمه للمسلمين ، وأصبحت المهمة
الاساسية للأولى الجديد هي تثبيت أركان الاسلام والعروبة هناك ،
والقضاء على الجيوب الخارجية وبدأ يرسل جيوشه وطلّعه الى
جنوب المغرب الأقصى وكذلك جعل حاميات ثابتة في طنجة شمال
البلاد محاصرا بذلك مدينة سبتة التي رأى أن لا يقدم على فتحها
مؤقتا ، ومن ثم أشرف المسلمون على مضيق جبل طارق وما خلفه
من بلاد الاندلس ، وبدأ الاتصال بحاكم سبتة وبالتالي نسجت الخيوط
الأولى لقصة من قصص العظمة والبطولة التي سجلها المسلمون على مدار
التاريخ ألا وهي فتح الاندلس .

(١٠٦) انظر الدراسة القيمة للدكتور عبد الحليم عويس عن البربر
كأحد شعوب الحضارة الإسلامية في المرجع المشار اليه .

الفصل الثانى

الاندلس : الارض والتاريخ

- جغرافية الاندلس .
- الاندلس قبيل العصر الرومانى .
- الاندلس فى العصر الرومانى .
- القوط فى الاندلس .
- أحوال الاندلس قبيل الفتح : سياسيا واجتماعيا .
- الفتح الاسلامى للاندلس وقضاياه .

الاندلس : الارض والتاريخ

جغرافية الاندلس :

تربض القارة الاوربية على الشواطىء الشمالية للبحر المتوسط وهو محور التاريخ عبر القرون دونه منازع ، وتبرز منها داخل هذا البحر وفي أقصى طرفه الغربى شبه جزيرة ضخمة تعرف باسم شبه الجزيرة الايبيرية ، ويشابها في ذلك شبه الجزيرة الايطالية ثم شبه جزيرة البلقان ، وهذه الاقاليم الثلاثة تتشابه مع بعضها في كونها جميعا أرضا اوربية ، لكن شبه الجزيرة الايبيرية تتميز بمجموعة من الخواص الذاتية المستقلة التى جعلت منها وحدة جغرافية لها سمات خاصة جعلت بعضها من المؤرخين والجغرافيين يترددون في تصنيفها ضمن القارة الاوربية أو ضمن القارة الافريقية فهناك من يرى أن أوربا تنتهى عند جبال الاطلس في أفريقية وهناك من يرى أن أفريقية تمتد حتى جبال البرقات التى تفصل بين أسبانيا وفرنسا (١) . أو « أنها كائن تاريخى مستقل » (٢) فهى تقع في أقصى الطرف الغربى لحوض البحر المتوسط ، وتحيط المياه بـ ٧/٦ من محيطها الكلى والباقي هو الذى يربطها فقط بجسم القارة الاوربية وفيه تقوم سلسلة من الجبال الأشاهقة المعروفة باسم جبال البرقات والتى تعرف خطأ باسم جبال الديرانس ، وتفصل هذه الجبال بينها وبين الارض الكبيرة أو أرض غالة أى أرض فرنسا الحالية .

وينقسم السطح في شبه الجزيرة الى عدد من الاقاليم الطبيعية المتباينة فيما بينهما تباينا شديدا ، سواء في مظاهر السطح أو المناخ أو حتى طبائع السكان وعاداتهم . كما أن أرض شبه الجزيرة تشتمل على مجموعة كبيرة من السلاسل الجبلية ، والمرتفعات والوديان والمنخفضات ، مما كان له أثره الكبير على مجرى التاريخ هناك ، كما

Vila, Valentf: La peninsula Iberica, Prologo.

(١)

Vilar, Pierre : Historia de Espana. P. 13

(٢)

أن هذه التقسيمات يمكن أن تسمح لبعض الجغرافيين والمؤرخين بتناول هذه الأقاليم ، وكأنها أقسام منفصلة عن بعضها ، وكم تحدثت كتب التاريخ عن أسبانيا بصيغة الجمع ، كما أشارت إلى الشك فيما يقال عن وحدة هذه المنطقة العضوية ، ويعبر عن هذه الحقيقة كاتب أسباني فيقول :

« اننا في الوقت الذي نلاحظ فيه بسهولة الوحدة العضوية لشبه الجزيرة الأيبيرية ، فلما أيضا سلاسل الجبال المتعددة والضاربة في أنحاء كثيرة منها ، والمختلقة لها من طرف إلى آخر ، مما يدفعنا إلى التفكير في مسألة التمزق والتشتت الذي مارسته هذه الجبال داخل شبه الجزيرة على مدى القرون والأجيال » (٣) .

تشكل شبه الجزيرة الأيبيرية ، رغم ذلك وحدة جغرافية واحدة متكاملة وواضحة ، وإن اختلفت عما يجاورها من بيئات شمالا وجنوبا سواء من ناحية التضاريس أو من ناحية تفصيلات المناخ السائد فيها .

تقع شبه الجزيرة الأيبيرية بين خطي عرض ٣٦ و ٤٤ شمالا وبين خطي ٣ شرق جرينتش و ٩ غرب ، أي أنها تقع في المنطقة المعتدلة الشمالية ، ويحيط بها المحيط الأطلنطي من الغرب ، ومن الشمال البحر الكانتابري وجبال البرقات ، أما البحر المتوسط فيحدها من الشرق والجنوب إلى أن يتصل بالمحيط عن طريق المضيق المسمى ببجل طارق .

والمساحة الإجمالية لشبه الجزيرة الأيبيرية ٥٤١٦٦٦ كم^٢ تحتل منها البرتغال ، التي تقع غرب أسبانيا ٨٨٧٤٠ كم^٢ فقط وتشغل أسبانيا باقى المساحة بالإضافة إلى بعض الجزر التي تشكل قسما من أسبانيا ، وهى جزر البليار وأرخبيل الكنارى ومساحة هذه الجزر

Saldevila, F : Historia de Espana, III. 1.

(٣)

انظر تعريف ابن حوقل لجزيرة الاندلس وقوله « جزيرة الاندلس على قرار قولهم « جزيرة العرب » صورة الارض ص ٦٦ . طبعة بيروت ، ١٩٧٩ م .

١٢٢٨٦ كم (٤) .

ويتباين المناخ في شبه الجزيرة الايبيرية من منطقة الى اخرى وان سادته بصفة عامة السمات السائدة في منطقة البحر المتوسط .

ولقد أثر هذا المناخ في تنوع انتاجها وكذلك في طباع وأمزجة السكان بها .

أما كلمة الاندلس فتعني كل الاراضى التى خضعت لحكم المسلمين في شبه الجزيرة الايبيرية ودولتيها الحاليتين اسبانيا والبرتغال ، ولقد كان يشمل في بداية الامر كل أجزاء شبه الجزيرة الايبيرية تقريبا ، وعندما بدأت الممالك المسيحية في التشكل وفي توسيع رقعتها بدأت المساحة التى تحمل اسم الاندلس في التناقص تباعا ، وهكذا فمثلا عند سقوط الخلافة القرطبية كان الخط الفاصل بين الاندلس والممالك المسيحية يمتد من جنوب برشلونة في خط متعرج باتجاه الغرب حتى يلتقى مع المحيط الاطلسي عند أعالي البرتغال الحالية تقريبا أما على عهد المرابطين والموحدين فان أرض الاندلس كانت قد تناقصت كثيرا ، وخاصة في إقليم الوسط ، واصبح لقاؤه مع المحيط عند نقطة تقع الى جنوب البرتغال الحالي ثم سقطت الدولة الموحدية وازدادت حركية الاسترداد شدة واقتصر تعبير الاندلس على مملكة غرناطة التى تآكلت قليلا قليلا حتى سقطت المدينة في أيدي الملكيين الكاثوليكين في ٨٩٧ هـ - ١٤٩٢ م .

اختلفت الآراء في أصل تسمية هذه البلاد بالاندلس ، ويميل معظم هذه الآراء الى أنها مشتقة من قبائل الوندال التى أقامت بهذه المنطقة مدة من الزمن . وأرجع بعض المؤرخين المسلمين هذه التسمية الى « أندلس بن طوبال بن يافت بن نوح عليه السلام » (٥) .

Garangex, Ernesto : Nueva Geografia Universal, III. 345. (٤)

(٥) النفج ج ١ ص ١٢٥ ، وانظر حول مصدر هذه التسمية الدراسة القيمة للدكتور الطاهر مكي في كتابه دراسات اندلسية ، الصفحات من ٥ الى ٣٤ دار المعارف ، ١٩٨٠ م .

أما تعبير « اندلثيا » الذى تطلقه اسبانيا حاليا على أقاليمها الجنوبية فهو مشتق من كلمة الاندلس ، ويضم حواضر اسبانيا الاسلامية مثل قرطبة وأشبيلية ، وغرناطة والمرية ومالقة وقادش وجيان ، ولكنه لا ينطبق بأى حال على مساحة الاندلس الاصلية ، وان كان هذا الاقليم هو الذى عاش المسلمون بين ربوعه أطول فترة من تاريخهم .

هذا وقد أظن المؤرخون والجغرافيون المسلمون كثيرا فى تحديد موقع الاندلس ومكانها من معمر الارض ، وما تتميز به من أقاليم وأنهار وبحار وأودية وغيرها ، كما أنهم توسعوا فى وصف خيراتها ومعادنها ومصادرها الاقتصادية (٦) .

ولقد لعبت طبيعة الاندلس دورا هاما فى تاريخ هذه المنطقة واننى أود الإشارة الى ذلك لكى يتبين القارىء الكريم عظمة الجنود المسلمين المجاهدين فى سبيل الله ، الذين تمكنوا من اختراق كل هذه الاقاليم الطبيعية الشاسعة فى أقل من ثلاث سنوات فقط ، بينما كلف ذلك الرومان مثلا أكثر من مائتى عام حتى تمكنوا من السيطرة عليها .

تاريخ الاندلس قبل العصر الرومانى :

تدل الكشوف الاثرية الحفريات على أن أرض شبه الجزيرة الايبيرية (الاندلس) كانت مسرحا للنشاط البشرى منذ عصور باكرة جدا ترجع الى ما قبل انسان نيانديرثال Neanderthal البدائى .

ومن الشعوب الاولى التى سكنت شبه الجزيرة ووصلتنا عنها بيانات تاريخية حقيقية ، الايبيريون ، وهم أقوام من أصل أفريقى سمى اللون ذات صفات جسمية تقترب من سمات سكان شمال

(٦) انظر فى ذلك المجلد الاول من نفح الطوب اعتبارا من ص ١٢٥ ، وانظر ايضا ذكر بلاد الاندلس لمؤلف مجهول تحقيق لويس مولينا المجلد الاول . وكتاب وصف الاندلس لابن الشباط الذى نشره الدكتور أحمد مختار العبادى ضمن كتاب تاريخ الاندلس لابن الكردبوس ولقد نشر الكتاب بالمعهد المصرى للدراسات الاسلامية بمدريد عام ١٩٧١ م .
(٧) Arranza Velarde, F. : Lecturas de Historia de Espana Y. de la Civilizacion. Espanola. p. 13.

أفريقية القوامى ، وأقام الايبيريون فى جنوب أسبانيا ومنها بدأ
انتشارهم فى اتجاه الوسط والشمال . ومنهم أيضا السلتيون وهم
أقوام من ذوى السحنة الشمالية الاوربية ولذلك كانت أقامتهم فى شمال
وشمال غرب اسبانيا ، ومن هناك بدأ انتشارهم فى اتجاه الجنوب ،
وأصبحت أقاليم وسط شبه الجزيرة الايبيرية بوتقة الانصهار بين الشعبين
ليقدما على الاعوام شعبا يقطن هذه المناطق يعرف باسم « الايبروسلتيين » .
Celtiberos

وينسب المؤرخون الاغريق للايبيريين تأسيس أول نظام ادارى أو
اقامة الدولة فى هذه المنطقة ، كما كان لهم بعض الانماط الحضارية
التي نجد لها صدى وان كان ضئيلا فى اللغة الاسبانية الحالية .

وبدأ سكان هذه المنطقة الاحتكاك بشعوب الشرق الاكثر تقدما
ورقييا اعتبارا من الالف الثانية قبل الميلاد ، وهى الشعوب التي عرفت
تاريخيا باسم « الشعوب البحرية » وكان تبادل التجارة مع هذه
الشعوب هو مظهر هذا الاحتكاك ، وتشير بعض الدلائل غير المؤكدة
الى أن هذه الشعوب البحرية هى التي قامت بتأسيس مستعمرة طرطوسة
Tartessa بالقرب من مصب نهر الوادى الكبير ، ومن أهم هذه الشعوب
البحرية التي عرفت المنطقة واحتكت بها من عرفوا « بالكريتيين » .

آلت السيطرة البحرية بعد ذلك للفينقيين ، سكان الشواطئ السورية
وأصحاب المدن الخالدة هناك مثل صور وصيدا وطرابلس ، وتمكنت هذه
الشعوب من تحويل البحر المتوسط الى بحر فينيقي فى حوالى القرن
التاسع قبل الميلاد (٧) . ومن ثم اتصلوا بشواطئ شبه الجزيرة
الايبيرية ، وسواحل البحر المتوسط فى اقليمه الغربى وتبادلوا التجارة
مع سكان هذه المناطق .

ولقد كان من عادة الفينقيين اقامة المعسكرات فى المناطق التي تروج
فيها التجارة ، أو الاحتلال العسكرى للبلاد ذات الطبيعة الخصبة ومن
ثم أقاموا مستعمرة قرطاجنة على الشاطئ الافريقي ، وقرطاجنة فى
اسبانيا ، وتحولت هذه المستعمرات مع الايام الى مراكز ادارية
وعسكرية ذات أهمية كبرى ووصلت قرطاجنة افريقية الى مركز السيادة

على غرب البحر المتوسط بكامله والاستقلال بأمورها ، ولعبت دورا مؤثرا في تاريخ المنطقة يمكن الاطلاع عليه في كتب التاريخ .

وكانت أولى المستعمرات الفينيقية على أرض شبه جزيرة أيبيريا هي قادش Gadir ومالقة Malaka واشبيلية Hispalia وقرطبة Cardoba ولقد اشتملت هذه المدن على معابد للالهة الفينيقية ، وعلى مستودعات لتجارتهم التي تكونت من القماش وبعض الأدوات النحاسية والزجاج كما نقلوا اليها المجوهرات وبعض المشغولات الفنية المصرية والآشورية التي استغللت في عقد تحالفات او اتفاقيات مع زعماء القبائل في هذه البلاد .

تمكن الفينيقيون من احتكار التجارة في هذه المنطقة لعدة قرون وأقاموا بها حضارة مزدهرة تعتمد في أصولها على العناصر الشرقية المختلفة ، وخاصة المظاهر الحضارية المصرية القديمة ، والتي تعلموا منها الأحرف الابجدية ، والكتابات المقدسة المرتبطة بالديانات المصرية القديمة (٨) .

وفي القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، بدأ الاغريق الاهتمام بالملاحاة والتجارة وأمكنهم الوصول الى شواطئ البحر المتوسط الغربية وقاموا بتأسيس مستعمرات لهم هناك ، واليهم يرجع الفضل في تأسيس مستعمرة « مارسيليا » جنوب فرنسا الحالية ، ونزلوا على السواحل الشرقية لشبه الجزيرة الايبيرية ، واتصلوا بالمناطق الداخلية بغرض التبادل التجارى معهم ، لكنهم دخلوا في صراع عسكرى مع القرطاجنيين انتهى بانتهاء النفوذ الاغريقى ، وسيادة قرطاجنة ورجالها بسيادة تامة على غرب البحر المتوسط .

وتتحدث المصادر الاسبانية عن ازدهار قرطاجنة ازدهارا كبيرا في هذه الفترة ، وبسط سيطرتها على اسبانيا ، وتأسيس المزيد من المدن الفينيقية وربطها بالمستعمرات القديمة على أرض شبه الجزيرة ، وبذلك كثفوا وجودهم في الشرق والجنوب ، دون أن يكون لهم وجود مستقر في المناطق الوسطى أو الشمالية وخاصة في الشمال الغربى .

ولشبه الجزيرة الايبيرية مع قرطاجنة الفينيقيين تاريخ بطولى وخاصة
اثناء حروب القرطاجنيين مع الرومان ، فيما يعرف بالحروب البونية ،
ولا سيما حينها حاول « هانيبال » عبور اسبانيا بجيوشه البرية
ومنها الى فرنسا ثم شمال ايطاليا لكي ينحدر جنوبا ويستولى
على روما ، وتصدت له المدينة الايبيرية Sagunto وضرب أهلها
مثلا خالدا في البطولة والدفاع عن النفس ، حيث فضلوا - حينما يئسوا
من المقاومة - الانتحار وقتل أهلهم بأيديهم واحراق مدينتهم بدلا من
تسليمها (لهانيبال) الذى لم يتمكن من دخول المدينة الا على جثث
رجالها وأنقاض منازلها .

وحفظ الرومان ذلك لمدينة Sagunto ، وبعد أن تمكنوا من
هزيمة « هانيبال » وتدمير مستعمرة قرطاجنة على الشواطىء الافريقية ،
دخل الرومان اسبانيا بحجة مساعدة بعض المدن الحليفة ، ومن ثم بدأ العصر
الرومانى على أرض الجزيرة (٩) .

شعبه الجزيرة الايبيرية فى العصر الرومانى :

بدأ تدخل الرومان فى شبه الجزيرة الايبيرية بعد الحرب البونية
الثانية فى عام ٢٠٢ م ، وقد اقتصر فى بداية الامر على الشواطىء الشرقية
التي كان يستقر فيها الاغريق والقرطاجنيون ، لكن السكان الاصليين
فى الداخل رفضوا بشدة هذا التدخل الرومانى مما كلف روما مجموعة
من العمليات العسكرية التي استمرت ما يقرب من قرنين من الزمان
حتى أمكن لها السيطرة على شبه الجزيرة الايبيرية (١٠) .

والاشارة الى ذلك مهمة جدا ، لان الفتح الاسلامى لاندلس لم
يهتغرق فى الواقع أكثر من ثلاث سنوات فقط ، وتلك قضية أثارت
تفكير المؤرخين والمحللين ، ووضعت لها تحليلات كثيرة متباينة وسنشير
الى ذلك فى معالجتنا للفتح الاسلامى لاندلس فى الصفحات المقبلة
إن شاء الله تعالى .

Vilar, p. : Historia de Espana, p. 18.

(٩)

Velarde, Arranz: Historia de Espan, p. 28

(١٠)

بدأ الرومان في التوغل داخل اسبانيا عن طريق حوض نهر الابرور Ibero ولم يترددوا في القضاء بقسوة على مقاومة السكان في هذه المناطق حتى اضطرتهم الى تخريب وحرق أكثر من مائتى مدينة وقريّة ، وذبح سكانها ، أو بيعهم كعبيد ونفيهم خارج بلادهم (١١) .

أما بالنسبة لوسط اسبانيا وغربها فإن التقدم الرومانى كان بطيئاً جداً ، واستخدمت روما في سبيل إخضاع هذه المنطقة الحملات العسكرية والمعاهدات السياسية ، ومن ثم قسموا البلاد الى مجموعتين حسب درجة مقاومتها للرومان منها التى ابدت مقاومة شديدة وكان نصيبها الدمار الكامل وتلك التى استسلمت كان لها أن تتمتع بشروط المعاهدة الموقعة ، وإن كان احترام هذه المعاهدات قد خضع باستمرار لاهواء القادة العسكريين . وكان نقضهم لهذه العهود سببا في قيام ثورة قوية تزعمها « فرياتو Viriato » الذى اضطّر الرومان الى الاعتراف به سيّدا على أغلب أجزاء اسبانيا ، لكن السناتو الرومانى رفض الاتفاق وعادت الحرب من جديد وقتل الرومان « فرياتو » غدرا وخيانة .

أما المقاومة النادرة المثال التى واجهها الرومان في اسبانيا فتمثلت في مدينة « نومانثيا » Numancia التى تمكنت من هزيمة الرومان عدة مرات واضطرّ الرومان الى أن يعهدوا بقيادتهم الى القائد « اسيببون اميليانو » الذى دمر قرطاجنة ، وأقام هذا القائد على حصار المدينة مشيدا مجموعة من الجدران التى تحرمها من أية مؤن من الخارج ، وحين استنفد سكان المدينة كل ما لديهم من وسائل للحياة حتى اكلوا جثث موتاهم ، وسدت امامهم أبواب الحياة وظنّ الرومان أنهم سيستسلمون أشعل أهل نومانثيا النار والقوا بأنفسهم في لهيبها على مرأى من الجنود الرومان المتربصين لهم خارج الاسوار . ولم تكن مدينة « قلهرة Calahorra » أقل شجاعة وكبرياء من نومانثيا ، حينما حاصروهم « بومبي » القائد الرومانى المعروف واضطروهم الى أكل جثث موتاهم ، ولما لم يكن أمامهم مناصا من التسليم ، لم يتركوا لغازيهم بعد جثثهم الا ركام مدينتهم المدمرة .

تم للرومان الاستيلاء على باقى أجزاء اسبانيا ، واستسلم سكان شبه الجزيرة للحكم الرومانى ، وبدأوا فى تشرب الحضارة الرومانية حتى أصبحت اسبانيا أولى أقاليم الامبراطورية فى استيعابها لهذه الحضارة ، كما أسس الرومان عددا كبيرا من المدن والمستوطنات التى ساهمت فى تعميق روح الحضارة الرومانية على أرض شبه الجزيرة الايبيرية .

أما بالنسبة لانتشار المسيحية فى اسبانيا ، فلقد بدأ مبكرا وتنسب الكتابات الدينية الاسبانية الى القديسين « بابلو Pablo » ويعقوب Santiago ، القيام بالتبشير والدعوة الى المسيحية فى اسبانيا (١٢) .

ومع نهاية القرن الثالث الميلادى ورغم الاضطهاد الرومانى للمسيحيين قامت فى اسبانيا جماعات قوية من النصارى فى ليون وسرقسطة وماردة وأشتوريا ، وتعرض المسيحيون فى اسبانيا للتعذيب ، مثلهم فى ذلك مثل أبناء ملتهم فى جميع أنحاء الامبراطورية وخاصة على عصر الامبراطور ديقليديانوس ، والذي يعرف فى الحوليات الكنسية المسيحية باسم « عصر الشهداء » (١٣) .

وتبذنت اسبانيا المسيحية الكاثوليكية ، مثلها فى ذلك مثل باقى أنحاء غرب أوروبا ، مما جعلها ترتبط مع هذه الأجزاء من ناحية العقيدة ولعب رجال الدين الاسبان دورا هاما فى المجامع الدينية المسكونية وكان الاسقف « هوز يوس » أسقف مدينة قرطبة مستشارا دينيا للامبراطور قسطنطين حين عقده المجمع المسكونى فى مدينة نيقية سنة ٣٢٥ م لى يبحث مشكلة النصرانية الحادة المتمثلة فى جوهر المسيح بن مريم عليه السلام (١٤) .

وسيكون لذلك التعصب المذهبى دوره المؤثر فى تاريخ اسبانيا حتى فى صراعها مع المسلمين خلال القرون التالية ، ويظل ذلك التأثير

(١٢) المصدر السابق ص ٣٧ .

(١٣) سعيد عاشور : المصدر السابق ج ١ ص ٥٢ .

(١٤) السيد الباز العرينى « الدكتور » تاريخ أوروبا العصور الوسطى

ص ٧٣ - ٧٤ .

الى بدايية العصور الحديثة حينما يصل التعصب الاسباني الى قمته فلا يسمح لغير الكاثوليكي بالحياة على أرض اسبانيا ، وتقوم الملكة « ايزابييل » الكاثوليكية بطرد اليهود نهائيا من هناك عام ١٤٩٢م (١٥)

كما ان نفس التفكير هو الذى تسبب فى المأساة المحنة التى تعرض لها المسلمون فى القرن العاشر الهجرى ، السادس عشر الميلادى حينما أجبرهم التعصب الاسباني الرهيب اما على التنصر أو التعذيب الى درجة القتل أو الاحراق حتى وصل الامر الى طردهم من أرضهم وبلادهم نهائيا فى عام ١٦١٠ م على عهد الملك الاسباني « فيليب الثالث » .

من ناحية اخرى فقد انتشرت فى اسبانيا اللغة اللاتينية ، علاوة على اهتمام الرومان بهذا الاقليم ، فشيدوا هناك الطرق والجسور وقنوات المياه ، وغير ذلك من مظاهر العمران التى ما زال بعضها ماثلا الى يومنا هذا .

القوط فى اسبانيا :

شهد القرن الرابع الميلادى هجرات كثيفة للقبائل التى عرفت فى التاريخ باسم برايرة الشمال أو الجرمان حيث اتجهت الى حدود الامبراطورية الرومانية ثم توغلت فيها حين سمح الامبراطور « فالنز » (٣٦٤ - ٣٧٨ م) أن يهبهم مأوى وراء حدود الامبراطورية لكنهم ثاروا بعد ذلك وهزموا جيش الامبراطورية ، وصرعوا الامبراطور فالنز نفسه فى معركة أدرنة ٣٧٨ م (١٦) .

حرك هذا الانتصار همم المزيد من الشعوب الجرمانية ودفعها الى غزو الاقاليم الغربية ، وتدمير روما عاصمة الامبراطورية العتيقة أكثر من مرة واستقروا فى انحاء أوروبا الغربية . ومن هذه الشعوب كان

Selva Y Gerion, Narciso de : Los Reyes catolicos (١٥)
Gerona - Espana, 1951. p. 46.

(١٦) انظر الباز العرينى . المصدر السابق ص ٩٠ ، وسعيد عاشور
فى المصدر المشار اليه ص ٤٤ .

الوندال المعروفون بقسوتهم وفزعنهم التدميرية ، ومن ثم عبرت جموعهم مع جموع أخرى من السوييف جبال البرقات Pirineos لكي تقيم في الاقاليم الشرقية الشمالية ، والجنوبية الغربية من شبه الجزيرة الايبيرية .

وفي خلال تلك الفترة التي كان يسيطر الوندال فيها على أجزاء من شبه الجزيرة الايبيرية ، كان القوط الغربيون يقتحمون ايطاليا ويدمرون مدينة روما في ٤١٠ م بينما أختبأ الامبراطور « هنريوس » في مدينة رافنا ، ولم يجد الامبراطور مفرا لكي يخرج القوط من روما الا أن يمنحهم منطقة أكيثانيا المعروفة بخصبها ، وهناك بدأت فترة من المسالمة بين القوط الغربيين والامبراطور ودخل القوط الى شبه الجزيرة اطررد مغتصبيها من السوييفي والوندال وغيرهم . وعبر الوندال الى شمال افريقية . وفي عهد ملكهم « واليا Walia » والذي حكم من ٤٠٩ - ٤١٦ م ، تمكن القوط من الحصول على حق الاستقرار الدائم في اقليم أكيثانيا (١٧) .

وعندما توفي واليا خلفه ثيودريك (٤١٩ - ٤٥١ م) حيث تمكن من تثبيت أركان المملكة القوطية وتوسيع رقعتها ، ووصلت دولة القوط في أسبانيا الى قمة مجدها وعظمتها على عهد « ايورك » (٤٦٥ - ٤٨٤ م) لكن الفرنجة تمكنوا بعد ذلك من هزيمة الفوط وخراجهم من جنوب فرنسا واضطارهم الى الاستقرار نهائيا في شبه الجزيرة الايبيرية ، ثم جاء الخطر الاكبر من محاولات الامبراطور البيزنطي جستنيان (٥٢٧ - ٥٦٥) استرداد وحدة الامبراطورية الرومانية ومن ثم القضاء على دولة القوط في أسبانيا وبالتالي وجه جستنيان جيوشه الى اسبانيا حيث نجحت في احتلال بعض الاقاليم الشرقية فقط ، ونجا انقوط بفضل عدة عوامل خارجية وداخلية ومن ثم عاد لهم استقرارهم السياسي في المنطقة ، دون الاستقرار الاجتماعي ، والسبب في ذلك يرجع الى أن القوط كانوا مسيحيين على المذهب الاريوسي بينما

الشعب في شبه الجزيرة كما سبق القول كان على المذهب الكاثوليكي ومن ثم كان العداء الدائم بين القوط والاسبان .

وكان آخر ملوك القوط الآريوسيين هو الملك ليو فيخيلد Liuvigild (٥٦٧ - ٥٨٦) والذي قاوم الكاثوليكية بشدة ، ورغم تحالف الاعداء من الفرنجة والسويفي والبيزنطيين فإنه تمكن من الانتصار عليهم وتجييد البيزنطيين والقضاء على السويفي ودولتهم التي كانت ما زالت قائمة في الركن الشمالي الغربي من شبه الجزيرة .

وبعد ليو فيخلد حكم ابنه ريكاريدو Recaredo (٥٨٦ - ٦٠١) ووجد أنه لن يتمكن القوط من العيش في سلام مع الاسبان الا اذا توحدوا في الديانة ، فتخلى عن عقيدته الاريسية واعتنق الكاثوليكية هو واهل بيته وعقد المجمع المسكوني الثالث في طليطلة حيث اعلن ذلك الخبر وبذلك أصبحت الكاثوليكية هي الديانة الرسمية في اسبانيا (١٨) .

ومنذ ذلك الحين لم يعد للبيزنطيين أمل في اسبانيا ، وتمكن القوط من طردهم نهائيا على عصر الامبراطور « هرقل » وتمكن « سوينتيلا suintila » (٦٢١ - ٦٣١) من أن يصبح أول ملك قوطي يسيطر على جميع أرجاء شبه الجزيرة (١٩) .

احوال الاندلس قبل الفتح الاسلامي :

رغم أن مملكة القوط في اسبانيا قد استمرت زهاء قرنين أو أكثر من الزمان الا أن عوامل الضعف كانت كامنة في نظام حكمهم . لأنه لم يكن للقوط نظام ثابت لانتقال السلطة ، وساد بينهم قانون الحكم لا قوى ، فهم على ما يرى أحد مؤرخي الفرنجة « اذا لم يتوافقوا مع

Velarde, Arranz : Historia de España, p. 55.

(١٨)

وانظر الدكتور حسين مؤنس : فجر الاندلس ص ٩ .

Ib'd. p. 55.

(١٩)

أحد الملوك قتلوه وأحلوا محله من كان مناسبا لاهوائهم » (٢٠) ولذلك
كثر القتل بين ملوكهم ، وحاول رجال الدين ايجاد نظام معلوم
لانتقال السلطة ، وعملوا على اجبار الملك القوطي « سيشفاندو » (٦٣١ -
٦٣٦) لكي يقبل بأحد قوانين مجمع النبلاء ورجال الدين السادس في
طليطلة والذي ينص على أنه لا يحق لاحد ان يتولى المملكة بالقوة ،
ويكون الملك بناء على اختيار وانتخاب النبلاء ورجال الدين له ، لكن
الامور لم تسر بعد ذلك على نفس الطريق ، وحاول الملك خندشبنط
Chindasvinto ان يجعل الحكم وراثيا في ابنائه مما فجر

الصراع السياسي بين النبلاء وعند موت ابنه رجشبنط
Recesvinto (٦٥٣ - ٦٧٢ م) ، اختار النبلاء « وامبا Wamba » ليكون ملكا
على اسبانيا خلال المدة من (٦٢٧ - ٦٨٦ م) وهو الذي يبدأ به
مؤرخو اسبانيا الاسلامية الحديث عن القوط في الاندلس قبل الاسلام .

كان « وامبا » ملكا يتمتع بمزايا عالية تؤهله لكي يضع قواعد
الاستقرار في المملكة القوطية ، لكنه ذهب ضحية احدي الثورات ، وبدأ
الانحلال السريع ينخر عظام تلك المملكة الكبيرة ، وأنقل عن أحد
المؤرخين الاسبان تلك العبارات التي تصور لنا حقيقة فساد ذلك
النظام القوطي : لقد ذهبت سدى جميع قرارات المجامع الطليطالية
والمجامع التي تضم كبار رجال الدين والنبلاء وعرفت في اللغة الاسبانية
باسم Concilios (٢١) والتي سنت كثيرا من القوانين ضد نزوات
النبلاء والاسرة المالكة ، ولم تعد تجدي قرارات العقوبات الوقتية
أو الدائمة . لقد استشرى الفساد ، واستعصى العلاج ، وكان مجتمعا
ان يحل الخراب بالمملكة القوطية » (٢٢) .

Velarde: Ibid, p.55

(٢٠)

انظر في الاسماء ما أورده كتاب « ذكر بلاد الاندلس » ، لمؤلف مجهول
تحقيق الدكتور مولينا . طبعة المجلس الاعلى للعلوم بمدريد عام ١٩٨٣ م
ج ١ ص ٩٢ .

Velarde, Arranzq : Ibid p. 60.

(٢١)

Velarde, Arranza : Ibid. p. 56.

(٢٢)

وتولى بعد وامبا حفيده ايخيكيا Egica (٦٨٧ - ٧٠١ م) (٢٣) والذي ترك الحكم من بعده لابنه وتيزا Witiza (٧٠١ - ٧٠٩) وتسميه المصادر العربية غيطشة ، فثار عليه النبلاء ومنهم حاكم اقليم تيودمير Theodimir ودوق اقليم بيتيكا الكونت لذريرك Rodrigo (٧٨٩ - ٧١١) الذي اصبحت ملكا على اسبانيا بعد غيطشة ، ومن ثم وقف في وجه لذريرك أبناء الملك غيطشة واخوته . ويذكر التاريخ لهذا الملك اخوين هما شبرط Sisbert وأوباش Oppas وثلاثة من الابناء هم : أخيلا Aquila وألوند Almundo وأرطباس Ardobas وبما أنهم لم يكن لديهم القدرة الكافية على مواجهة مغتصب عرش الملك غيطشة فقد دفعهم ذلك الى التماس الوسائل لاسقاطه حتى ولو تطلب ذلك اللجوء الى التماس العون من حاكم اقليم سبتة ورئيس قبائل لوس غومارا Gumara الكونت أوليان Olian أو خولييان Julian أو يليان كما تسميه المصادر العربية .

أما الرواية الاسلامية فتتحدث عن الاوضاع في المملكة القوطية بصورة يقترب بعضها من الحقائق التاريخية ، والبعض الآخر يبتعد عنها كثيرا ، حيث يذكر صاحب « كتاب ذكر بلاد الاندلس » أن عدد ملوك القوط بطليطلة سبعة وثلاثين ملكا ، وان الذين ملكوا منهم بالاندلس تسعة املاك خاصة ، يجعل منهم الملك غيطشة ، والملك التاسع لذريرك ولما مات غيطشة وثب لذريرك على ملك الاندلس بعده ، ولم يكن لذريرك من أهل بيت الملك ، وانما كان من عمال الملك ، كان عاملا على قرطبة فلما مات الملك وثب لذريرك على الملك فملك جميع بلاد الاندلس واستوثق له ملكها ، وكان ملكه بها سنة واحدة وثمانية اشهر ، وعليه دخل طارق وجيوش المسلمين الاندلس في أوان فتحها وذلك في رمضان المعظم سنة ٩١ للهجرة (٢٤) .

(٢٣) تسمية بعض المصادر العربية الاندلسية « ايقية » انظر ذكر
ذكر بلاد الاندلس المشار اليه ص ٩٣ .
(٢٤) مؤلف مجهول : ذكر بلاد الاندلس تحقيق لويس مولينا ج ١
ص ٩١ - ٩٣ .

أما ابن عذارى فيقول : « ودخل القوط الاندلس ، وقطع الله ملك روما منها ، وعدة ملوك القوطيين ستة عشر ملكا ، آخرهم لذريق ، الذى دخل عليه المسلمون وجعلوا دار ملكهم طليطلة . ووجدت فى بعض كتب العجم أن آخر ملوك الاندلس كان يسمى « وخشندش » . . . وقالوا أن لذريق وثب على وخشندش هذا وقتله ، وغلب على ملك الاندلس ودانت له طليطلة وغيرها (٢٥) . ويجعلهم ابن حيان ستة وثلاثين ملكا منذ عهد « اتاناونيوس » الى عهد لذريق آخرهم ، ويجعل مدة حكمهم للاندلس ثلاثمائة واثنان واربعون سنة (٢٦) .

من هذا يتبين لنا ان النظام السياسى فى المملكة القوطية وخاصة فى عصورها الاخيرة كان احد اسباب عدم الاستقرار ومبعثا للثقل والثورات والخروج على سلطة العاصمة طليطلة ، وتلك ظاهرة ضربت بأطنابها فى شعوب شبه الجزيرة الايبيرية ، ونرى لها مظاهرها الدائمة فى كل عصر من عصورها ، بما فى ذلك العصور الاسلامية ، التى تشغل فيها اخبار الثورات والتمرد على الحكم حيزا واسعا من التاريخ ولتلق نظرة سريعة على بعض جوانب الحياة الاخرى فى الاندلس قبل الفتح الاسلامى .

الاحوال الاجتماعية :

عاش القوط فى بداية عهدهم سادة على المجتمع الاسبانى ورفضوا السعى للاندماج مع طبقاته ، بل وصل الامر مع بعض ملوكهم الى وضع مجموعة من القوانين عرفت باسم لوائح « الملكين ايوريكو والاريك الثانى » حرمت تحريما قاطعا الزواج بين القوط واللاتين وتجعل الموت عقوبة لمثل هذا التصرف (٢٧) . ثم مع مرور الاعوام الغى الملك رجشبنث هذه القوانين ، وبالتالى بدأ نوع من التقارب بين الشعبين ، وخاصة عندما اعتنق القوط المسيحية الكاثوليكية ، ومع ذلك بقيت الفروق العرقية

(٢٥) ابن عذارى : البيان المغرب ج ٢ ص ٢ - ٣ .

(٢٦) المقرئ : نفح الطيب ، ج ١ ص ١٣٩ . طبعة احسان عباس

ببيروت ١٩٦٨ .

Velarde , : Ibid. p 61-62.

(٢٧)

بين القوط والاسبان على عكس ما يرى الدكتور حسين مؤنس من أن القوط تحولوا الى اسبان في وقت قصير ، في حين لم يصبح العرب اسبانيا الا بعد فترة طويلة (٢٨) . وانقسم المجتمع الاسباني نتيجة لذلك الى عدة طبقات اجتماعية متميزة .

الاحرار : وعلى رأس هذه الطبقة تربع النبلاء من الحكام القوط وكبار ملاك الارضى ، وكانت لهم المناصب الرئيسية في الدولة والمراكز الرفيعة في البلاط الملكي ، والى جانب هؤلاء كانت بقايا الارستقراطية الاسبانية الرومانية القديمة من اعضاء مجالس الشيوخ ومجالس المدن ، وأصحاب الاموال ، اما صغار الملاك ، والاحرار العاديون فلقد شكلوا طبقة اقل داخل اطار الاحرار ، وكان عليهم الاشتراك في الحرب باعتبارهم مواطنين احرارا ، ومن حقهم فقط أداء الشهادة أمام الحاكم ، دون التمتع ببقاى المزايا التى كانت لكبار النبلاء والاقطاعيين .

طبقة رجال الدين : كانت اسبانيا من البلاد التى تلقت المسيحية مبكرا ومن ثم بدأ التنظيم الكنسى يأخذ أهميته وقيمته في حياة الناس ، حتى أصبح لرجال الدين مكانة في نفوس الشعب تقارب مكانة الحكام ان لم ترتفع عليها .

ولقد كان الاسبان متدينين بطبيعتهم ، وساعد ذلك على ارتقاء مكانة رجال الكهنوت في المجتمع ، واستطاعوا ان يوجهوا القوانين والنظم وان يصوغوا الحياة العقلية والاجتماعية وفقا لمثل الكنيسة وغاياتها ثم استغلوا هذا النفوذ في احرار الضياع وتكديس الثروات واقتناء الزراع والارقاء (٢٩) .

كذلك كان لرجال الدين نفوذ سياسى الى جانب نفوذهم الروحي اذ كان عليهم ان يباركوا الملك الجديد بعد انتخابه ، وهذا يدلنا ضمنا على اشتراكهم في انتخاب الملك ، كذلك كانت ممتلكاتهم العقارية

(٢٨) حسين مؤنس : فجر الاندلس ، ص ٨ .

(٢٩) محمد عبد الله عنان . دولة الاسلام في الاندلس ، ج ١ ص ٣٠ .

معفاة من الضرائب مثل بقية النبلاء تماما (٣٠) أ .

الطبقة الوسطى : وهى جزء من طبقة الاحرار واشتملت على التجار ومتوسطى ملاك الارضى ، ورجال الكهنوت من المسئولين عن المدن الصغرى ولقد اثقل كاهل هذه الطبقة بالضرائب وتعرضت لضغوط كثيرة من قبل النبلاء واصحاب الاقطاع ، ووصلت فى حياتها فى الفترة الاخيرة من العصر القوطى الى اوضاع سيئة ، وظروف معيشة غير مناسبة .

طبقة الموالى : نتيجة لسوء الاوضاع الاقتصادية فى اسبانيا وما ساد البلد من اضطرابات سياسية ، وعجز الحكومة القوطية عن توفير الامن للرعايا ، فلقد اضطر كثيرون من المواطنين الاحرار الى الانتماء لبعض كبار النبلاء ، بحيث تحولوا الى موالى لهؤلاء السادة فى مقابل أن يؤمنوا لهم نوعا من الحياة الآمنة ، وتقع على كاهل هؤلاء خدمة سادتهم خلال فترات السلام والحرب الى جانبهم اذا كان عليهم الاشتراك فى المعارك ، ولنفس الاسباب قام بعض صغار الملاك بالتنازل عن أملاكهم ودخلوا فى خدمة أحد السادة النبلاء مما زاد فى اقطاعيات كبار القوم ، واختفاء صغار الملاك تدريجيا . وينتسب ايضا لطبقة الموالى ابناء الطبقات التى لا تتمتع بحريتها كاملة ، وانما خضعت لشروط تقديم بعض المساعدات والخدمات لسادتهم القدامى .

طبقة العبيد : كان العبيد دائما القطيع الانسانى للسادة النبلاء وكبار الاقطاعيين ، وطبقة الاحرار عامة . وعمل هؤلاء فى الخدمة فى المنازل والمزارع ، وحرموا من الحركة خارج مزارعهم ، وطوردوا فى كل مكان ، حتى سنت القوانين بعقاب كل اهل قرية لا يتمكنون من القبض على عبد هارب ، وارتبطت حياة العبيد بظروف سادتهم الاقتصادية وكانت اعدادهم كثيرة جدا ، وشكلوا قاعدة انسانية عريضة لكنها مهضومة الجانب تباع وتشترى مع الارض ، ويملك السادة عليها كل الحقوق بما فيها حق قتلهم أو ابيدانهم (٣٠)

(٣٠) أ العبادى . فى تاريخ المغرب والاندلس ص ٥٠ .

Velarde Arranza : Ibid. p. 62-63.

(٣٠)

طبقة اليهود : شكل اليهود طبقة كبيرة العدد في المجتمع الاسباني على عصر القوط لكنها كانت طبقة مكروهة من الأحكام والنبلاء وعامة الشعب أيضا ، وذلك للطباع السيئة التي جبل عليها اليهود وقيامهم باستغلال كل الظروف لصالحهم ، وحيث انهم بطبيعتهم يميلون الى العمل في المتاجرة بالاموال وأكل الربا فقد كثرت في يدهم الثروات وصاروا مطمحا للسلادة النبلاء يصبون عليهم جام غضبهم ويستولون على ما لديهم من ثروات .

وحيدما اشد نفوذ الكنيسة في اسبانيا وجهت جهودها لتنصير اليهود مستخدمة في ذلك وسائل القهر والشدّة ، ومن ثم صار اضطهاد اليهود سياسة ثابتة لكل طبقات الشعب الاسباني ، حكاه ومحكوميه وفي عصر الملك سيزيوت فرض التنصر على اليهود أو النفي أو المصادرة فاعتنق النصرانية كثير منهم كرها ورياء سنة ٦١٦ م ، ثم توالى عليهم بعد ذلك صنوف الاضطهاد والمحن ، فركنوا الى التآمر وتدبير الثورة وتفاهوا مع اخوانهم يهود المغرب على المؤازرة والمعاونة . ولكن المؤامرة اكتشفت قبل نضجها (٦٩٤ م) (٣١) مما دفع الحكومة والكنيسة الى المغالاة في القسوة والعنف مع اليهود حتى ان مجمع طليطلة السذي عقد في عام ٦٩٤ ، قد خصص جلساته لفرض العقوبات على اليهود ، وقد اصدر المراسيم القاسية التي تنص على نزع اموال اليهود ومصادرتها وعلى فصل ابنائهم عنهم وتعهيدهم قسرا مما زاد من الهوة التي تباعد بين اليهود والدولة القوطية في اسبانيا ، واذا كان الدكتور حسين مؤنس ينفى وجود دليل على الصلات بين يهود اسبانيا ويهود المغرب الا انه يؤكد انهم لا قوا عسفا بالغا متصلا ، وان الفتوح العربي (الاسلامى) لو لم يكن قد ادركهم ، وابقى على من ابقى عليه من ظلم القوط منهم لما بقى لهم في شبه الجزيرة أثر (٣٢) .

(٣١) محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام في الاندلس ج ١ ص ٣٠ ،
وانظر ايضا مختار العبادى . في تاريخ المغرب والاندلس ص ٥٠ - ٥١ .
(٣٢) حسين مؤنس : فجر الاندلس ، ص ١٤ .

تلك كانت الصورة التي كانت عليها اسبانيا قبل الاسلام (٣٣) ، ومع ما بها من سوء فليس في وسعنا ان ننكر انه كان لاسبانيا القوطية بعض مظاهر التقدم الحضارى والفكرى والثقافى ، وانها لم تكن بالصورة التي يصورها بعض المؤرخين الاسبان أو الكتّاب المسلمين ، والذين لا يرون في هذه الفترة الا ظلاما دامسا أو خرابا لا يمكن عمراؤه وظلما يدفع بالحياة الى هوة سحيقة ، وانما أرى ان اسبانيا خلال هذه الحقبة قد شهدت درجة من التطور الثقافى لا بأس به ، وقد ظهرت بها شخصيات علمية كبيرة مثل « ايزيدورو الاشبيللى » الذى كتب ما يمكن ان نطلق عليه اليوم دائرة معارف تضم كل العلوم المعروفة على عهده . ويقول الدكتور حسين مؤنس : « ونستطيع ان نذكر الى جانب ايزيدورو عددا عظيمما من القساوسة والرهبان الذين تركوا مؤلفات شتى » (٣٤) بينما تكثرت الابحاث والدراسات الاسبانية يوما بعد يوم وتلقى مزيدا من الضوء على المستوى الثقافى لاسبانيا قبل الاسلام (٣٥) .

في ذلك الوقت كان بر العدو المواجه لشبه الجزيرة قد بدأ يستغل بروح الاسلام ، وينعم بتغيير اساسى في كل مجالات الحياة ، وكان موسى ابن نصير قائد المسلمين في هذه المنطقة قد بدأ يستقر تماما وأقبلت جموع السكان من اهل البلاد على الدين الاسلامى زرافات ووحدانا ، ويتطلعون الى الاجهاد في سبيله ونشره ، وكأن ارادة الله شاعت ان تقدم للبشرية دليلا قويا على حيوية هذا الدين وعالميته ، فالشعب الذى قاوم بشدة لا مثيل لها الفاتحين المسلمين يمتلئ حماسا لحمل هذا الدين الى ما جاوره من الشعوب .

(٣٣) لمزيد من الاطلاع على احوال اسبانيا قبل الاسلام انظر عنان . دولة الاسلام في الاندلس ج ١ الصفحات ٢٧ - ٣٧ ، وحسين مؤنس : فجر الاندلس الصفحات ٢ - ٣١ ، والسيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس ، الصفحات ٥١ - ٦٥ ، وغيرهم من المؤرخين الاندلسيين .

(٣٤) حسين مؤنس : فجر الاندلس ، ص ٢٩ - ٣٠ .
(٣٥) انظر في ذلك الغالبية العظمى من كتب التاريخ الاسبانى ، والى كتبها مؤلفون اسبان ، وخاصة الحديثة منها .

لم يكن باقيا من شمال الارض الافريقية خارج سلطان المسلمين الا مدينة سبقة ، والتي استطاعت اعتمادا على مناعتها وبراعة حاكمها « الكونت خوليان » ان تصمد في وجه المسلمين (٣٦) . ولا شك ان موسى ابن نصير كان يسعى للاستيلاء على هذه المدينة ، ولعل هذا سبب حشده لجزء من قواته في طنجة ، المدينة القريبة من سبقة وجعل عليها ابنه مروان قائدا معه طارق زياد حسب بعض الروايات (٣٧) . أو انه جعل والي هذه القوات مباشرة طارق بن زياد حسب روايات أخرى (٣٨) . وبذلك استقر المسلمون على بعد قليل جدا ، على مرآى البصر من شاطئ الاندلس ، واصبحت سبقة بالضرورة وما يقابلها من الشاطئ الآخر ، شاطئ الاندلس . هما ميدانا الجهاد الجديد الذى يداعب خيال المسلمين المتعطشين الى نشر كلمة الله سبحانه وتعالى . ولم يطل الوقت كثيرا حتى كان المسلمون يسجلون على صفحات التاريخ حدثا خالدا ، بل أحد أحداث التاريخ التى لن تمحى ما شاء الله لهذا الكون البقاء ، وأقصد بذلك افتتاح الاندلس .

(٣٦) المقرئ : نفح الطيب ج ١ ص ٢٣٠ ط . احسان عباس بيروت

١٩٦٨ .

(٣٧) الحميدى : جذوة المقتبس طبعة القاهرة ١٩٦٦ ، ص ٣ - ٤ .

(٣٨) د . حسين مؤنس : رواية جديدة عن فتح الاندلس ، مجلة

المعهد المصرى للدراسات الاسلامية بهدريد ، العدد ١٨ (١٩٧٧)

ص ١٠٠ - ١٠٥ وهى النصوص التى نقلها عن الكتاب المنسوب لابن

الرقبي .

قائمة بأسماء ملوك القوط الغربيين وفترات حكمهم منذ اتحادهم
ضد الامبراطورية الرومانية في نهاية القرن الرابع الميلادي ، وحتى سقوط
دولتهم على أيدي المسلمين سنة ٧١١ م

ALARICO	— 410	الاريكو
ATAULFO	410 — 415	أطاوولف
SIGERICO	415 — 418	سيجريكو
TEODOREDO	418 — 451	تيودريدو
TURISMUNDO	451 — 453	توريسمونودو
TEODIRICO I	453 — 466	تيودريكو الاول
EURICO	466 — 484	ايوريكو : ايورك
ALARICO, II	484 — 507	الاريكو الثاني
AMALARICO	507 — 531	أما لاريكو
TEUDIS	531 — 547	تيوديس
TEUDISELO	548 — 549	تيوديسيلو
AGILA	549 — 554	أخيلا
ATANGILDO	554 — 567	أتانجيلدو
LEUVA, I	567 — 572	لوفيفا الاول
LEOVIGILDO	567 — 586	ليوفيجيلدو
RECARIDO	586 — 601	ريكاريدو
LIUVA, II	601 — 603	لوفيفا الثاني
VITERICO	603 — 609	فيتريكو
GUNDEMARO	609 — 612	جوندمارو
SISEBUTO	612 — 621	سيسيبوتو : شسبوت

تابع : قائمة بأسماء القوط الغربيين

SUINTILA	621 — 631	سوينتيلا : شنتله
SISENANDO	631 — 636	سيمفاندو : ششفند
CHINTILA	636 — 640	شينتيلا
TULGA	640 — 642	تولجا : تلغة
CHINDASVINTO	642 — 653	شيندسفينتو : خندشبت
RECESVINTO	653 — 672	ريتيسفينتو : رجشبت
WAMBA	672 — 681	وامبا
ERVIGIO	681 — 687	ارفيخيو
EGICA	687 — 701	ايخكا : ايقة
WITIZA	701 — 709	وتيزا : غيطشة
RODRIGO	709 — 711	رودريك : لذريق

Vease : Marques de Lozaya :

Historia de Espania, 1: 196.

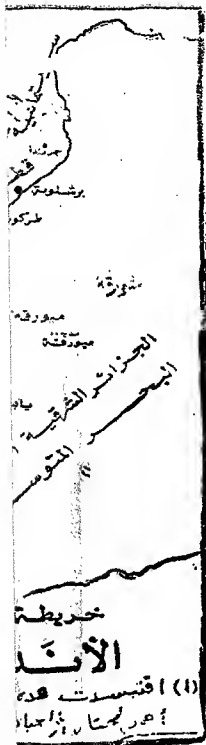
Edicion . Salvat, Barcelona-Espana. 1968.

* Arranz Velarde :

Historia de Espana Y de laCivilizacion Espanola, pp. 48-57.

* Villa — Real : Historia Critica de Espana, pp. 131-156. Granada,
Espana, 1899.

وانظر ايضا كتاب بلاد الاندلس ، تحقيق لويس مولينا ، الصفحات



اقتبست هذه اللوحة الناد

الفتح الاسلامى للانديلس

يعلم الملمون بحقائق التاريخ ، ان الدين الاسلامى قد استطاع فى فترة قصيرة جدا ، لانتجاوز القرن الواحد ان يرفرف ويهيمن على مساحات واسعة من الارض المعروفة فى ذلك الوقت . استطاع المسلمون ان يفتحوا فى هذه المدة الزمنية بلاد الشام ومصر وشمال افريقيا والانديلس وأجزاء واسعة من أرض غالة ، وغالبية جزر البحر المتوسط وكذلك العراق وفارس وأجزاء واسعة من آسيا الصغرى وأرمينية وبلاد ما وراء النهر حتى وصلوا الى حدود الصين شرقا . ولم تسقط هذه البلاد ثمرة ناضجة فى ايدي المسلمين ، وانما بذلوا فى سبيل استخلاصها من الشرك والطغيان دماءهم واموالهم ، وخاضوا معارك باسلة وحروباً بطولية حتى تمكنوا ان يخرجوا هذه البلاد من عبادة العباد الى عبادة الله سبحانه وتعالى (٣٩) .

ولقد تابع المؤرخون المسلمون هذه الفتوحات متابعة دقيقة وسجلوا عنها كل كبيرة وصغيرة ، ولم تفقهم شاردة أو واردة الا دونوها وعلقوا عليها ، وحددوا بالارقام والتواريخ خطوات الفاتحين المسلمين واخبارهم فى كثير من الوضوح والتفصيل (٤٠) .

وكان نصيب فتح المسلمين للانديلس من هذه التأليف كبيرا نسبيا حيث اشار اليه المؤرخون المسلمون المشرقيون بالاضافة الى المؤرخين المسلمين فى غرب العالم الاسلامى ، حتى قال لسان الدين ابن الخطيب رحمه الله : « وحديث الفتح وما من الله به على الاسلام من المنح ، واخبار ما افاء الله من الخير ، على موسى بن نصير ، وكتب من جهاد لطارق ابن زياد مملول قصاص وأوراق ، وحديث افول واشراق ، وارعاد وابراق ،

(٣٩) انظر فى ذلك الدكتور أحمد الشريف : دراسات فى الحضارة الاسلامية الباب الخامس بأعراض الجهاد فى الاسلام وامتداد الدولة الاسلامية عالميا ، ص ١٩٠ وما بعدها .

(٤٠) انظر مثلا كتاب فتوح الشام للواقدي أو فتوح مصر وافريقية والانديلس لابن عبيد الحكم ، أو كتاب الطبرى وابن الأثير وابن خلدون وغيرهم

وعظم امتشاش ، وآلة معلقة في دكان قشاش » (٤١) .

ومع ذلك فان الفتح الاسلامي للاندلس ، مازال وسيظل مجالا مفتوحا للبحث التاريخي ، وموضعا للجدل والنقاش بين المؤرخين بصورة أكبر من أى قضية من قضايا الفتح الاسلامي الاخرى ، ومع عدم الاغراق في التفاصيل والتشعب في الآراء فاننى سأقتصر على ذكر أهم هذه النقاط محيلا القارئ الكريم المتطلع للتعلم في هذه الامور الى المصادر التاريخية التى تستطيع ان تبيل صداه وشغفه بالمعرفة والاطلاع (٤٢) .

أولا : درافح المسلمين وأسباب قيامهم بفتح الاندلس :

كانت الدوافع التى حدثت بالمسلمين الى عبور مضيق هرقل « جبل طارق فيما بعد » واحدة من النقاط الاساسية التى تباينت حولها آراء المؤرخين ، فهناك من يرى ان « بدأت انظار طارق تتطلع الى ميدان جديد يشغل فيه هذه القوى العظيمة التى كانت تحت يده ، وقد كان موسى بن نصير يشغل قواه قبل ذلك في مغازاة القبائل البربرية واجتياح أرضها ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ويبدو ان من معه من الجند بدأوا يلفقون نظره نحو الاندلس ، وما هى عليه من ضعف ، وما تضمه من عيون الثروة » (٤٣) وحيث ان طارقا كان يتربص بمدينة سبقة ، ويراقب حاكمها مراقبة دائمة بغرض التعرف على مناحى الضعف في هذه المدينة التى صمدت أمام المسلمين ، وفي تلك الظروف يتلقى المسلمون دعوة للعبور الى الاندلس وجاءت الدعوة في وقت كانت افكار المسلمين وميولهم مهيأة لقبولها والعمل على تنفيذها .

(٤١) المقرئ : نفح الطيب ، ج ١ ص ٢٣٠ .

(٤٢) انظر في ذلك : د . حسين مؤنس . فجر الاندلس . ورواية جديدة عن فتح الاندلس ، العدد ١٨ ، من مجلة المعهد المصرى للدراسات بمديريت ١٩٧٨ ، د . عبد الرحمن على الحجي . التاريخ الاندلس ، د . أحمد مختار العبادى في تاريخ المغرب والاندلس ، د . سيد عبد العزيز سالم . تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس ، د . محمد عبد الحميد عيسى : فتح الاندلس : رواية متجددة ، مجلة اوراق ، العدد الخامس ، مدريد ١٩٨٣ ، محمد عبد الله عنان . دولة الاسلام في الاندلس ، المجلد الاول .

(٤٣) حسين مؤنس : فجر الاندلس . ص ٥٢ .

(م ٧ - الفتح الاسلامي للاندلس)

وفريق آخر من المؤرخين يميل الى قصر دوافع المسلمين وتحركهم الى الاندلس ، الى نجاح محاولات حاكم مدينة سبقة في اقناع المسلمين في الدخول الى الاندلس وذلك لاعتبارات شخصية وفي بعض الاحيان سياسية (٤٤) . وعلى الرغم من ان شخصية هذا الرجل واسباب اقدامه على دعوة المسلمين لدخول الاندلس ، ودوره في هذه القضية كان موضعاً للجدل بين المؤرخين وانه سيظل كذلك ، فان جميع مصادرنا القديمة والحديثة لا تذكر اطلاقاً دوره الحاسم والكبير في فتح الاندلس (٤٥) .

أما الاسباب الحقيقية التي لم تغفلها الدراسات الحديثة فترجع قيام المسلمين بفتح الاندلس الى طبيعة حركة الجهاد الاسلامي والتي لا تعرف حدوداً في توقفها عن نشر رسالة الاسلام وايصالها الى الناس في أى مكان ، ولقد وصل المسلمون الى شواطئ شمال افريقية واطلوا على المياه التي سمعت صيحة شهيد المسلمين عقبة بن نافع وهو يقول : « والله لو اعلم ان خلف هذا البحر ارضاً لغزوتها حتى ابلغ أرض ذي القرنين (٤٦) . ولم يكن امام المسلمين الا طريقان ، اما الى الجنوب حيث الصحراء وقبائل البربر . واما الى الشمال حيث أرض الاندلس ، ولم يغفلوا ايها المجالين ، فاتجه أبناء موسى نصير الى القبائل الضاربة في الجنوب في الوقت الذي رابط فيه طارق بقواته على الشاطئ متربصاً بسبقة ، ومراقباً للجانب الآخر من المضيق .

ووضع قادة المسلمين الخطط العملية والسليمة لنشر الاسلام في الاندلس ، على مثل عاداتهم قبل اقدامهم على مثل هذه المشروعات الكبيرة فكما كان فتح مصر على يد عمرو بن العاص (رضى الله عنه) نتيجة لخطة موضوعة اقراها الخليفة عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) مع

-
- (٤٤) ابراهيم بيشون : الدولة العربية في اسبانيا . ص ٦٧ .
(٤٥) انظر كتابات المؤرخين المحدثين عن يليان عند محمد عبد الله عنان دولة الاسلام في الاندلس ج ١ ص ٣٨ وما بعدها ، السيد عبد العزيز سالم . تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس ص ٦٦ وما بعدها ، حسين مؤنس . فجر الاندلس ص ٥٢ وما بعدها ، ابراهيم بيشون . الدولة العربية في اسبانيا ص ٦٧ وما بعدها .
(٤٦) ابن عذارى : البيان المغرب . ج ١ ص ٣٧ .

كبار قواده في اجتماع الجابية في الجولان جنوبى دمشق سنة ١٨ هـ .
كذلك كان فتح المسلمين لاسبانيا نتيجة لخطه موضوعة ايضا
اقرها الخليفة الوليد بن عبد الملك بدمشق بالاتفاق مع قائده
موسى بن نصير (٤٧) .

واذا كان اتجاه المسلمين الى فتح الاندلس اتجاها طبيعيا املته
طبيعة حركة الجهاد وتطورها ، فليس هناك ايضا ما يمنع من قبول
استفادة هذا الاتجاه من الظروف المناسبة التى قد تعرض له ، لان
العقلية الاسلامية عقلية ذكية متحررة ، تستطيع ان تستفيد من كل
الظروف المناسبة ، ولا شك ان قادة المسلمين في هذه الفترة كانوا ممن
صقلتهم الخبرة ، وطول الاحتكاك وتميزوا بروح وثابة مرنة استطاعت
ان تقود المسلمين من نصر الى نصر دون ان تعرضهم للخطر ما امكن
ولذلك لا يستبعد من هؤلاء القادة الاستفادة الى اقصى درجة من أية
ظروف أو مستجدات يمكنها مساعدة المسلمين في خطتهم . واذا كان
يوليان قد ظهر في هذه الفترة يعرض خدماته على المسلمين واذا كانت
حماسة المسلمين الجدد من الدبرير عاملا مساعدا فمرحبا بهذا وذلك
من اجل تحقيق الفكرة ، ومن اجل تحقيق هدف سام لكل مجاهد في
سبيل الله الا وهو نشر راية الله سبحانه وتعالى على ربوع ارض جديدة .

شخصية خوليان : من الشخصيات التى يوليها المؤرخون المهتمون
بالفتح الاسلامى ، حاكم اقليم سبقة ، واسمه « خوليان » أو جولييان عند
الذين ترجموا من الفرنسية والانجليزية ، أو يليان كما اسمته المصادر
التاريخية العربية (٤٨) .

واختلف الناس حول كنه هذه الشخصية اختلافا بينا حتى وصل
الامر ببعض المؤرخين الاسبان الى محاولة انكار وجودها كلية ، وان الامر
لا يعدو ان يكون شطحات ادبية ، أو انه شخصية اسطورية خلقها
خيال العرب (٤٩) . لكن الدراسات الحديثة تجمع على وجوده ، وعلى
كونه حاكما لمدينة سبقة وما جاورها .

(٤٧) أحمد مختار العبادى : فى تاريخ المغرب والاندلس ص ٥٤ .

(٤٨) ابن عذارى : البيان المغرب . ج ١ ص ٣٦ .

(٤٩) حسين مؤنس : فجر الاندلس . ص ٥٣ .

ويسير ابن عذارى عند حديثه عن حملة عقبة بن نافع رحمه الله التي وصل فيها الى احوال طنجة بأنه « كان بها ملك اسمه يليان يملك منها الى ساحل المجاز بسبقة ، وكان من اشراف الروم واعاظمهم وذوى العقل والدهاء فيهم ، فلما قاربه - أى عقبة - وجه اليه ارساله مستعظفا ومستلظفا ، وبعت له هدية عظيمة ، وسأل منه المسألة وان ينزل على حكمه ، فقبل منه واجتمع به وسأله عن الاندلس فغظم عليه امرها واقنعه بأن يتجه الى حرب قبائل البربر من المصامدة (٥٠) . وهذه هي المرة الاولى التي تظهر فيها شخصية خوليان على مسرح التاريخ ، ثم يعود الى الظهور بعد ذلك مجالدا لموسى بن نصير ، ومدافعا بشدة عن مدينة سبقة حتى اضطر موسى بن نصير الى الكف عن قتاله والتحول الى مدينة طنجة مكتفيا بارسال السرايا تجتث ما حولهم بالمغاورة (٥١) . ولقد اثار هذا تساؤلا عما اذا كان خوليان الذى التقى بعقبة بن نافع فى حدود سنة ٦٣ أو ٦٤ هـ هو نفسه الذى التقى مع موسى بن نصير فى حدود عام ٩٠ هـ ، ومصادرنا العربية فى معظمها لا تتحدث الا عن « يليان » الذى التقى مع موسى بن نصير أو طارق بن زياد بعد انتهائهما من فتح المغرب ومحاولتهما فتح مدينة سبقة الخاضعة لادارته ومن ثم بدأ دوره فى عملية الفتح الاسلامى للاندلس .

أما الجديد حول شخصية « خوليان » حاكم سبقة فقد جاءنا فى نص حققه الدكتور النجى الكعبى ونسبه الى ابراهيم بن الرقيق المتوفى فى حدود سنة ٤١٧ هـ ، ١٠٢٦ م ، وقولى ديوان الانشاء لنصير الدولة باديس ابن الفتح المنصور (٣٨٦ - ٤٠٦ هـ / ٩٩٦ - ١٠١٥ م) ثالث الامراء من بنى زيرى الصنهاجيين فى افريقية ، ثم لابنه المعز بن باديس (٤٠٦ - ٤٥٣ هـ ١٠١٥ - ١٠٦٢ م) .

يتحدث ذلك النص الفريد فى روايته عن « اليان » وليس « يليان » وليس ذلك مهما ، وانما المهم فى ذلك أن « أليان » لم يكن حاكما على

(٥٠) ابن عذارى : البيان المغرب . ج ١ ص ٣٦ .

(٥١) مجهول المؤلف : اخبار مجموعة ص ٤ . وانظر ايضا تعليق

الدكتور العبادى رقم ٢ فى تحقيقه لنص ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس

ص ٤٢ .

سبته ، بل هو ابن الملك غيطشة ، وقد جاء يدعو المسلمين الى فتح الاندلس ويقول النص : « فكان طارق يوما بطنجة اذ طلعت مراكب فأكمن لها المسلمون فلما أرسيت خرجوا اليها ، وانزلوا أهلها فقالوا : انا اليكم جئنا عازمين ، فاذا هم يعظمون غلاما حديثا منهم يقال له « اليان » فقال له طارق : ما جاء بك ؟ فقال : انا ابن ملك الاندلس وليس بينك وبينها الا هذا الزقاق ، واشار الى جبالها يريه اياها ، قال له طارق : ما جاء بك ؟ قال له : ان ابي قد مات ووثب على مملكتنا بطريق يقال له لذريق ، وبلغنى أمركم ، وجئت اليكم ادعوكم اليها والكون دليلكم عليها (٥٢) .

وبناء على هذه المعلومة الجديدة ، عاد الدكتور حسين مؤنس الى دراسة قضية حاكم سبته ، ويرى باننا لا نعرف تاريخيا أحدا من أبناء غيطشة يسمى بهذا الاسم ، أو قريبا منه ، ثم يصل الى استنتاج مفاده انه من الممكن ان يكون اليان هذا ابنا لـ « يليان » واعتمادا على هذا النص فانه يقول : « ان يليان الاول صاحب عقبة ، كان من اتباع غطيشة واصحابه ، ولهذا اجتهد في صرف عقبة عن غزو الاندلس ، ونصحه بالاتجاه الى الجنوب ومواصلة غزو البربر ، واصبح بعد ذلك حليفا للمسلمين ومعهذا لهم . فلما وثب لذريق بغيطشة واولاده وانصاره اسرع هذا الشاب « اليان » الذى نفترض انه ابن « يليان » الكبير الى العرب ، وحرصهم على غزو الاندلس ، واشترك معهم في ذلك انتقاما من لذريق . » (٥٣) . ولست ارى غرابة في أن يكون « اليان » هذا ابنا لملك الاندلس ، واذا ما قباننا بذلك فان الروايات التاريخية يمكن ان تستقيم وتتناسق خاصة فيما يتعلق بدوافع تلك الشخصية في حث

(٥٢) انظر نص ابن الرقيق الوارد في مقالة الدكتور حسين مؤنس . رواية جديدة عن فتح الاندلس ، مجلة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية بمدريد العدد ١٨ عام ١٩٧٨ م ، الصفحات من ١٠٠ - ١٠٥ . هذا وقد عقيبت على دراسة استاذى الدكتور حسين مؤنس في نفس مجلة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية بمدريد العدد ١٩ ، لعام ١٩٧٩ م .

(٥٣) حنين مؤنس : المقالة المنشارة اليها بمجلة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية بمدريد ، ص ١١٥ .

المسلمين على العبور إلى الأندلس (٥٤) .

أما النقطة الثانية التي تتعلق بالأسباب التي حركت هذا الرجل إلى الاشتراك في عملية حث المسلمين على دخول الأندلس ، فقد حرصت المصادر العربية عامة على ربطها بحادث خاص جدا . ملخصه أن خوليان كان قد أرسل ابنته « فلورندا » لكي تعيش في بلاط الملك الأسباني على حسب عادة النبلاء ، وإنها كانت رائعة الجمال جذابة ، مما أغرى بها شهوات الملك القوطي ، فاعتدى عليها ، وحين علم الأب بما حدث لابنته ، صمم على الانتقام ممن غدر بابنته ، ومن ثم كانت دعوته للمسلمين ، ومشاركتهم في القضاء على ملك لذريق في طليطلة . ورغم وجاهة هذا السبب إلا أنه ليس كافيا إلا إذا توافقت من الناحية الزمنية مع ما تشير إليه مصادرنا التاريخية من الخلافات السياسية التي كانت تعصف ببلاط الملك غيطةشة وتمكن لذريق من الوصول إلى السلطة ، ومن ثم صلب اضهاده على أنصار الملك السابق وآل بيته ، مما حدا بهم إلى الهرب واللجوء إلى حاكم سبقة ، الذي كان إما أحد أفراد البيت الحاكم أو على الأقل أحد أتباعه المخلصين ، ومن ثم قام خوليان ومن معه

(٥٤) سبق لي تناول هذه القضية في مقال بعنوان « فتح الأندلس رواية متجددة » مجلة أوراق التي يصدرها المعهد الأسباني العربي بمدريد العدد ٦ مدريد ١٩٨٣ م والحقيقة أن ابن عذاري يروي رواية مشابهة جدا لم نذنبه إلى أهميتها من قبل فهو يجعل من « يليان » ابنا ملك الأندلس وهذه أقدم رواية تاريخية تجعل من يليان ابنا ملك الأندلس ، ولم يذنبه أحد من المؤرخين من قبل إلى أهمية رواية ابن عذاري ومطابقتها لرواية ابن الرقيق الحديثة النشر . ورواية ابن عذاري هي « وذكر عيسى بن محمد من ولد أبي المهاجر في كتابه » السبب في دخول طارق الأندلس وهو أن طارقا كان واليا لموسى على طنجة ، وكان يوما جالسا إذ نظر إلى مراكب قد طلعت في البحر ، فلما أرسست خرجوا إليها فزغوا أرجلها وانزلوها أهلها فقالوا : اليكم جننا غامدين « وعظيمهم معهم يقال له « يليان » فقال طارق : ما جاء بك ؟ فقال له أن أبي مات فوثب على مملكتنا بطريق يقال له لذريق ، فأهانني وأذلني وبلغني أمركم ، فجنث اليكم ادعوكم إلى الأندلس ، وأكون دليلا لكم » . فاجابه طارق إلى ذلك . (انظر ابن عذاري ج ٢ ص ٦) .

من المضطهدين بالاتصال بالمسلمين لمعاونتهم في استرداد نفوذهم وسيطرتهم على بلاد الاندلس ، أو في الانتقام ممن ظلمهم في هذه البلاد .

ونصل إلى الملاحظة الأخيرة الهامة المرتبطة بتلك الشخصية سواء أكان خوليدان حاكما لسبته ، أو كان ابننا الملك الاندلس فهو على كل حال ممثل لجهة المعارضة الإسبانية التي لعبت دورا في دخول المسلمين إلى الاندلس ، وفي انتصارهم على الملك لذريق ، اقصد بتلك الملاحظة ما هو المقابل الذي وعده المسلمون خوليدان ، أو ابناء الملك غيطشة ، أو انصارهم ، لان لذلك أهمية كبرى في تحديد موقف المسلمين من الرجل وانصاره بعد الفتح .

يتحدث صاحب الأخبار المجموعة عن ان يليان قد بعث إلى موسى بالطاعة ، واقبل به فادخله الدائن (يقصد بذلك مدينة سبته) بعد ان اعتقد لنفسه ولأصحابه عهدا رضيه وأطمأن اليه ، ثم وصف له الاندلس ودعاه إليها ، دون ان يذكر شيئا من الاتفاق مع ابناء الملك غيطشة أو حقوق انصارهم ، ويرجع سبب انهزامهم أثناء المعركة مع المسلمين إلى ما كان يعتمد في نفوسهم من حقد على لذريق مغتصب عرش والدهم (٥٥) . أما ابن القوطية فإنه يرى ان الاتفاق تم بين طارق بن زياد وبين ابناء الملك غيطشة « ششبرت » و « أبه » على ان يقوموا بمساعدته في معركته ضد لذريق في مقابل ان يمضى لهم ضياع ابنهم في الاندلس ، وكانت ثلاث الاف ضيعة ، سميت بعد ذلك صفايا الملوك وكتب لهم بذلك إلى موسى بن نصير ، فأقرهم على عهد طارق وأوفدهم إلى الخليفة الوليد بن عبد الملك الذي وافق على ما شرطه طارق ، وعقد لكل واحد منهم سجلا ، وكانت سجلاتهم الا يقوموا إلى داخل عليهم ولا إلى خارج منهم (٥٦) .

أما ابن عبد الحكم وابن الكردبوس وابن عذارى فإنهم لا يوردون أى اتفاق مع حاكم سبته ، إلا ان يليان انتقاما لابنته اجتمع مع موسى

(٥٥) اخبار مجموعة ، ص ٥٥

(٥٦) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الاندلس ، ص ٣٠ .

ابن نصير واخبره بقصة ابنته ، وقرب عليه مرام غلبة الاندلس وسرعة فتحها وكثرة اموالها ، وجمال سبيها ، وانها بلاد مياه كثيرة وجنات وانهار وغلات (٥٧) . دون ان يكون هناك اية شروط اشترطها يوليان لنفسه أو لاصحابه من اتباع الملك غيطشة .

ولا يخرج المقرئ عن روايات سابقه ، ويستعرض روايات الفتح في كتب الاقدمين دون ان نجد في احدها شروطا يشترطها صاحب سبته على المسلمين أو حقوقا يطالب بها ، ويورد المقرئ قصة ابنة يوليان وما حدث لها من ملك القوط ، وغضب يوليان لذلك حتى انه حين ذهب لاحضار ابنته وحين خروجه بها من الاندلس قال له ملك الاندلس : اذا قدت علينا فاستقره لنا من الشذائعات - أى الصقور - التى لم تزل تطرفنا بها فانها آثر جوارحنا لدينا فقال له : ايها الملك ، وحق المسيح لئن بقيت لادخلن عليك شذائعات ما دخل عليك مثلالها قط . عرض له بالذى اضمره من السعى فى ادخال العرب عليه وهو لا يفتن فلم يتنهه يوليان عندما استقر بسبته مقر عمله أن تهيا للمسير نحو موسى بن نصير الامير ، فمضى نحوه بافريقية ، وكلمه فى غزو الاندلس ووصف له حسناتها وفضلها ، وما جمعت من اسباب المنافع ، وانواع المرافق ، وطيب المزارع ، وكثرة الثمار ، وغزارة المياه وعذوبتها وهون عليه مع ذلك حال رجالها ، ووصفهم بضعف البأس ، وقلة الغناء فشوق موسى الى ما هناك ، وأخذ بالحزم فيما دعاه اليه يوليان فعاقده على الانحراف الى المسلمين ، واستظهر عليه بأن سألته مكاشفة أهمل ملته من الاندلس المشركين ، والاستخراج اليهم بالدخول اليها وشن الغارة فيها ، ففعل يوليان ذلك ، وجمع جمعا من أهل عمله ، فدخل بهم مركبين وحل بساحل الجزيرة الخضراء ، فأغار وقتل وسبى وغنم

(٥٧) ابن عبد الحكم : فتوح افريقية ومصر والاندلس ، ص ٧٢ -

٧٣ .

ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، تحقيق الدكتور مختار العبادى

ص ٤٤ .

ابن عذارى : البيان المغرب ج ٢ ص ٤ .

وأقام بها أياما ، ثم رجع بمن معه سائمين (٥٨) .

أفصت قليلا في هذا الموضوع لنفى شبهة القواطع بين المسلمين وابناء غيطشة ، والقائلة بأن عبور المسلمين الى الاندلس لم يكن الا لمساعدة هؤلاء في استرداد عرش ابيهم المفقود ، ومن ثم يعودون الى المغرب مرة اخرى ، وأن اولاد غيطشة حينما رأوا أن المسلمين عازمون على البقاء في الاندلس ، اسقط في أيديهم وتقدموا الى العرب يطلبون الامان مع من تقدم ، وهى قضية ناقشها الدكتور مؤنس (٥٩) وقال بها عنان (٦٠) والدكتور ابراهيم بيضون (٦١) وغيرهم من المؤرخين .

واذا كان لنا ان نسلم بأن هذه الفكرة قد دارت في اذهان ابناء الملك غيطشة وانصارهم ، الا انها لم تتعد حدود ذلك ، ولا نجد لها صدى في اتصالهم بالمسلمين ، أو حتى في اتصالات يليان بالمسلمين ولو كان الامر كذلك لرفض المسلمون ذلك ، لانهم ، وما تدل عليه تصرفاتهم قبل الفتح وبعده ، كانوا يغزون من أجل نشر الاسلام ، ويقاتلون من أجل تحرير الانسان من رقة الانسان وليس من أجل جماعة أو فئة وخاصة اذا كانت تلك الجماعة أو الفئة من غير المؤمنين ، أو الذين لم يدخلوا في دين الله بعد ، وليس أدل على علم هؤلاء بنية المسلمين البقاء في الاندلس ، أنهم ظلوا يساعدون المسلمين في فتوحهم ، بعد عام كامل من انتصار طارق بن زياد ونجاحه في القضاء على الملك لذريق بعد معركة وادي لكة ، وتقدمه الى طليطلة وغيرها من المدن الاسبانية ، وأنهم رأوا موسى بن نصير يعبر الى الاندلس بالمازيتل من الجيوش الاسلامية دون ان يعود طارق الى المغرب ، وتقدموا الى موسى بن نصير يدلونه على المدن التي لم يفتحها طارق بعد ويرشدونه الى طريق غير طريق طارق يتمكن من خلاله تأكيد انتصارات المسلمين

(٥٨) المقري : نفح الطيب ، ج ١ ص ٢٥٢ - ٢٥٣ .

(٥٩) مؤنس : فجر الاندلس . ص ٥٦ .

(٦٠) محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام في الاندلس ، العصر الاول ،

القسم الاول ص ٣٩ - ٤٠ .

(٦١) ابراهيم بيضون : الدولة العربية في اسبانيا . ص ٦٨ .

ويفتح مدنا عظيمة مثل اشبيلية وماردة ولبللة وغيرها من المدن ، وليس من شك ان هؤلاء القوط الذين كانوا يساعدون المسلمين كانوا على علم كاف بهدف المسلمين ، وهو الاستقرار الدائم في الاندلس (٦٢) .

التمهيد لفتح الاندلس :

أصبحت كل الظروف مهيأة أمام المسلمين لفتح بلاد الاندلس ، وجاءت دعوة يليان وانصار غيطشة لتجد آذاننا صاغية ، وقلوبنا مفتوحة وصدورا مفرحة مستعدة لذلك الفتح ، وبدأت خطوات التمهيد لذلك الفتح ، فطلب موسى بن نصير من يليان ان يثبت أولا حسن نواياه ويوضح للمسلمين عمليا صدق موقفه من لذريق حاكم الاندلس ، وقال له موسى ، اننا لا نشك في قولك ولا نرتاب ، غير اننا نخاف على المسلمين من بلاد لا يعرفونها ، ولكن ارجع الى مكانك ، واجمع جندك ، ومن يقول بقولك ، وجز اليه وشن الغارة على بلاده واقطع ما بينك وبينه واذ ذاك تطيب النفس عليك ، ونحن من ورائك ان شاء الله (٦٣) . ولقد قام يليان بشن الغارة على سواحل الاندلس ، وعاد محملا بالسبي والغنائم مما أكد للناس صدق دعواه ، وما كان يقصه عليهم من عسورات الاندلس .

كتب موسى بن نصير الى الخليفة الوليد بن عبد الملك برغبته في فتح الاندلس ، وتردد الخليفة الوليد بن عبد الملك في ان يدفع بالمسلمين الى ميدان جديد غير مدروس ، وخاصة ان البحر يفصل لأول مرة بين الخلافة ، وارض الجهاد الجديدة ، ولذلك كتب الى موسى بن نصير

(٦٢) انظر ذلك في اخبار مجموعة ص ١٨ .

(٦٣) ابن الكرهبوس : تاريخ الاندلس . ص ٤٥ . وانظر ايضا المقرئ : فتح الطيب ج ١ ص ٢٥٢ - ٢٥٣ . ويورد ابن الحكم رواية اخرى عن استيذان المسلمين من صدق يليان ، قائلا بأنه قد كتب الى طارق بن زياد قائلا له : اني مدخلك الاندلس ، وطارق يومئذ بتلمسان ، وموسى بن نصير بالقيروان ، فقال طارق : فاني لا أطمئن اليك حتى تبعث الى برهينة فبعث اليه بابنتيه ولم يكن له ولد غيرهما ، فأقرهما طارق بتلمسين واستوثق منهما ، ثم خرج طارق الى يليان وهو بسبقة » انظر فتوح افريقيا والاندلس ص ٧٢ .

« ان خضها بالسرايا ولا تغرر بالمسلمين في بحر شيد الاهوال ،
فكتب اليه - موسى - أنه ليس ببحر وانما هو خليج يصف صفة ما
خلفه الناظر . فكتب اليه وان كان ، فاخبره بالسرايا » (٦٤) .

عمد موسى بن نصير - رضى الله عنه - الى اعداد حملة صغيرة
تتكون من مائة فارس وأربعمائة رجل ، وعهد بقيادتها الى رجل من
مواليه اسمه طريف بن مالك ، ويكنى بأبى زرعة . نزلت حملة طريف الى
الاندلس في شهر رمضان من عام ٩١ هـ ، وكان موضع نزوله في جزيرة
عرفت باسمه الى اليوم Isla de Tarifa وأقام بها أياما حتى
عبر جميع أصحابه ثم أغار على ما يجاورها من البلاد ، فاكتشف
ضعف مقاومتهم ، وقلة جندهم ، وحاز من اغارته هذه سبيا كثيرا لم
ير المسلمون مثله (٦٥) وعاد بذلك الى بلاد المغرب مما أفتح موسى
بن نصير باتخاذ قراره الهام بالعبور الى الاندلس ، وبدأ الاستعداد لذلك
بعد ان توفرت له مجموعة من الشروط الحربية الاساسية وهي :

أولا : موافقة القيادة العليا ممثلة في الخليفة الوليد بن عبد
الملك والذي لم يرضع عليه أى قيد ، اللهم الا عدم التغرير بالمسلمين .

ثانيا : الاطمئنان الى المكانية الانتصار في الميدان الجديد بعد
أن اختبره مرتين الاولى بغارة حاكم سبتة ، والثانية بغزوة طريف بن
مالك من ابى زرعة .

ثالثا : وجود بعض الاعوان والادلاء والعيون من امثال حاكم سبتة
وابناء الملك غيطشة وأعوانهم ، وغيرهم ممن أمكن ليوليان تجنيدهم .

رابعا : الاطمئنان الى الميدان الاقريقي ، واقبال البربر على
اعتناق الاسلام ، وحماستهم الفياضة للجهاد في سبيل الله .

(٦٤) أخبار مجموعة ص ٦ .

(٦٥) المقرئ : نفح الطيب ، ج ١ ص ٢٥٢ . وابن الكردبوس : تاريخ

الاندلس . ص ٤٥ .

الاستعداد للفتح :

الى جانب هذه الخطوات التمهيدية التي مهدت للفتح الاسلامى لبلاد الاندلس ، قام موسى بن نصير من جانبه بخطوات أخرى استعدادا لهذا المشروع الخطير .

بدأ موسى بن نصير بحشد قواته في مدينة طنجة ، حيث جمع هناك عدة آلاف من المسلمين . يقول صاحب كتاب ذكر الاندلس بأنهم كانوا ألفين من العرب ، واثنى عشر ألفا من البربر وانوا قد أسلموا وحسن اسلامهم (٦٥) وجعل على قيادتهم مولاة طارق بن زياد (٦٦) .

نقطة هامة أخرى تنبه اليها موسى بن نصير ، الا وهي اعداد الوسيلة اللازمة لنقل قواته عبر المضيق الى الاندلس . واذا كانت الكثرة من الروايات التاريخية تحدثنا عن سفن يليان حاكم سبتة التي قدها لعبور المسلمين ، الا ان النصوص التاريخية ، وخاصة ما ظهر منها حديثا تؤكد قيام المسلمين ببناء سفنهم بأنفسهم وهي رواية اقرب الى الصحة ، حيث اجتهد القائدان في بناء السفن ، فيذكر المقرئ نقلا عن ابن حيان أن موسى ابن نصير حين عزم على غزو الاندلس

(٦٥) مجهول المؤلف . ذكر بلاد الاندلس ، ج ١ ص ٩٧ . تحقيق لويس مولينا مدريد ومع ذلك يجعل كتاب أخبار مجموعة عدد جيش طارق سبعة آلاف جلهم من البربر ص ٦ . وكذلك المقرئ ج ١ ص ٢٥٤ . ويذكر الطبري عدة جيش طارق بأثنى عشر ألفا ج ٤ ص ٨ . ويقول ابن عذاري ان طارقا استنفر اثنى عشر ألفا من البربر ، فحملهم يليان في المراكب ج ٢ ص ٦ .

(٦٦) هو طارق بن زياد بن عبد الله بن دفهو بن ورفجوم بن يفزغاسن ابن ولهاص بن يطغوت بن نغزاور . ولقد اختلف المؤرخون في نسبه فجعله بعضهم بربريا ، والآخر عربيا . وبعضهم فارسيا الخ وليس يهمنا من هذا الخلاف الا دلالته على عظمة الاسلام حين يتمكن من قلوب تابعيه ، لان طارقا هنا مسلم بكل ما تعنيه الكلمة من أنه « مسلما » .

ويقول ابن خلكان بأن موسى قد ترك طارقا واليا على طنجة ومعه من الجنود البربر والعرب اثنا عشر ألفا . وفيات الاعيان ج ٥ ص ٣٢٠ طبعة احسان عباس . بيروت .

جهز لها مولاة طارقا المذكور في سبعة آلاف من المسلمين ، جلهم من البربر في أربع سفن ٠٠٠ ٠٠٠ » وكتب طارق الى موسى بأنّه قد زحف اليه لذريق بما لا طاقة له به ، وكان عمل من السفن عدة ، فجهز له فيها خمسة آلاف من المسلمين (٦٧) ، أما صاحب كتاب ذكر بلاد الاندلس فيؤكد أن طارق بن زياد عمل أيضا في انشاء السفن ويقول : « وأخذ طارق بن زياد في انشاء السفن والاستعداد الى الجواز الى الاندلس (٦٨) كما يميل الى ذلك الرأى جماعة من المؤرخين المعاصرين حيث يؤكدون استحالة اعتماد قائد مثل موسى بن نصير على سفن ليست ملكا لجيشه في مثل هذا المشروع الكبير (٦٩) .

ولا أجد صعوبة في التوفيق بين المصادر التي ركزت على قيام المسلمين ببناء سفنهم ضمن خططهم في الاستعداد لعبور الاندلس وبين ما أورده أيضا مصادرنا التاريخية الأخرى من استخدام سفن صاحب سبقة أو السفن التي كانت تتردد بين شاطئ العدو لان الطبيعي في مثل تلك المشاريع الضخمة ان يحشد القائد كل الإطاقات وأن يستفيد من كل الامكانيات ، ولذلك فأننى أميل الى تصور ان

(٦٧) المقرئ : نفح الطيب ٠ ج ١ ص ٢٣١ - ٢٣٢ . ويقول صاحب أخبار مجموعة ص ٧ « وكان موسى مذوجه طارقا أخذ في عمل السفن حتى صارت معه سفن كثيرة ، فحمل اليه خمسة آلاف » .

(٦٨) ذكر بلاد الاندلس ج ١ ص ٩٨ .

(٦٩) أحمد مختار العبادى : دراسات في تاريخ المغرب والاندلس ص ١٨ وفي تاريخ المغرب والاندلس ص ٥٦ - ٥٧ . عبد الرحمن الحجى : التاريخ الاندلسى ص ٤٨ . بيضون : الدولة العربية في اسبانيا ص ٧٢ . السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس ص ٧٢ . ويروى ابن قتيبة الدينورى : « أن موسى وجه طارقا مولاة الى طنجة وما هنالك ، فافتتح مدائن البربر وقلاعها ثم كتب الى موسى بن نصير : أنى أصبت ست سفن ، فكتب اليه موسى أتمها سبعا ثم سر بها الى شاطئ البحر ، وليس لكلمة « أصبت » في هذا السياق الا « صنعت » كما هو واضح (الامامة والسياسة ج ٢ ص ٦٠) تحقيق الدكتور طه الزينى القاهرة ١٩٦٧ م .

القائد الاسلامي لم يهتم الامكانيات المتاحة له واستغلال السفن التي كانت لدى يليان حاكم سبته ، وكذلك سفن التجار والاعاجم التي كانت تعمل في التجارة بين الشاطئ الى جانب ما صنعه هو شخصيا ، وما قام باعداده طارق بن زياد (٧٠) .

ولم يعد أمام المسلمين وقادتهم الا اختيار الوقت المناسب لعبورهم الى الاندلس ، ولعلمهم ظلوا بعضا من الوقت ينتظرون الفرصة أو يدبرونها وجاءت الفرصة حين انشغل لذريق وجيشه في اخماد ثورة للبشكنس في شمال اسبانيا . ولعلها تم تدبيرها . وهنا حانت الفرصة المواتية للفتح .

عبر طارق بن زياد المضيق الذي عرف باسمه منذ ذلك الحين تكريما واعترافا من العالم بأكمله بقيمة ذلك الفاتح الاسلامي الذي ، وان لم تفصح لنا صفحات التاريخ عن مجهول حياته ، وما سلف من عمره قبل الفتح ، فان تلك الصفحات قد نقشت اسمه على جبل المنطقة (٧١) . ومضيق مياها فأصبح اسمه منذ ذلك مكافأة الهية دنيوية لذلك المجاهد المخلص . ومنذ لحظات العبور الاولى ، بدأت مراحل كفاح المسلمين ومعاركهم لافتتاح الاندلس . وذلك في ربيع الاول أو جمادى الأولى من عام ٩٢ هجرية الموافق لعام ٧١١ م .

تتحدث المصادر الاسلامية مشيرة الى أن المقاومة الاسبانية قد واجهت طارقا أثناء محاولاته انزال جنوده على الشاطئ الاخر في منطقة

(٧٠) من المؤرخين القائلين باستخدام سفن يليان وتجار العجم ابن عبد الحكم ص ٧٣ . وابن الكردبوس ص ٤٦ . وابن عذاري ج ٢ ص ٦ ، واخبار مجموعة ص ٦ - ٧ . المقرئ ج ١ ص ٢٣١ . بالاضافة ذلك سابره . بعض المؤرخين المعاصرين مثل محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام في الاندلس ج ١ ص ٤١ . والدكتور حسين مؤنس : فجر الاندلس ص ٦٩ - ٧٠ .

(٧١) أطلق الفينيقيون على الجبل أثناء اقامتهم هناك اسم « جبل كالبى » Mons de calpe انظر في ذلك د . الحجي : التاريخ الاندلسي صفحة : ٤٩ - ٥٠ وتعريفه لعمدة هرقل .

جبل الفتح أو جبل طارق كما عرف بعد ذلك . يروى ابن الكردبوس بأن طارقا « وجد بعض الروم وقوفيا في موضع وطىء كان عزم على النزول فيه الى البر ، فمنعوه منه ، فعدل عنه ليلا الى موضع وعرف فوطاه بالمجاذف وبراذع الدواب ونزل منه في البر وهم لا يعلمون ، فشن غارة عليهم ، وأوقع بهم وغنمهم (٧٢) .

وقام طارق باحتلال الجبل ، واتخذ به معسكرا لنفسه وللمسلمين وبنوا على معسكرهم سورا عرف باسم سور العرب (٧٣) .

احتل المسلمون بعد ذلك مدينة قرطاجة وتقع في سفح جبل طارق وعلى تجويف من الخليج وتعرف في اللغة الاسبانية باسم : Torre de Cartagena (٧٤) . وبدأوا يتقدمون صوب

الجزيرة الخضراء وافتتحوها ، وبذلك أقام المسلمون حزام أمان لهم يربطهم بالشاطئ الإفريقي ويضمن لهم عدم المهاجمة من الخلف ، ويؤمن لهم طريق الامدادات ، والارتداد اذا ما قدر الله لهم مكروها . ويورد المقرئ خطة أخرى نقلها عن ابن خلدون مفادها أنه صير عسكره عسكرين : أحدهما على نفسه ونزل به جبل الفتح ، فسمى جبل طارق به ، والآخر على طريف ابن مالك النخعي ، ونزل بمكان مدينة طريف . فسمى به وأداروا الاسوار على أنفسهم للتحصن (٧٥) .

بدأ طارق بن زياد يتصدى لقوات القوط العسكرية بالمنطقة جيشا بعد جيش ، وينقل لنا ابن عذارى عن الرازي قوله : لما بلغ لفريق خبر طارق ومن معه ، ومكانهم الذي هم فيه بعث اليهم الجيوش

-
- (٧٢) ابن الكردبوس : تاريخ افتتاح الاندلس صفحة : ٤٦ .
(٧٣) ابن عذارى : البيان ج ٢ صفحة ٩ . وذكر بلاد الاندلس ج ١ صفحة : ٩٨ والمقرئ : الفتح ج ١ صفحة : ٢٣٣ .
(٧٤) انظر د . حسين مؤنس : فجر الاندلس صفحة : ٦٩ و د . عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس صفحة : ٧٣ .
(٧٥) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ج ٤ صفحة ١١٧ . المقرئ : نفيح الطيب ج ١ صفحة : ٢٣٣ وانظر أيضا عبد الرحمن الحجي : التاريخ الاندلسي .

جيشا بعد جيش ، وكان قد قود على أحدهم ابن أخت له يسمى « ينج » وكان أكبر رجاله ، فكانوا عند كل لقاء يهزمون ويقتلون ، وقتل « ينج » وهزم عسكره ، فقوى المسلمون وركب الرجال الخيل ، وانتشروا بناحياتهم التي جازوا بها (٧٦) .

ويكرر ابن عذارى في رواية أخرى ، الصعوبات والمقاومة التي لقيها المسلمون حين نزولهم بأرض الاندلس لأول مرة ، والتي نرجع وجودها الى الغارات التي سبق أن شنها يلبان والمسلمون بقيادة طريف على الاندلس اذ أنه من الطبيعي أن تثير هذه الحملات حذر القوط وتنبيههم الى تعرض سواحلهم الجذوبية للخطر ، وتدفعهم الى تدعيم حراستها . ولولا انشغال الملك القوطي ، لذريق ، بثورة البيكنس في الشمال . وكذلك جهله بمدى قوة المسلمين ، وعدم تقديره الصحيح لاهدافهم ، لسلك الفتح الاسلامي للاندلس طريقا أكثر صعوبة وأشد قسوة (٧٧) .

فشلت اذا تلك الحملات القوطية لايقاف المسلمين أو ردهم على أعقابهم ، وتتابع الاستغاثات على الملك القوطي يستنفرونه (٧٨) . ويعلمونه أن قوما لا يدرى أهم من أهل الارض أم من أهل السماء قد

(٧٦) ابن عذارى : البيان ج ٢ صفحة : ٨ . وينقل الدكتور حسين مؤنس أن اسم هذا القائد الاسباني Bancho فجر الاندلس صفحة : ٧٠ ويجعله غيره Bancio بيضون الدولة العربية في الاندلس صفحة ٧٣ (٧٧) يقول ابن عذارى عند حديثه عن فتح طارق للاندلس « أول فتوحاته جبل الفتح المسمى بجبل طارق ، وذلك لما جاز المسلمون ، ونزلوا في المرسى وهم عرب وبزبر ، حاولوا الطلوع في الجبل ، وهو حجارة حرض فوطؤوا للدواب بالبراذع ، وطلعوا عليها ، فلما حصلوا في الجبل ، بنوا سورا على أنفسهم يسمى سور العرب ، وقيل أنهم فتحوا من حينهم حصن قرطاجنة وكان في سفح هذا الجبل من نظر الجزيرة الخضراء ، فلما بلغ ذلك ملوك الاندلس نفروا الى لذريق ، وكان جبارا طاغية ، فاستنفر النصرانية ، فقيل انه بعث الى المسلمين الجيش بعثا بعد بعث ، فكانوا عند كل لقاء يهزمون ويقتلون ، فقوى المسلمون وركب رجالهم وانتشروا في البلاد . البيان ج ٢ صفحة : ٩ .

(٧٨) ذكر بلاد الاندلس ج ١ صفحة : ٩٨ .

وطئوا الى بلادنا وقد لقيتهم فلقنهمض الى بنفسك (٧٩) .

أدرك لذريق خطورة الوضع في جنوب الاندلس ، وراجع حساباته ورأى الاخطار يهدد المملكة القوطية بكاملها . فعاد بجيشه من الشمال ، وحشد كل طاقاته ، وانحدر في اتجاه الجنوب الى عاصمته طليطية ، ومنها الى قرطبة حيث تجمعت عنده الجيوش التي اختلف المؤرخون في عددها اختلافا كبيرا ، وقدرت ما بين الاربعين ألفا الى المائة ألف أو يزيد (٨٠) . ومن ناحية أخرى عمد الى توحيد قوى النبلاء خلف قيادته ، وخاصة أنصار الملك السابق وأولاده وبشير ابن القوطيه الى ذلك قائلا : « فلما دخل طارق بن زياد الاندلس ، أيام الوليد بن عبد الملك ، كتب لذريق الى أولاد الملك غيطشية ، وقد ترعرعوا وركبوا الخيل ، ويدعوهم الى مناصرته وأن تكون ايديهم واحدة على عدوهم ، وحشدوا الثغر ، وقدموا ونزلوا شقندة وما يطمئنون الى لذريق بدخول قرطبة فخرج اليهم (٨١) » .

(٧٩) انظر في تلك الاستغاثة كتاب الامامة والسياسة لابن قتيبة ، ج ٢ صفحة ٦٠ أما العبارة المذكورة فقد وردت عند الدكتور الحجي : القاتون الاندلسي صفحة : ٥٢ نقلا عن تحفة الانفس لابن هذيل .

(٨٠) جعلت « أخبار مجموعة عدة جيش لذريق مائة ألف صفحة : ٧ أما ابن عذارى فقد قال انه قد زحف الى المسلمين بجميع عساكره ورجالهم وأهل مملكته ج ٢ صفحة : ٧ - ٨ ويذكر ابن الكردبوس أنه « خرج في مائة ألف فارس ومعه العجل تحمل الاموال والكسا ومعه اعداد من الدواب لا تحمل غير الحبال لكتاف الاسرى من المسلمين اذ لم يشك في أخذهم صفحة : ٤٧ . أما صاحب كتاب ذكر بلاد الاندلس فلم يحدد رقما وإنما يقول « فاستنفر النصرانية ، واقبل الى قتال طارق في جيوش لا تحصى صفحة : ٩٨ ويجعلهم ابن خلدون زهاء اربعين ألفا ج ١ ص ٢٣٣ و ج ٤ ص ١١٧ وينقل المقرئ عن ابن حيان أن عدتهم كانت مائة ألف قوى عدد وعدة ج ١ ص : ٢٣١ ، ويختلف ابن قتيبة عن الجميع حيث يجعل جيش لذريق سبعين ألف عنان ومعه العجل تحمل الاموال والزخرف ، انظر الامامة والسياسة ج ٢ صفحة : ٦٠ .

(٨١) ابن القوطية : افتتاح الاندلس صفحة : ٢٩ - ٣٠ ويذكر المقرئ نصا آخر يقول فيه « فلما اقتحم طارق الاندلس ، نفر اليه لذريق ، - =

ولم يمكث الملك القوطى بقرطبة فترة طويلة ، وما هي الا استراحة من رحلة طويلة تقرب من الالف من الكيلومترات ، تجمعت فيها الجيوش وأخذ استعداداه وأهبطه ، حتى خرج الى كورة شذونه *Medinasidonia. Sidonia* حيث ضرب معسكره واستعد لخوض المعركة التى لم يكن يشك في نتيجهها ، اعتمادا على كثرة جيشه وقوة عدده وآلاته .

في تلك الاثناء كان طارق بن زياد وجيشه يتقدمان في اتجاه الشمال الغربى من الجزيرة الخضراء وجزيرة طريف في أرض سهلة تتخلها بعض المستنقعات ، حتى استقر بهم المقام حول بحيرة لاخاندرا *Lago de la janda* « وبالقرب منهم نهر البرباط وهناك وصلتهم الانبياء الخاصة بجيش لذريق وكثرة عدده ، الذى يفوق جيش المسلمين عدة مرات ، وقام طارق بتقدير موقفه بناء على تلك المعلومات (٨٢) . ووجد أن الضرورة تحتم عليه طلب العون من أميره موسى

= واستقر اليه أجناد أهل الاندلس وكتب الى أولاد غيطشة وقد ثرعرعوا وركبوا الخيل ، واتخذوا الرجال يدعوهم الى الاجتماع معه على حرب العرب ، ويحذرهم من القعود عنه ، ويحضهم على أن يكونوا على عدوهم يدا واحدة ، فلم يجدوا بدا ، وحشدوا . وقدموا عليه بقرطبة فنزلوا أكخاف قرية شقندة بعدوة نهرها قبالة القصر ، ولم يطمئنا الى الدخول على لذريق أخذا بالحزم ، الى أن استتب جهاز لذريق وخرج ، فانضموا اليه ، ومضوا معه وهم مرصون لمكروهه ج ١ صفحة : ٢٥٦ - ٢٥٧ .

(٨٢) قدر المؤرخون جيش المسلمين الذى عبر مع طارق في بداية الامر بسبعة الاف مقاتل جلهم من البربر وأقلهم من العرب ، قال بذلك صاحب كتاب أخبار مجموعة صفحة : ٦ وجعلهم ابن عذارى اثنى عشر الفا من البربر ج ٢ صفحة : ٦ أما أحدث المدونات التى نشرت في التاريخ الاندلسى فقد قالت بأن طارقاً جاز الى الاندلس في جيش من اثنى عشر الف مقاتل عشرة الاف من البربر ، وألفين من العرب ، وسبعمائة من السودان (ذكر بلاد الاندلس صفحة : ٩٨) . أما ابن خلدون فيقول بانهم ثلاثمائة من العرب وزهاء عشرة الاف من البربر (تاريخ ابن خلدون ١١٧/٤) أما ابن قتيبة فقد ذكر رقما غير معقول حيث يقول « فصار طارق ابن قتيبة فقد ذكر رقما غير معقول حيث يقول « فصار طارق =

ابن نصير فكتب اليه « يستمده ويخبره أزا قد فتح الله الجزيرة واستولوا عليها وعلى البحيرة ، وأنه قد زحف اليه ملك الاندلس بما لاطاقة له به ، فأمره موسى بخمسة الاف ليصبح جيش المسلمين في هذه المعركة حوالى اثنى عشر ألفا (٨٣) .

في يوم الاحد الثامن والعشرين من شهر رمضان الى يوم الاحد الخامس من شوال من عام ٩٢ هـ ٢٦٠ - ٢٩ يولييه ٧١١ (٨٥) ،

= في ألف رجل وسبع مائة وذلك في شهر رجب ثلاث وتسعين (الامامة والسياسة ج ٢ صفحة : ٦٠) وينقل المقرئ عن الحميدى أن العدد كان تسعة عشر ألفا ج ١ صفحة ٢٣٩ وذكر الدكتور السيد عبد العزيز سالم أن عدد الجيش كان سبعة الاف مقاتل منهم ما يقرب من ثلاثمائة من العرب (تاريخ المسلمين صفحة : ٧٢) . ووافقه على ذلك د . العبادى (في تاريخ المغرب والاندلس صفحة : ٥٥) .

(٨٣) أخبار مجموعة صفحة : ٧ ويقول المقرئ نقلا عن ابن حبان « وكتب طارق الى موسى بانه قد زحف اليه لذريق بما لاطاقة له به ، وكان عمل من السفن عدة ، فجهز له فيها خمسة الاف من المسلمين ، فكمّلوا بمن تقدم اثنى عشر ألفا . انظر النفح ج ١ صفحة : ٢٣٢ وقال ابن قتيبة : وكتب الى مولاه موسى : ان الاسم قد تداعت علينا من كل ناحية ، فالغوث ، الغوث - (الامامة والسياسة ج ٢ صفحة : ٦١) وان كان قد جعل الاستغاثة بعد معركة شذونة .

(٨٤) حملت هذه المعركة أسماء كثيرة : فهي معركة شذونة عند ابن عبد الحكم فتوح صفحة ٧٥ وهى معركة البحيرة عند صاحب اخبار مجموعة صفحة ٨ ، ومعركة وادى الطين عند ابن عذارى : البيان ج ٢ صفحة ٧ ومعركة السواقي . ووادى لكة عند ابن الشباط : وصف الاندلس صفحة : ١٣٤ ، صفحة ١٣٥ ومعركة شريش عند ابن خلّون ج ٢ ١١٧ . هذا وقد قام الدكتور أحمد مختار العبادى بدراسة قيمة لهذه القضية في مقدمته لكتاب ابن الكردبوس ووصفه لابن الشيطان ، خلص منها الى ان معركة بهذه الضخامة من الصعب أن تحمل اسما واحدا ، لقد استغرقت ثمانية أيام ودارت في عدة اماكن وهى بذلك معركة كورة شذونة بكاملها ، ولا شك أن معركة بمثل هذه الحشود الكبيرة وهذا الهدف الخطير وهذه المدة الطويلة ، التى استغرقتها في =

كان لقضاء المسلمين الحاسم مع القوط ، وقام طارق بن زياد بتجزئة قواته وتجهيزها وشرح خطة قتاله ، واتخذ من القديير ما يرفع به معنويات جنوده ، ويزيل عنهم كل أثر من خوف أو رهبة ، وتنسب اليه المصادر التاريخية أنه لكى يشحذ همم أصحابه فقد قام بحرق السفن حتى يقطع عليهم التفكير فى النكوص ويحملهم فقط على الاستبسال فى القتال حتى النصر (٨٦) .

= صراع وطراد ومتابعة لا بد وإن تكون معركة عظيمة تلحق بمكانة هذا الفتح العربى العظيم ، معركة لم تقتصر رحاها على جنوب شذونة أو شمالها . بل شملت جميع انحاء هذه المنطقة فهى معركة كورة شذونة بأسرها ، وليسبت معركة مدينة شذونة قاعدتها ومن هنا جاز لنا ان نقول بان ما ورد فى كتب التاريخ من تسميات مختلفة لهذه المعركة مثل : البحيرة ، ووادى بكة ، ووادى البرباط ، ووادى لكبة وشريش والسواقي ، ما هى فى الواقع الا تسميات لتلك الاماكن التى دارت وتشمعت عندها تلك المعركة الكبيرة فى اراضى كورة شذونة (انظر تلك الدراسة القيمة فى مقدمة د . العبادى لكتاب ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، الصفحات من ٢٧ الى ٤٠ وكذلك كتابه فى تاريخ المغرب والاندلس صفحة : ٦٦ - ٦٩) كما تناول الدكتور حسين مؤنس هذه القضية ، مناقشا كافة روايات الفتح عند المسلمين والمؤرخين الاسبان فى دراسة رائعة نشرها بمجلة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية بمريد تحت عنوان « رواية جديدة لفتح الاندلس » العدد ١٨ عام ١٩٧٥ م . الصفحات من ٩٠ - ١٢٠) .

(٨٥) ابن الكردبوس المصدر المشار اليه صفحة ٤٨ ودراسة العبادى فى مقدمته المشار اليها صفحة ٢٧ وفى تاريخ المغرب والاندلس صفحة ٦٦ .

(٨٦) مسألة احراق السفن من القضايا التى لم ترد فى المدونات التاريخية الا عند بعض المتأخرين منهم من أمثال ابن الكردبوس كتابه تاريخ الاندلس الصفحات ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ والادريسي ، والحميرى ، الا أنها من قصص الفتح الاسلامى الشائعة الانتشار ، والتى تناولها بعض المؤرخين المعاصرين كحقيقة واقعة (انظر الدكتور على حبيبة : مع المسلمين صفحة ٩٨ وأشار الدكتور أحمد المختار العبادى الى احتمال وقوع الحادث مسترشدا بوقائع مماثلة : فى تاريخ المغرب والاندلس الصفحات =

وكذلك تنسب اليه المصادر أنه قام خطيبا وألقى كلمة بليغة فحمد الله وحض الناس على الجهاد ، ورغبهم في الشهادة ، وبسط لهم ثم قال : أيها الناس ، أين المفر ، البحر من ورائكم والعدو من امامكم فليس والله الا الصدق والصبر فانهما لا يغلبان وهما جندان منصوران ، ولا تضر معهما قلة ، ولا تنفع مع الخور

= ٦٠ - ٦٣) هذا ولقد تناول هذه القضية بالنقد والتحليل معظم المؤرخين المعاصرين رافضين هذه الفكرة من كافة نواحيها العملية والفنية والعسكرية أيضا .

ولقد حاولت - مع اقتناعي الكامل بعدم حدوث هذه الواقعة تاريخيا وقناعتي الكاملة بأن طارق بن زياد ما كان ليقدم على مثل هذا العمل أن أجد تعليلا لظهور هذه القضية في بعض المونيات التاريخية والقراءة المتأنية لذلك الخبر عند ابن الكردبوس ، وعند المقرئ يمكنها أن تلقى الضوء على تلك المسألة التي اختلف حولها المؤرخون . يتحدث ابن الكردبوس عن جاسوس دسه لذريق ملك أسبانيا داخل الجيش الاسلامي ليتعرف له على دخیلتهم ، ويشعر المسلمون بالجاسوس ، فلا يقبضون عليه ، اذما يستفيدون من وجوده ، ويأمر طارق جنوده ، بأن يقطعوا جثث الموتى من أسرارهم ، ويضعونها في القدور ويغلوونها على النار ، ثم يقومون خلسة برمي لحم الموتى ، ويحلون مطبخه لحوم الدقير والغنم ثم يدعون الناس للطعام ، فيتصور الجاسوس أن المسلمين يأكلون لحم البشر ، ومن هنا هل عمل المسلمون نفسى الشيء وأوهموا الجاسوس حرقهم مراكبهم ؟ مجرد اشاعة سرت بين المسلمين فحسب وتحدثوا بها لايقاع الرعب في قلوب عدوهم وهذا ما حدث بالفعل ، عاد الرجل الذي لذريق ليقول له : أنتك امة تأكل لحوم الموتى من بنى آدم صفاتهم الصفات التي وجدنا في البيت المتفل ، قد أحرقوا مراكبهم ، ووطنوا على الموت أو الفتح ، فداخل لذريق من ذلك وجيشه من الجزع ما لم يظنوا (انظر ابن الكردبوس صفحة ٤٨ - ٤٩) ولعل رواية المقرئ أكثر وضوحا وتؤيد هذا الاتجاه الذى اتصوره ، فهو بعد أن يقص رواية هذا الرجل الذى دسه لذريق في صفوف المسلمين ويقول بأنه عاد الى لذريق ليقول له : فقد جاءك منهم من لا يريد الا الموت أو اصابة ما تحت قدميك ، قد حرقوا مراكبهم اياسا لانفسهم من التعلق بها ، وصفوا في السهل موطنين أنفسهم على الثبات ، اذ ليس لهم في أرضنا مكان مهرب فرعب وتضاعف جزعه . (نفع الطيب ج ١ صفحة ٢٥٨) .

والكسل والافشل والاختلاف والعجب كثرة (٨٧) .

(٨٧) ان أقدم نص ظهرت به هذه الخطبة هو تاريخ الاندلس لعبد الملك بن حبيب في الجزء الذي نشره الدكتور محمود علي مكي في مقالته عن « مصر والتاريخ العربي الاسباني » مقال سبق الاشارة اليه ، صفحة : ٢٢١ « ورد نصها كاملا في كتاب الامامة والسياسة لابن قتيبة ، وفيات الاعيان لابن خلكان ج ٤ صفحة : ٤٠٤ ونفخ الطيب للمقرئ ج ١ صفحة ٢٤٠ - ٢٤٢ هذا ولقد ناقش أمر هذه الخطبة جلة المؤرخين المعاصرين وتميل غالبيتهم الى رفض نسبة هذه الخطبة الى طارق بن زياد ، حيث أنها في الواقع قطعة أدبية رائعة ، كلماتها حماسية وعباراتها ملهية للمشاعر وتحت على الجهاد ، ولا يتسنى لمثل طارق بن زياد ان يرتجلها على جيش في غالبية من البربر حديثي العهد بالاسلام وباللغة العربية لكن اذا كان من حقنا ان نشك في نسبة النص الذي نقلته الينا مدونات التاريخ فليس من حقنا انكار موضوع الخطبة نفسه ، اذ أنه من الطبيعي أن يتحدث القائد مع جنوده ، يدين لهم خطته في القتال ويحثهم على الصبر ، ويبين لهم مواضع العورات في جيش عدوهم ومن المحتمل أن طارقا ، وقد كان حسن الكلام ، يظلم ما يجوز كتبه كما يقول عنه المؤرخون ، قد تحدث مع جنوده باللغة التي يفهمونها ، ثم جاء المؤرخون العرب فعبثوا هذه الخطبة ، وصاغوها تلك الصياغة الأدبية المتهيزة أنظر في نقد الخطبة د . السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين صفحة : ٧٧ - ٧٨ والعبادي في تاريخ المغرب والاندلس صفحة ٦٣ - ٦٥ محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام في الاندلس ج ١ صفحة ٤٦ - ٤٨ وعبد الرحمن علي الحجى : التاريخ الاندلسي . صفحة ٥٧ - ٦١ . وأنشئ الفرصة للإشارة الى أن بعض المصادر التاريخية والأدبية قد نسبت الى طارة بن زياد بعض أبيات من الشعر التي قالها اثناء أو بعد عبوره الى الاندلس .

ركبنا سفينا بالاجاز متيرا

عسى أن يكون الله منا قد اشترى

نفوسا وأموالا وأهلا بجنة

إذا ما اشتھينا الشيء فيها تيسرا

ولسنا نبالي كيف سالت نفوسنا

إذا نحن أدركنا الذي كان أجدرنا

ويعلق ابن سعيد الذي أورد هذه الابيات : بأنها مما يكتب لمرعاة صاحبها ومكانه لعلو طبقتها . (انظر المقرئ : نفخ الطيب ج ١ صفحة ٢٦٥) ولعل في ذلك اشارة أخرى الى ما تقول به بعض المصادر من بلاغة طارق ونظمه ما يجوز كتبه .

وبدأت المعركة بمناوشات بين الفريقين بعد أن فصل النهر بينهما عدة أيام ، كان لها أثرها الكبير في نفسية المقاتلين ، ففي الوقت الذي كان المسلمون متحمسين للجهاد ، ويدفعهم الإيمان الى الاستبسال ، والرهبة من كثرة الاعداد تتحول في نفوسهم الى عزيمة والصرار على النصر ، كان جيش الاعداء يموج بعوامل القنود والكراهية وعدم الاتفاق على الهدف ، وبرزت رؤوس الفتنة ، وعوامل الاختلاف ضد الملك لذريق وأصبح هدف بعضهم الاساسى تحقيق مصالحهم الشخصية أو الاقتصاد لكل ما عانوه في الماضى .

ويبدو أن يليان وبعض أنصاره قد عادوا الى أرض المعركة بعد أن كان قد تركه طارق على الجزيرة الخضراء بعد تقدمه الى الشمال الغربى ، واعتقد أنه عاد مع المدد الذى أرسله موسى لنجدة طارق ولعل هذا يفسر لنا الاختلاف بين قول ابن عبد الحكم بأن يليان كان قد تخلف ومن كان معه بالجزيرة الخضراء ليكون أطيب لانفس أصحابه وأهل بلده (٨٨) وقول المقرئ عند الحديث عن المعركة « ومعهم يليان المستامن اليهم فى رجاله وأهل عمله يدلهم على العورات ويتجسس لهم الاخبار » (٨٩) .

وكان أكثر جنود القنود حقدًا على ملكهم هم أبناء الملك غيطشمة الذين دارت فى رؤوسهم عوامل الانتقام والثأر ، واجتمعوا على الغدر بالملك لذريق ، وأرسلوا الى طارق يعلمونه أن لذريق كان تابعًا وخادمًا لابيهم فغلبهم على سلطانهم بعد مهلكه ، وأنهم غير تاركى حقهم لديه ، ويسألونه الامان على أن يميلوا اليه عند اللقاء فيمن يتبعهم وأن يسلم اليهم اذا ظفر ضياع والدمهم بالاندلس كلها ، وكانت ثلاثة آلاف ضيعة نفائس مختارة ، وهى التى سميت بعد ذلك صفايا الملوك فأجابهم الى ذلك وعاقدهم عليه (٩٠) .

(٨٨) ابن عبد الحكم : المصدر السابق صفحة : ٧٣ وانظر عبد العزيز سالم تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس صفحة : ٧٣ .

(٨٩) المقرئ : النفج ج ١ صفحة : ٢٥٧ .

(٩٠) المقرئ : النفج ج ١ صفحة : ٢٥٨ - وانظر أيضًا رواية أخرى بنفس الكتاب صفحة : ٢٣٢ وأورد المقرئ رواية مفادها ان طارقا أعطى الامان =

تجمعت عوامل النصر لدى المسلمين ، وعوامل الهزيمة على المشركين ، وسبقت كلمة الله سبحانه وتعالى « وكان حقا علينا نصر المؤمنين (٩١) و « أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون » (٩٢) .

استمر القتال ثمانية أيام كاملة ، صبر فيها الناس صبرا عظيما ثم هزم الله المشركين ، فقتل منهم خلق عظيم ، أقامت عظامهم بعد ذلك بدهر طويل ملبسة بقتل الأرض ، وحاز المسلمون من عسكرهم ما يجلب وصفه ، فكانوا يعرفون كبار الجعم وملوكهم بخواتمهم الذهب يجدونها في أصابعهم ، ويعرفون من دونهم بخواتمهم الفضة ، ويميزون عبيدهم بخواتم النحاس .

انتهت المعركة بانتصار حاسم للمسلمين ، وهزيمة نكراء للقوط ، ولم يعرف أحد مصير الملك الأسباني حيث اختفى بعد المعركة اختفاء أسطوريا ، وفشل المؤرخون في الوصول الى رأى حول مصير هذا القائد الأسباني ، وتذهب الروايات في هذا الاتجاه الى ثلاثة مناجي :

أولا : أنه هرب من أرض المعركة ، وقام بتنظيم المقاومة الى أن قتل ثم حمل أصحابه جثته الى شمال أسبانيا (٩٤) .

= لأولاد غيطشة وأنهم استأذنوه باللاحاق بموسى بن نصير بأفريقية ليؤكد سببهم به وسألوه الكتابة اليه بشأنهم معه وما أعطاهم من عهد ففعل وقابلوا موسى الذى أرسلهم بدوره الى الخليفة الوليد بن عبد الملك ، الذى أكرمهم وانفذ لهم عهد طارق فى ضياع والذهب ، وعقد لكل واحد منهم سجلا وجعل لهم عهدا على أن لا يقوموا لى داخل عليهم ، فقدموا الاندلس ، وحازوا ضياع والذهب أجمع واقتسموها على موافقة منهم ، نفس المصدر
صفحة : ٢٦٥ - ٢٦٦ .

(٩١) سورة الروم : الآية (٤٧) .

(٩٢) سورة المجادلة : الآية (٢٢) .

(٩٣) القرى : النفخ ج ١ صفحة : ٢٥٩ نقلا عن الرازى .

(٩٤) انظر مقالة د . حسين مؤنس : رواية جديدة عن فتح الاندلس التى سبق الإشارة اليها . والدكتور العبادى فى تاريخ المغرب والاندلس صفحة ٦٨ ودراسات فى تاريخ المغرب والاندلس صفحة ٣٤ والدكتور السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس صفحة ٨٠ وصفحة ٩٨ وما بعدها .

ثانياً : أنه غرق في النهر ولم يعثر له على أثر بين القتلى (٩٥)
ثالثاً : أنه سقط صريعاً على أرض المعركة قتله طارق بن زياد

أو غيره من المسلمين (٩٦) .

(٩٥) تميل الى هذا الرأي معظم المصادر التاريخية فيقول صاحب أخبار مجموعة « وغاب لذريق فلم يدر أين وقع ، الا أن المسلمين وجدوا فرسه الابيض وكان عليه سرج له من ذهب مكلل بالدر والياقوت ، قد ساخ الفرس في الطين وفي السواخ وقع فيه وغرق الطنج فلما أخرج رجله ثبت الاخف في الطين ، والله أعلم من أمره ، لم يسمع له خبر ولا وجد حياً ولا ميتاً صفحة : ٩ أما ابن الكردبوس فيقول « ولم يعرف للاكهم لذريق خبر ، ولا بان له أثر فقل انه ترجل ، واران ان يستتر في شاطئ الوادي فصادف غديرا ، فغرق فيه فمات ، ولهذا وجد فيه فرد خفه وهو مرصع بالدر والياقوت عليه المخد ، فانسل من رجله ، وقوم في المغنم بمائة ألف دينار » صفحة : ٤٨ وينقل ابن عذاري عن الرازي قوله : وقتل الله لذريق ومن معه ، وفتح للمسلمين الاندلس ، ولم يعرف للذريق موضع ولا وجدت له جثة ، وانما وجد له خف مفضض ، فقالوا انه غرق ، وقالوا انه قتل والله أعلم (البيان ج ٢ صفحة : ٨) أما صاحب كتاب الذكر فيورد لنا « قيل انه غرق في النهر لان المجاز كان وعرا ، وفرت الروم وقد فقتوا لذريق ووجد خفه في النهر (ج ١ صفحة ٩٩) وتقول إحدى روايات المقرئ : « ورعى لذريق نفسه في وادي لك ، وقد أثقلته السلاح ، فلم يعلم له خبر (النفج ج ١ صفحة : ٢٥٨) (٩٦) ينقل لنا المقرئ رواية صريحة عن مقتل الملك لذريق على أرض المعركة فيقول : « فلما رأى طارق لذريق قال : هذا طاغية القوم ، فحمل وحمل أصحابه معه ففتقرت المقاتلة بين يدي لذريق ، فخلص اليه طارق فضربه بالسيف على راسه فقتله على سريرته ، فلما رأى أصحابه مصرع صاحبهم اقتحم الجيشان وكان النصر للمؤمنين (النفج ج ١ صفحة ٢٤٢) وفي رواية أخرى ينقل عن ابن حبان بعد أن يورد رواية الفتح فيقول : وانهزم القوط أعظم هزيمة ، وقتل ملكهم لذريق ، وغلبت العرب على الاندلس » النفج ج ١ ص ٢٤٩ . أما ابن قتيبة فينفرد بقوله « فاحتز طارق رأس لذريق وبعث به الى موسى بن نصير ، وبعث به موسى مع ابنه ، والحضر معه رجلا من إفريقية ، فقدم به على الوليد بن عبد الملك (الامامة والسياسة ج ٢ صفحة : ٦١) ويقول صاحب كتاب « ذكر بلاد الاندلس » : فانهزم الروم ، وولوا الادبار ، وتحكمت فيهم سيوف المسلمين ، وفر لذريق فأدركه المسلمون بوادي الطين فقتل هو ومن كان معه (ج ١ صفحة : ٩٩) هذا ولقد اورد المؤرخون المعاصرون جميع هذه الروايات أو بعضها انظر كتابات د . عبد العزيز سالم ، =

كان لانتصار المسلمين في معركة شذونة صدى عاليا دوت به الافاق بين ربوع بلاد المغرب والاندلس ، كما كان له تأثير شديد على الناس في كلتا المنطقتين ففي المغرب حين تسامع الناس بذلك النصر المبين ووصلتهم أخباره حتى تسارعوا من كل ناحية يعبرون المضيق الى الاندلس « بكل ما قدروا عليه من مركب وقشر ، فلاحقوا بطارق » (٩٧) . وفاض سيل البربر من كل ناحية على الاندلس ، والتحقوا بقوات المسلمين الظافرة أو المستقرة في الجهات المفتوحة واصبح من الصعب على طارق ابن زياد أن يتحرك بهذا الجيش اللاجب ، فمال الى نصيحة يليان الذى قال له « قد فرغت من الاندلس وهؤلاء ادلاء من أصحابي فرق معهم جيوشك ، وخذ أنت الى طليطلة » (٩٨) .

أما في الاندلس فلقد كان للانتصار وقع الصاعقة على الناس من كافة الطبقات ، اذ لم يكن احد يتصور فداحة الهزيمة التي تعرض لها القوط فهرب القوم ، وارتفع أهل الاندلس عند ذلك الى الحصون والقلاع وتهاربوا من السهل ، ولحقوا بالجبال « كما يقول الرازى وقذف الله الرعب في قلوب الكفرة لما رأوا طارقا يوغل في البلاد ، وكانوا يحسبونه راغبيا في المغنم عاملا على القفول . فسقط في ايديهم وتطايروا عن السهول الى المعازل ، وصعد ذووا القوة منهم الى دار مملكتهم في طليطلة » (٩٩) .

= والعبادى ومحمد عبد الله عنان عند حديثهم عن المعركة ، ويشير الاستاذ محمد عبد الله عنان نقلا عن بعض الروايات النصرانية الى ان ملك القوط قد فر الى بعض الديرية في البرتغال ، وعاش منتكرا حينما من الدهر « انظر دولة الاسلام في الاندلس ج ١ صفحة : ٤٥ . وعن مقتل لخريق بيد طارق في المعركة انظر ابن خلكان ج ٥ ص ٣٢٨ . (٩٧) المقرئ : النفج ج ١ صفحة ٢٥٩ .

(٩٨) أخبار مجموعة صفحة ١٠ ويورد ابن عذارى نصا قريبا يقول فيه « قد فتحت الاندلس ، فخذ من أصحابي ادلاء ، ففرق معهم جيوشك ، وسرأنت الى مدينة طليطلة ففرق جيوشه من استجة » ج ٢ صفحة : ٩ . (٩٩) انظر النصين المشار اليهما عند المقرئ في نفح الطيب ج ١ صفحة : ٢٥٩ - ٢٦٠ ، كما أنه يورد نصا ثالثا يقول فيه « وانقضت أمم القوط وأرز - أوري - الجلالة ومن بقى من أمم العجم الى جبال شتالة وأربونة ، وأفواه الدروب فتحصنوا بها . » صفحة : ٢٣٤ .

لقد أعادت هذه المعركة الخالدة ذكرى انتصارات المسلمين
الدوية في اليرموك وأجنادين والقادسية ونهاوند ، تلك المعارك التي
حسمت مصير الإقليم الواقع بها ، وبالفعل حسمت معركة شذونة
مصير الاندلس كله ، ولم يجد المسلمون بعد ذلك صعوبات كبيرة
في اكمال فتح الاندلس ، حتى وصل الامر ببعض المؤرخين الاسبان
المعاصرين في تقديرهم لباقي عمليات الفتح الاسلامي للاندلس الى القول
بأنها لم تكن أكثر من مجرد نزهة عسكرية (١٠٠) .

طارق بعد معركة شذونة :

كتب طارق الى موسى بأخبار الفتح (١٠١) . وانطلق خليف فلول
القوط يقضى على مقاومتهم من مكان الى آخر ، حتى التقى بمقاومة
شديدة لبقايا الجيش المنهزم عند مدينة استجة ، فقاتلوا قتالا شديدا
حتى كثر القتل والجراح بين المسلمين (١٠٢) .

وجاء نصر الله ، وتمكن طارق من أسر صاحب المدينة حين خرج
وحيدا لقضاء بعض حاجته ، فصادفه طارق بن زياد الذي صالحه
على ما أحب وضرب عليه الجزية ، وخطى سبيله ، فوفى بما عاهد
عليه (١٠٣) .

ويبدو أن معركة استجة كانت بمثابة الضربة شبه القاضية التي
أصابت القوط ، حيث تضعضعت قواهم بعدها وأصابهم اليأس والفنوط .

(١٠٠) أنظر الدراسة القيمة التي قدم بها الدكتور أحمد مختار
العبادي لكتاب ابن الكردبوس تاريخ الاندلس صفحة : ٤٠ وكذلك
كتاباه . في تاريخ المغرب والاندلس صفحة : ٦٩ ودراسات في المغرب
والاندلس صفحة ٣٥ - ٣٦ والدكتور على حبيبة : مع المسلمين في الاندلس
صفحة : ٩٩ ومحمد عبد الله عنان : دولة الاسلام ج ١ صفحة : ٤٦ - ٤٩ .
(١٠١) المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق محمد
سعيد العربي ، ط ٧ ، الدار البيضاء ١٩٧٨ ابن خلدون : تاريخ ج ٤
صفحة : ١١٧ .

(١٠٢) المقرئ : الفتح ج ١ صفحة : ٢٦٠ .

(١٠٣) مجهول : أخبار مجموعة صفحة : ٩ . ابن عذاري . البيان

ج ٢ صفحة : ٨ .

ويرى يليان أن قوة القوط الأساسية قد تدمرت تقريبا ، وفي نفس الوقت أحس بأن الجيش الاسلامي قد تضخم كثيرا بمن انضم اليهم ممن عبر المضيق والتحق بالجيش - ولم يعد هناك حاجة الى الجيش الكبير لان المعارك الأساسية قد انتهت ، وأن المطلوب الآن خفة الحركة في اتجاهات كثيرة ، تقضى على شراذم المقاومة ، وتفتح الاقاليم فتقدم بالنصيحة الى طارق بن زياد : « قد فضضت جيوش القوم ورعبوا ، فاصمد لبيضتهم ، وهؤلاء أدلاء من أصحابي مهرة ، ففرق جيوشك معهم في البلاد ، وأعد أنت الى طليطلة حيث معظمهم ، فاشغل القوم عن النظر في أمرهم ، والاجتماع الى أولى أمرهم ، ففرق طارق جيوشه من استجة (١٠٤) .

(١٠٤) العبارة بنصها في نفح الطيب ج ١ صفحة : ٢٦٠ كما أنها بكلمات أخرى وردت في أخبار مجموعة صفحة ١٠ والبيان المغرب ج ٢ صفحة ٩ . ويثير التأمل في هذه العبارة الكثير من التساؤل حول حقيقة العلاقة التي كانت تربط يليان حاكم سبقة بأبناء الملك غيطشة وانصاره . ينقل لنا الدكتور حسين مؤنس في فجر الاندلس صفحة ٧٥ رواية ردريجو الطليطلي بأن حزب غيطشة قد حسب أن الفرصة قد سنحت لاعلان واحد منهم ملكا مكان الطاغية المهزوم وفعلا بذل وقلة (أخيلا) جهدا كبيرا لكي يصدر عن مجلس طليطلة قرارا باعتباره ملكا .

ونحن نرى في هذه العبارة أن يليان يحث طارقا على أن يسرع ليشغل القوم عن النظر في أمرهم والاجتماع الى أولى أمرهم ، فهل يمكن أن نقول اعتمادا على ذلك أن يليان كان يدرك منذ البداية أهداف المسلمين الحقيقية ؟ وهل كان راغبا حقا في أن ينجح أبناء غيطشة في تنصيب أحدهم ملكا ؟ . لقد سبق أن تناولنا قضية العلاقة بين أبناء غيطشة والفاطحيين ، ووجدنا أنهم لم يشترطوا الا أن يمنحوا أملاك والدم فقط . أما يعطينا هذا الموقف اذا ما تأملناه ، وموقف يليان ، الحق في القول بأن هذه العناصر لم تكن تنظر الى المسلمين على أساس أنهم ظالمون في الغنائم فقط ، بل انهم كانوا يدركون أهداف المسلمين الحقيقية ؟ أما يعيدنا ذلك الى التفكير في ذلك النص الجديد المنسوب الى ابن الرقيق اذ يرد فيه على لسان يولييان - سواء كان حاكم سبقة أو ابن ملك الاندلس - قوله لقومه : اني توثقت لكم فاعلموا أنها دولة العرب وهم يملكون الاندلس ، ودعاهم أن يأخذوا نصيبهم منها فأعجبهم ذلك ورغبوا فيه ، وكتب لهم طارق بالامان على أنفسهم - وذرائعهم وأموالهم » انظر ذلك النص ضمن مقالة د . حسين مؤنس العدد (١٨) من مجلة المعهد المصري بمرييد .

فتح الطريق تماما أمام المسلمين لكي يتقدموا الى قرطبة وطليلة وبدأت فرق المسلمين تنفيذ ما وضعه لها قائدها العام الذي سار بقوة الجيش الرئيسية الى طليطة عاصمة القوط ومركز الحكم في أسبانيا خلال القرون الماضية في الوقت الذي اتجهت فيه الفرق الاخرى لاقتحاج بعض مناطق جنوب أسبانيا وشرقها ، تؤمن طريق الجيش الرئيسي الذي سلك الطريق القديم المعروف باسم طريق هانيبال ، والذي ما يزال حتى الان هو الطريق الذي يربط جنوب أسبانيا بوسطها وشمالها نتيجة لسلاسل الجبال التي تعترض المنطقة ، واختلفت آراء المؤرخين سواء القدامى منهم أو المعاصرون ، حول شخصية قائد جيش المسلمين الذي فتح مدينة قرطبة ، فجعله بعضهم مغيث الرومي الذي أرسله طارق بن زياد في حو الى سبعمائة فارس الى المدينة حيث تمكن من فتحها ، وأسر حاكمها ، والقضاء على حاميتها . وتحدث آخرون عن أن فاتح قرطبة هو طارق بن زياد نفسه الذي فتح المدينة وهو في طريقه الى طليطة ، وأميل شخصيا الى أصحاب الرأي الثاني ، انطلاقا من عدة قناعات ، أولها أن قرطبة تقع على الطريق الى طليطة ، وثانيا أنها المدينة التي سبق للطريق أن استقر بها في طريق عودته من شمال أسبانيا متجها الى لقاء طارق في معركة شذونة ولعله قد ترك في هذه المدينة قبل المعركة ما يدفع المسلمين الى الاسراع في فتحها وهم في طريقهم الى العاصمة القوطية كما أن كثيرا من المؤرخين القدامى يميل الى ذلك الرأي وفي ذلك يقول ابن القوطية بعد حديثه عن انقضاء طارق على لذريق : « ثم تقدم الى استجة ، والى قرطبة ، ثم الى طليطة ، ثم الى الفج المعروف بفج طارق (١٠٥) » .

(١٠٥) ابن القوطية : اقتحاج الاندلس صفحة : ٣٥ . أما عن اختلاف المؤرخين حول فتح قرطبة فقد ذهب الى الرأي القائل بأن مغيث الرومي هو الذي فتحها كل من صاحب كتاب أخبار مجموعة انظر صفحة : ١٠ - ١٢ وابن عذاري البيان ج ٢ صفحة : ٩ - ١١ وابن الكردبوس في تاريخ الاندلس صفحة : ٤٨ - وكذلك القرى في نفح الطيب ج ١ صفحة : ٢٦١ . ويمضى معهم في هذا الاتجاه من المؤرخين المعاصرين د . حسين مؤنس في فجر الاندلس حيث يقول : « ولو قائد غير طارق لاتجه نحو قرطبة ، وأنفق وقتا طويلا الاستيلاء عليها ، ولكنه كان قديرا عليم =

= بعض ما كان يدور اذا ذاك في طليطلة ، وعرف أن الظروف لا تسمح بانفاق الوقت في الحصول على مدائن جنوبى الجزيرة كقرطبة وغرناطة ومالقة فعجل بارسال مغيث الرومى فى قوة كبيرة الى قرطبة ليشغل من فيها عن قطع طريق عودته ثم مضى بمعظم جيشه مسرعا نحو طليطلة « صفحة : ٧٧ والدكتور عبد العزيز سالم فى تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس صفحة : ٨٢ . والدكتور أحمد مختار العبادى : فى تاريخ المغرب والاندلس صفحة : ٦٩ . الدكتور عبد الرحمن على الحجى : التاريخ الاندلسى صفحة : ٦٤ د . ابراهيم بيضون : الدولة العربية فى الاندلس صفحة : ٣٢٠ وغيرهم .

أما الذين قالوا بأن فتح قرطبة قد تم على يد القائد طارق بن زياد شخصا فهم الغالبية من المؤرخين القدامى وأولهم ابن عبد الحكم الذى يجعل من المدينة هدفا يسعى اليه طارق « وزحف يريد قرطبة صفحة : ٧٣ ويجعل قتاله لمدينة قرطبة قبل اشتباكه مع لذريق فى معركة شذونة « فلما جاز طارق تلقته جنود قرطبة ، واجترأوا عليه للذى رأوا من قلة أصحابه ، فاقبلوا مع طارق فاشتد قتالهم ثم انهزموا ، فلم يذل بقتلهم حتى بلغ مدينة قرطبة ، وبلغ ذلك لذريق فزحف اليهم من طليطلة « . صفحة : ٧٤ - ٧٥ . وابن القوطية فى النص المشار اليه فى متن هذا الكلام . والحميدى فى جذوة المقتبس حيث يقول وقد استولى طارق على قرطبة دار المملكة ، وقتل لذريق ملك الروم بالاندلس صفحة : ٤ والمراكشى فى المغرب فى تلخيص أخبار المغرب صفحة : ٢٢ وصاحب كاب ذكر بلاد الاندلس الذى ينص على ذلك فى وضوح قائلا : وسار طارق الى قرطبة بعد قتال لذريق ففتحها ، وأصاب بها من الذهب والفضة واصناف الجواهر ما لا يحصى ، وأخذ فيها من السبى اثنى عشر ألف امرأة ، ثم سار الى طليطلة لفتحها وفتح بلادا كثيرة ج ١ صفحة : ٩٩ . وأخيرا أشير الى الدراسة التى نشرها د . حسين مؤنس الخاصة بفتح الاندلس منسوبة الى ابن الرقيق - سبق الإشارة اليها - والتى أثارت العديد من القضايا ، ومنها فتح طارق شخصا لمدينة قرطبة اعتمادا على ما جاء بهذا الكتاب الذى نشر منذ مدة فى تونس بتحقيق الاستاذ المنجى الكعبي ، ولقد سبق لى القول بتأييد ذلك الرأى فى تعقيبى على مقالة استاذى الدكتور مؤنس ونشر ذلك التعقيب فى مجلة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية فى مدريد العدد ١٩ لعام ١٩٧٩ م . الصفحات ١٤١ - ١٤٤ ضمن عرضى للكتب والابحاث الجديدة بهذه المجلة .

فتح طليطلة :

بعد أن فتح طارق مدينة قرطبة ، استمر في زحفه نحو الشمال حتى بلغ العاصمة طليطلة ، والتي لم يواجه بها مقاومة جديّة لان سكانها سبق لهم هجرها والهرب منها ، وألفاها طارق خالية ، ليس فيها الا اليهود في قوم قلة ، وفر عجلها مع أصحابه (١٠٦) وتسرف الروايات التاريخية في الحديث عن الغنائم التي أفاءها الله على المسلمين من فتحهم لمدينة طليطلة . وتتقدم طارق بعد ذلك الى وادي الحجارة ومنها الى بلدة تطلق عليها المصادر العربية اسم « مدينة المائدة » وفي هذه المدينة وجد طارق كنوز القوط ، ومنها المائدة التي اطلق عليها المؤرخون المسلمون « مائدة سليمان » (١٠٧) .

(١٠٦) ابن عذاري البيان المغرب ج ٢ ص ١٢ ، ومع اسراف المصادر في الحديث عن الغنائم الا أن الغالبية من المؤرخين تمرّ مروراً سريعاً على فتح طليطلة دون تفصيل ، فيقول ابن القوطية : ثم تقدم الى استجة والى قرطبة ، ثم الى طليطلة ، ثم الى الفج المعروف بفج طارق « ص ٣٥ » . ويقول صاحب الاخبار المجموعة : « وسار طارق حتى بلغ طليطلة ، وخطى بها رجالا من أصحابه ، فسلك الى وادي الحجارة ثم استقبل الجبل فقطعه من فج يسمى فج طارق » ص ١٤ . أما صاحب كتاب ذكر بلاد الاندلس فيروي « وسار طارق الى قرطبة بعد قتل لذريق ففتحها ، وأصاب بها من الذهب والفضة وأصناف الجواهر ما لا يحصى وأخذ فيها من السبي اثني عشر ألف امرأة ، ثم سار الى طليطلة ففتحها ، وفتح بلادا كثيرة » ج ١ ص ٩٩ .

(١٠٧) يجمع المؤرخون المعاصرون على أن مدينة المائدة التي وردت في كتابات مؤرخي المغرب والاندلس هي التي عرفت باسم قلعة عبد السلام أو قلعة هنارس Alca'a de Henares . أما المائدة المشار اليها فهناك اصرار من المؤرخين المسلمين على أنها مائدة سليمان بن داود عليهما السلام (انظر اخبار مجموعة ص ١٥ ، وابن عذاري ج ٢ ص ١٢ ، ونفح الطيب ج ١ ص ٢٦٥) .

أما المؤرخون المعاصرون فانهم يستبعدون كون هذه المائدة لسليمان بن داود عليهما السلام ، ويرون فيها أنها كانت مذبح كنيسة طليطلة الكبرى . ولا شك أنها كانت تحفة فنية رائعة الى درجة أثارت اعجاب المؤرخين عامة (انظر في ذلك فجر الاندلس ص ٧٨ ، وتاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس ص ٨٣ - ٨٤) . =

كما أنه عثر على كنوز كنيسة طليطلة التي كانت تجمعها من الذنور والهدايا .

ويرى بعض المؤرخين الاسبان بأن كنيسة القديسين بطرس وبابلو redio Y Pabio المحقة بالقصر الملكي بطليطلة كان بها حجرة ذات جدران مصمتة وقوية يحتفظ فيها بالتيجان الذهبية التي كان يذرعها ملوك اسبانيا للكنيسة ، وبالإضافة الى كميات أخرى

= هذا ولقد قاهت المستشرقة الاسبانية الدكتورة مارييا خيسوس روبيرا بدارسة عن المائدة حاولت فيها أن تؤكد نسبة المائدة الى القدس الشريف ، وأن الرومان قد حملوها معهم الى روما ، ومن هناك حملها القوط الى اسبانيا لتصبح حاملة الشموع أو المذبح في كنيسة طليطلة العظمى (انظر في ذلك المقالة المنشورة بمجلة Awraq; No III Rubiera; : La Mesa de Salamon; pp.26-32. Madrid.1980.

ولقد سبقتها الى نفس التفسير ابن الأثير حيث يروى « أن عجم رومة هم الذين غزوا بيت المقدس ونقلوا مائدة سليمان من هناك الى طليطلة (انظر الكامل ج ٤ ص ١٢٠) .

ويأتى ابن الرقيق بتفسير آخر لوصول هذه المائدة الى طليطلة فيقول : « وان سبب وصولها الى طليطلة أن الروم أخذوا ما كان في بيت المقدس من مكارم الانبياء عليهم السلام ، حملوها الى مدينة رومية وحمل أساقفة الانصارى مائدة سليمان الى الاسكندرية ، فلما غزا عمرو بن العاص مصر هربوا الى مدينة طرابلس ، فلما نزل عمرو بن العاص لبددة هرب بها الروم الى قرطاجنة ، فلما دخل المسلمون أفريقية هربوا بها الى مدينة طليطلة ، ولم يكن لهم أمنع منها » (انظر تاريخ أفريقية والمغرب لابن الرقيق ص ٨٠) ومقالة د . حسين مؤنس المشار اليها ص ١٠٧ .

= أما ابن الشباط فيروى أن « اشبان ابن طيطس من نسل طوبال كان أحد الاملاك الاشبانين ، وخص بملك أكثر الدنيا فلما ملك نواحي الاندلس ، وطاعت له أقاصيها خرج في السفن من اشبيلية الى ايلياء « بيت المقدس » فغنمها وهدمها وقتل من اليهود مائة ألف وسبعمائة ألف ، وفرق في الآفاق منهم مائة ألف ، ونقل رخامها الى اشبيلية وماردة ، وأنه صاحب المائدة » ذكر ذلك أحمد بن محمد الرازي (انظر كتاب صلة السمط وسمة المرط لابن الشباط المنشور ضمن تاريخ الاندلس لابن الكردبوس ، تحقيق أحمد مختار العبادى ص ١٣٩) .

هائلة من كنوز الذهب والفضة ، وقد أطلقت الاسطورة الشعبية الاسبانية على هذه الحجرة اسم « كهف هرقل » وتشير الرواية الى أن الملك لذريق ، رغم حاجته الى المال الا أنه لم يمد يده الى ما في هذه الحجرة مما سهل وقوعها كاملة بين يدي طارق بن زياد (١٠٨) ويؤيد ذلك ما ينقله المقرئ عن بعض الرواة قائلًا : « أنه وجد في طليطلة حين فتحت من الذخائر والاموال ما لا يحصى فمن ذلك مائة وسبعون تاجا من الذهب الاحمر مرصعة بالدر وأصناف الحجاره الثمينه ، ووجد بها ألف سيف ملوكي ، ووجد فيها من الدر والياقوت أكبال ، ومن أوانى الذهب والفضة ما لا يحيط به وصف ، ومائدة سليمان » (١٠٩) .

عاد طارق بعد ذلك الى طليطلة لالتقاط الانفاس ، وحتى لا يوغل كثيرا في مناطق مجهولة ، وخشية أن يقطع عليه الاعداء الطريق وخاصة مع دخول الشتاء ، وقسوة المناخ في هذه المناطق ، ولله كتب الى مولاه موسى بن نصير بأخبار فتوحاته ، طالبا منه المدد أو النهوض اليه في الاندلس ، حيث يذكر مؤلف كتاب ذكر بلاد الاندلس « بأن طارقا قد كتب بالفتح الى موسى بن نصير » (١٠٩ أ) .

وبرى لويس فرنانديث أن طارقا قد خرج من قلعة عبد السلام Alcala de Henares « مدينة المائدة » مستخدما الطريق الرومانى القديم المعروف باسم Buitrago (١٠٩ ب) حتى وصل الى أمايا Amaya ، وليون Leon وأسترقه Astorga

Villa Real. Historia Critica de Espania. 2Ed (١٠٨)
Granada 1889, p. -153.

(١٠٩) المقرئ : نفح الطيب ج ١ ص ٢٨٩ .
(١١٠٩) مجهول المؤلف - ذكر بلاد الاندلس ج ١ ص ٩٩ .
(١٠٩ ب) ويتطابق هذا مع ما جاء في بعض مصادرنا العربية وتحديدھا بأن موسى قد التقى مع طارق بن زياد عند استرقه بعد عبوره الى جليقية من الفج المعروف باسم موسى ، (انظر ذلك ابن القوطية تاريخ افتتاح الاندلس ص ٣٦ ، والمقرئ في نفح الطيب ج ١ ص ٢٧١) .

(م ٩ - تاريخ الفتح الاسلامى لاندلس)

موسى بن نصير فى الاندلس

أسباب عبور موسى الى الاندلس :

اشارت روايات عربية كثيرة الى أن موسى بن نصير حين بلغته أخبار النجاح العظيم الذى أحرزه طارق بن زياد ، قد أخذته الغيرة وأكله الحسد لما حازه مولاه من شرف الفتح ، وأنه أسرع بالعبور لى ينال نصيبه من هذا الشرف ، ويأخذ بحظه من المشاركة فى الفتح (١١٠) لكن النقد التاريخى ، والدراسات المتأنية التى تعرضت لهذه المسألة قد أنكرت تماما أن عبور موسى الى الاندلس نتيجة لما اعتمل فى صدره من حسد ، أو هاج فى نفسه من عوامل غيرة ، أو حتى ما ثار فى نفسه من غضب نتيجة لتعدى طارق بن زياد أوامره أو التقدم الى أبعد مما أمره (١١١) .

تشير عدة من مصادرنا التاريخية الى أن طارق بن زياد هو الذى كتب الى موسى بن نصير يستنجد به قائلا « ان الامم تداعت علينا

(١١٠) يذكر ابن القوطية أنه لما بلغ موسى بن نصير ما تيسر لطارق حسده على ذلك وقدم فى حشد كبير ص ٣٥ ، وإلى ذلك يضى كاتب أخبار مجموعة ص ١٥ ، أما ابن عذارى فيورد عدة روايات فيقول : « وكان السبب فى عبور موسى بن نصير الى الاندلس أنه أغرى بطارق عبده ، وذكر له ما أفاء الله عليه ، فكتب له موسى بأقبح السبب ، وأمره الا يتجاوز قرطبة حتى يقدم عليه ، قال ابن القطان : قيل انما حمله على الجواز الى الاندلس تعدى طارق ما أمره به الا يتعدى قرطبة ، على قول أو موضع هزيمة لذريق على قول . وقيل أيضا انما حمله على ذلك الحسد لطارق على ما أصاب من الفتوح والغنائم . وقيل أيضا : انما جاز باستدعاء طارق » ج ٢ ص ١٣ . وينقل المقرئ عن ابن حيان وغيره : ولما بلغ موسى بن نصير ما صنعه طارق بن زياد ، وما اتيج له حسده وتهيا للمسير الى الاندلس . النفح ج ١ ص ٢٦٩ .

(١١١) تصدى لتنفيذ هذه المسألة ببراعة كبيرة الدكتور السيد عبد العزيز سالم فى كتابه تاريخ المسلمين وأثارهم فى الاندلس ص ٩١ - ٩٢ . وكذلك الدراسة القيمة للدكتور محمد محمد زيتون « تحليل تاريخى لما يذكره المؤرخون عن موسى بن نصير فى فتح الاندلس » مجلة كلية العلوم العربية بالرياض ، العدد الثانى ١٩٧٨ م .

فالعوث الغوث ، فلما أتاه الكتاب نادى فى الناس وعسكر « كما أنه كتب من لحظته الى ابنه مروان بالمسير ، فسار مروان بمن معه ، حتى أجاز الى طارق قبل دخول ابيه موسى (١١٢) .

ومن هنا يتضح لنا بجلاء أن عبور موسى الى الاندلس كان لسبب حربى بحث هو تدعيم موقف المسلمين فى الاندلس ، وانجاد طارق بن زياد ومن معه .

ولقد كان موسى بن نصير على علم تام بخط سير حملة طارق وما فتحه من مدائن ، ومدى توغل المسلمين فى الاندلس ، والاستطاع وهو فى أفريقية أن يقدر خطورة الموقف ، وأن يدرك أن خطوط عودة المسلمين فى الاندلس معرضة للخطر ، وانقلابته هو اجس أحداث الفتوحات الاسلامية فى أفريقية فبادر بالكتابة من فوره الى ابنه مروان - الذى كان أقرب الى الاندلس من موسى بن نصير - لكى يعبر الى الاندلس بمن معه ، كما أنه نادى فى الناس وعسكر ، ولعله كتب الى طارق أن يثبت فى مكانه وأن لا يتقدم الى ما هو أكثر من ذلك حتى يصل اليه ، وأخذ يستكمل قواته ويجهزها للعبور الى الاندلس ، ولقد سبقت الإشارة الى أن موسى بن نصير كان حين وجه طارقه الى الاندلس قد أخذ فى عمل السفن حتى صار معه سفن كثيرة (١١٣) .

(١١٢) ابن قتيبة : الامامة والسياسة ج ٢ ص ٦١ . ولا نفسى رواية ابن عذارى عن ابن القطان « انما جاز باستدعاء طارق لته » انظر ج ٢ ص ١٣ .

(١١٣) انظر أخبار مجموعة ص ٧ ودراستنا لموضوع قضية سفن العبور الى الاندلس فى هذا الكتاب ص ١٠٨ وما بعدها . ويرى الدكتور محمد زيتون أن معارك المسلمين فى الاندلس قد أفقدتهم بعض قوتهم ، وكذلك تركهم حاميات فى البلاد التى افتتحوها ، ومن ثم أصبحوا فى حاجة الى مدد جديد لمواصلة الجهاد وتنشيط أقدام المسلمين فيما استولوا عليه ، وقد كان على موسى بن نصير وهو القائد الاعلى والمسئول عن نتائج هذا الفتح ان يعبر سريعا لتنشيط الفتح وهو اصلته خوفا من أن يتمكن القوط من قطع خط الرجعة على طارق خاصة بعد الانتشار الذى قام به . (انظر تحليله التاريخى لما يذكره المؤرخون عن موسى بن نصير فى فتح =

فتوح موسى في الاندلس :

عبر موسى بن نصير الى الاندلس في شهر رمضان من عام ٩٣ هـ -
يونية ٧١٢ م) في جيش كثيف يزيد على ثمانية عشر ألفا من المقاتلين
غالبيتهم العظمى من العرب ، وفيهم أشراف القوم ، وعدد من التابعين
رضوان الله عليهم . وكان موضع عبوره من سبتة الى الجزيرة الخضراء
أو قريبا منها في مكان عرف باسم « مرسى موسى » (١١٤) وهناك توافقت
اليه الجنود ، وتجمعت لديه القوات براياتها ، وأسس هناك مسجدا لعله
أول مسجد قام المسلمون ببنائه في الاندلس ، عرف باسم مسجد
الرايات حيث كان مقرا لاجتماعات موسى بن نصير مع أصحاب راياته
للتشاور ووضع الخطط العسكرية (١١٥) .

رأى موسى وقادته أن طارقا قد تمكن من قواعد وسط الاندلس الى
جانب ما يجاورها ويقترب منها من مدن الجنوب الشرقي ، ولهذا اتجه
تفكيره الى بلاد غرب الاندلس ، وجنوبها الغربي ، وذلك لكي يتمكن من
القضاء على جيوب المقاومة التي بدأت في التكون بهذه البلاد ، ولكي
يفتح المدين الكبرى القائمة بهذه النواحي ، وتمكن من استدراج الادلاء
الاسبان من أصحاب يوليان حين قال لهم : ما كنت أسلك طريق طارق
ولا أقفو أثره ، فقال له العلوج الادلاء : نحن نملك بك طريقا هو
أشرف من طريقه ، وذلك على مدائن هي أعظم خطرا وأعظم خطبا ، وأوسع

= الاندلس ص ٣٦٠) . وما ذكره ابن الشباط من أن موسى بن نصير كتب
الى ابنه مروان ساعة قدوم كتاب طارق اليه يأمره بالمسير الى الاندلس ،
فسار مروان بمن معه حتى أجاز الى طارق قبل دخول أبيه موسى
(فتح الاندلس ص ١٥٥) .

(١١٤) ابن القوطية : افتتاح الاندلس ص ٣٥ .
(١١٥) انظر في ذلك الادريسي في كتابه نزهة المشتاق ص ١٧٦ -
١٧٧ ، وكذلك كتابي : تاريخ التعليم في الاندلس ، ص ٢٦٨ ، وانظر
أيضا كتاب ابن سعيد الاندلسي « رايات المبرزين » حققه نعمان القاضي ،
ثم أعاد تحقيقه وترجمته الى الاسبانية عميد المستشرقين الاسبان « دون
حارثيا جوميث » . Garcia Gomez .

غنها من مدائنهم ، لم تفتح بعد ، يفتحها الله على يديك ، فملىء
سرورا (١١٦) . فساروا به الى مدينة شذونة فافتتحها عنوة وألقوا
بأيديهم اليه ، ومنها سار الى مدينة قرمونة ، وليس بالاندلس أحصن
منها ، ولا أبعد على من يرومها بحصار أو قتال ، فعمد موسى الى
الحيلة حيث سبقه الى المدينة بعض رجال يليان ، وتمكنوا من دخولها
على أساس أنهم فلول منهزمة من الجيش القوطي وتمكنت هذه الجماعة
من الايقاع بالحراس في الوقت الذي اقترب فيه موسى وجيشه ليلا
من المدينة وبذلك تمكن من فتحها . ومن مدينة قرمونة اتجه
موسى بن نصير الى اشبيلية وتفتح على ضفاف الوادي الكبير فقام
بحصارها . وكانت اشبيلية كما يصفها المقرئ « من أعظم مدائن
الاندلس شأنًا وأعجبها بنيانًا ، وأكثرها آثارًا ، وكانت دار الملك قبل
القوطيين فلما غلب القوطيون على ملك الاندلس حولوا السلطات الى
طليطلة وبقي رؤساء الدين في أشبيلية » (١١٧) .

ظل موسى على حصار مدينة أشبيلية عدة أشهر حتى تمكن
المسلمون من فتحها ، وينقل الدكتور سالم عن المستشرق الاسباني
سيمونيت أن ذلك قد تم بمساعدة من أسقف المدينة ، والجالية

(١١٦) المقرئ : النفح ج ١ ص ٢٦٩ . أرجع بعض المؤرخين سرور
موسى بن نصير الى ما كان في نفسه من الحزن لما أصابه طارق من
نجاح ، دون أن ينتبهوا الى أن الهدف الحقيقي من حملة موسى كان
تدعيم أقدام المسلمين في هذه الارض الجديدة ومن هنا فأي شيء يدخل
السرور على نفس موسى أكثر من كونه علم بتلك الطرق التي لم يسلكها
المسلمون من قبل وتلك المدائن الخطرة التي لم تفتح بعد ، نعم فرح
موسى لان الله قد جعل على يديه فتح تلك الاقاليم الاعظم خطرا
والاعظم خطبا وذلك غاية ما يتمناه القائد العسكري .

(١١٧) المقرئ : النفح ج ١ ص ٢٦٩ . ويقول صاحب أخبار مجموعة
« هي اعظم مدائن الاندلس شأنًا وخطبا وأعجبها بنيانًا وآثارًا وكانت
دار الملك قبل غلبة القوطيين على الاندلس ، فلما غلب القوطيون حولوا
السلطان الى طليطلة وبقي شرف الرومانيين وفقههم ودينهم ورياستهم في
دنياهم بأشبيلية » ص ١٦ .

اليهودية (١١٨) . ولقد هربت حاميتها الاسبانية الى مدينة باجة ، وقام موسى بن نصير بضم يهود المدينة الى قصبته (١١٩) ومعهم بعض المسلمين ثم سار الى مدينة ماردة أهم مدن اقليم غرب الاندلس في ذلك الحين لانها كانت أيضا دار بعض ملوك الاندلس ، ذات آثار وقنطرة وقصور وكنائس تفوق الوصف (١٢٠) وكذلك كانت ماردة من أمنع معقل استرامادورا *Extrama dura* . ومن أعظم مدن اسبانيا في العصر الروماني ، اذ أسسها الامبراطور أغسطس قيصر سنة ٢٥ ق م ، وجعلها عاصمة لاقليم لشبانية *Lusitania* ولقد حملت ماردة مشعل الحضارة الرومانية في اسبانيا حتى أصبحت تعرف برومة اسبانيا (١٢١) *La Roma de Espana* . ولقد قاومت هذه المدينة مقاومة شديدة ، وفقد المسلمون كثيرا من الشهداء ، وخاصة جماعة المسلمين الذين تقدموا في حماية إحدى الدبابات التي صنعوها لكي يذنبوا مسور المدينة واستشهدوا تحت دبابتهم ، ودالم حصار المدينة مدة طويلة حتى اضطر سكانها الى عقد صلح مع موسى بن نصير من شروطه أن تكون للمسلمين أموال القتلى من النصارى ، وأموال الفارين الذين هربوا الى جليقة في الشمال ، وأموال الكنائس وحليها (١٢٢)

(١١٨) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم . ص ٩٥ .
وليس لذلك أية اشارة في مصادرنا الاسلامية اللهم الا أن موسى قد ضم اليهود الى حامية المدينة بعد ذلك . (انظر اخبار مجموعة ص ٧ ، والنفج ج ١ ص ٢٦٩ وغيرها) .

(١١٩) أخبار مجموعة ص ٧ ، نفج الطيب ج ١ ص ٢٦٩ .
(١٢٠) أخبار مجموعة ص ١٦ . ويقول المقرئ : وكانت أيضا دار مملكة لبعض ملوك الاندلس في سالف الدهر ذات عز ومنعة ، وفيها آثار وقصور ، وهصان وكنائس جليقة القدر فائقة الوصف ، فحاصرها أيضا ، وكان من أهلها منعة شديدة وبأس عظيم (النفج ج ١ ص ٢٧٠)
(١٢١) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس ص : ٩٥ - ٩٦ .

(١٢٢) تروى لنا المصادر الاسلامية قصة أدبية ديبلوماسية عن فن التفاوض مع سكان هذه المدينة يقول المقرئ بعد حديثه عن استشهاد عدد من المسلمين : ثم دعا الناس الى السلم ، فترسل =

وذلك يوم عيد الفطر ٩٤ هـ . وفي تلك الاثناء تجمع في مدينة اشبيلية عدد من الفارين من القوط وأمكنهم الاستيلاء على المدينة من حاميتها الاسلامية ، وقتلوا من المسلمين حوالى ثمانين رجلا وهرب الباقون الى موسى بن نصير ، الذى ما أن انتهى من فتح مدينة ماردة حتى وجه اليهم ابنه عبد العزيز الذى تمكن من الانتصار على المتمردين القوط ، وأن يعيد المدينة الى حوزة المسلمين ، كما تمكن من فتح لبلة وما جاورها فاستقامت الامور هناك ، وعلا الاسلام ، واتجه الامير موسى من ماردة في عقب شوال من عام ٩٤ هـ ، يريد طليطلة (١٢٣) .

لقاء طارق مع موسى بن نصير :

كانت نتائج معارك المسلمين حتى الآن على أرض الاندلس رائعة ، فقد تمكن طارق من شق هذه البلاد في خط يمتد من الجنوب الى الشمال الشرقى حتى العاصمة طليطلة ، وتمكن موسى من أن يفتح الدائن الواقعة على خط آخر يمتد من الجنوب في اتجاه الشمال الغربى حتى ماردة ، وأن لهما أن يلتقيا ليتشاورا في نتائج حملاتها ، ويضعا خطط عملهما مستقبلا ، ولهذا اتجه موسى للقاء طارق بن زياد . واختلفت المصادر الاسلامية في تحديد مكان لقاء القائد الفاتح فقتال بعضهم بأنهما التقيا في مدينة قرطبة ، حيث عبر موسى وقصد الى قرطبة ، فتلقاه

= اليه في تقريره قوم من أمثالهم أعطاهم الامان وأحتال في توهيمهم في نفسه فدخلوا عليه أول يوم فاذا هو ابيض الرأس واللحية كما نضل خضابه فلم يتفق لهم معه أمر ، وعادوه قبل الفطر بيوم ، فاذا به قد قنا لحيته بالحناء فجاءت كضرام عرج فعجبوا من ذلك وعادوه يوم الفطر فاذا هو قد سود لحيته فازداد تعجبهم منه وكانوا لا يعرفون الخضاب ولا استعماله ، فقالوا لقومهم اننا نقاتل أنبياء يتخلقون كيف شاءوا ويتصورون في كل صورة أحبوا ، كان ملكهم شيخا فقد صار شابا والرأى ان نقاربه ونعطيه ما يسأله فما لنا به طاقة ، فأذعنوا عند ذلك ، وأكملوا صلحهم مع موسى (نفح الطيب ج ١ ص ٢٧٠ ، وأنظر ايضا أخبار مجموعة ص ١٧) .

(١٢٣) المقرئ : نفح الطيب ج ١ ص ٢٧١ .

طارق وأكبره وعظمه » (١٢٤) وبعضهم جعل اللقاء عند مدينة استرقة في شمال غرب اسبانيا ، حيث يشيرون الى أن موسى عبر بعد فتحه ماردة عبر من فج عرف بفج موسى الى جليقية ووافي طارقا باسترقة (١٢٥)

أما الغالبية العظمى من المصادر الاسلامية وكذلك المؤرخين المعاصرين فإنها تجعل اللقاء عند مدينة طابيرة Talabera الواقعة على الطريق بين طابيرة Toledo وماردة Merida وعلى مسافة حوالي ١٥٠ كم من طابيرة ، وذلك هو الأرجح من الناحية التاريخية ، وتتبع حوادث الفتح حيث أن طارق بن زياد كان قد استقر في طابيرة بعد غزوه لمدينة المائدة ، وأنه عاد الى طابيرة في انتظار المدد من موسى ابن نصير واعتقد انه ظل في هذه المنطقة يحافظ عليها خوفا من مؤامرات قد يديرها القوط بعد التقاط الانفاس من المعارك السابقة الملاحقة وامثالاً لتعليمات موسى بن نصير التي وصلت بعدم الايغال والتقدم في الاراضي الاسبانية (١٢٦) .

(١٢٤) ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس . ص ٤٩ . وكذلك ينقل ابن عذارى عن الطبري رواية مشابهة ، انظر البيان المغرب ج ٢ ص ١٦ . (١٢٥) يوضح ابن القوطية خط سير القائدين في كتابه تاريخ افتتاح الاندلس قائلا : بأن طارقا بعد ان التقى بلذريق تقدم الى الستجة والى قرطبة ثم الى طابيرة ، ثم الى الفج المعروف بفج طارق ، الذي دخل منه الى جليقية ، فخرق جليقية حتى انتهى الى استرقة .

فاما بلغ موسى بن نصير ما تيسر له حسده على ذلك وقدم في حشد كبير فلما صار في ساحل العدو ترك المدخل الذي دخل منه طارق بن زياد وقصد الموضع المعروف بموسى ، وترك طريق طارق ، وأخذ ساحل شذونة وتقدم الى شذونة ثم الى اشبيلية فافتتحها ، ثم قصد من اشبيلية الى لقنت الى الموضع المعروف بفج موسى في أول لقنت الى ماردة ، ثم ان اهل ماردة صالحوه ولم يأخذهم عنوة ، وتقدم فدخل جليقية من فج هو منسوب اليه فخرقها حيث دخلها ووافي طارقا باسترقة . ص ٣٥ - ٣٦ . وانظر ايضا في هذا نفح الطيب ج ١ ص ٢٧١ .

(١٢٦) يقول صاحب اخبار مجموعة « فلقية بكورة طابيرة ص ١٨ . وينقل ابن عذارى رواية الرازي « بأن طارقا خرج من طابيرة لما بلغه =

هناك نقطة تجدر الإشارة إليها لاسهاب جميع المؤرخين الاندلسيين وغير الاندلسيين الحديث عنها ، الا وهى قضية الخلاف بين موسى وطارق وما لقيه طارق بن زياد من الاساءة على يد موسى بن نصير .

ان القراءة المتأنية للنصوص التاريخية ، تشير الى حدوث شىء ما بين القائدين ، لكن ليس الامر بهذه الصورة من الشدة التى يمكن

= مسيره اليه - أى موسى - فلقية بمقربة من طليبة « البيان ج ٢ ص ١٦ . ويقول المقرئ : توجه الامير موسى بن نصير من ماردة عقب شوال من العام المؤرخ ٩٣٠ . يريد طليطة ، وبلغ طارقا خبره فاستقبله فى وجوه الناس ، فلقية فى موضع من كورة طليبة . النفج ج ١ ص ٢٧١ . وبناء على ذلك لا تختلف روايات المعاصرين من المؤرخين حول تحديد مكان اللقاء بأنه فى طليبة ، وان تباينت وجهات النظر فى اسباب اختيار المكان ، لان المصادر القديمة تجعل خروج طارق من طليطة الى طليبة تعظيما وتكريما للقائد المسلم موسى بن نصير ، لان طارقا حينما بلغه اقباله خرج معظما له متافيا ، فلقية بكورة طليبة . كما تروى أخبار مجموعة ص ١٨ وحيث خرج طارق لاستقباله فى وجوه الناس كما يروى المقرئ ج ١ ص ٢٧١ . ويروى ابن عذارى « بأن موسى لما فرغ من امر ماردة نهض يريد طليطة فخرج اليه طارق معظما له ومبادرا الى طاعته ج ٢ ص ١٦ . بينما نجد الدكتور السيد عبد العزيز سالم يرى ان « موسى قد شتم رائحة كمين دبره الاعداء له فى الطريق الى طليطة ، فبعث موسى الى طارق يستدعيه للحضور اليه مع جيشه ومقابلته بقواته فى منتصف الطريق ما بين ماردة وطليطة ، وخرج طارق بجيوشه مابيا نداء مولا ، وسار مسافة ١٥٠ كم فى الطريق الموصل ما بين طليطة بحذاء واد يقال له « الاروكامبو Arrocampo » وكان لقاؤهما عند نهر « تايد » أو « تاير » انظر تاريخ المسلمين وآثارهم ص ٩٨ . ولقد سبقه الى مثل هذا الرأى د . حسين مؤنس فى كتابه فجر الاندلس حيث يقول : والواقع أن حركة غير عادية كانت تدبر للجيش الاسلامى ولهذا استدعى طارقا ليلقاء فى منتصف الطريق بين ماردة وطليطة ، فسار طارق نحو ١٥٠ كم ، وانتظر مولا فى وادى الاروكامبو فى مكان يسمى المعرض Almaraz بين التاجنة ونهر التيتار ص ٩٨ . وانظر كذلك ص ٨٥ من نفس الكتاب . ويذهب د . أحمد مختار العبادى الى أن اللقاء كان عند نهر التاجو Tajo بالقرب من العاصمة طليطة . فى تاريخ المسلمين بالاندلس ص ٧٠ ، ودراسات ص ٣٧ .

أن نستنتج منها من بعض الكتابات الحديثة . بادىء ذى بدء أود أن أشير إلى أن ابن القوطية وهو من أقدم مؤرخي الأندلس الذين وصلت إلينا مدوناتهم مباشرة لا يذكر إطلاقاً أى نوع من الخلاف بين القائلين المسلمين بينما نرى المصادر الأخرى مع مرور الأعوام والقرون تركز على هذا الحدث ليكون أقصى تعبيراتها هي ما استخدمه ابن الكردبوس المتوفى ٥٧٣ هـ .
قائلاً : فعلاه موسى بالقضيب على رأسه وقرعه (١٢٧) . وابن الأثير المتوفى ٦٣٠ هـ . فخرج طارق إليه ، فضربه موسى بالسوط على رأسه ووبخه على ما كان من خلافه (١٢٨) . ويقف المراكشي المتوفى ٦٤٧ هـ . عند قوله : أن طارقاً تلقى موسى فترضاه ورام أن يستل ما في نفسه من الحسد له ، وقال : إنما أنا مولاك ومن قبلك ، وهذا الفتح لك وبسببك (١٢٩) .

وتصدى كثير من المؤرخين المعاصرين لتنفيذ هذه القضية ، موضحين بأن التعاون كان دائماً بين الرجلين قبل الفتح وبعده مبينين بأنه إذا كان قد حدث سوء تفاهم فإن مرجعه كان إلى الاختلاف بينهما في وجهات نظرهما حول موضوع الفتح (١٣٠) .

ولنتساءل في إيجاز عن النقطة التي ربما كانت مثار الخلاف بين القائلين .

(١٢٧) ابن الكردبوس : تاريخ الأندلس . ص ٤٩ - ٥٠ .
(١٢٨) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج ٤ ص ١٢٢ . وإلى ذلك يذهب المقرئ أيضاً في نفح الطيب ج ١ ص ٢٧١ . ويرى البروفسور أنور شحني أننا لا يجب أن نأخذ هذه الروايات على محمل الجد . انظر .

Anwar, Chejne: Historia de Espania Musulmana, p. 20 Madrid 1980.

(١٢٩) المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ص ٢٢ وإلى هذا أيضاً يذهب ابن خلدون فيقول : ففتلقاه طارق ، وانقاد وأتبع وتمم موسى الفتح . تاريخ ج ٤ ص ١١٧ .
(١٣٠) انظر في ذلك د . عبد الرحمن الحجى : التاريخ الأندلسي ص ٨٥ - ٩٠ والسيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ص ٩٨ .

تتحدث بعض المصادر الاسلامية عن أن طارقا كان واليا على مدينة طنجة من قبل مولاه موسى بن نصير أو من قبل مروان بن موسى وهناك الاتصال به يليان (ابن ملك الاندلس حسب بعض المصادر ، أو ابن حاكم سابقة حسب رأى د . حسين مؤنس) وعرض عليه فتح الاندلس ، فعزم طارق على فتح الاندلس واستنفر البربر ، وكان معه حوالي اثني عشر ألفا ، منهم ألفان من العرب ، وموسى بن نصير لا يعلم شيئا من هذا (١٣١) .

وبلغ موسى أن طارقا فتح الاندلس ودخلها فخاف أن يحظى بذلك عند الخليفة ، فغضب غضبا شديدا ، وكتب اليه يعنفه اذ دخلها بغير أمره وأمره الا يجاوز قرطبة ، وأمر موسى الناس بالرحيل ورحل معه وجوه العرب (١٣٢) .

سبق لنا أن تبينا بوضوح شديد في بداية حديثنا عن الاستعداد للفتح الاندلس أن امكانية قيام طارق بذلك العمل من تلقاء نفسه غير محتملة وأنها مستبعدة الى حد بعيد ، وأن خطة الفتح قد وضعت بالتشاور بين القائدين واشتراك الخليفة الوليد بن عبد الملك معهما في الرأي وببذنت ذلك اعتمادا على عدد كبير من المصادر الاسلامية الاساسية التي تناولت الاشارة الى هذه القضية .

وبما أنه من الواجب في الكتابة التاريخية الصحيحة عدم استبعاد أى رأى من الآراء اذا ثبت بالدليل القاطع ما يسمح باستبعاده ، فاننى

(١٣١) انظر رواية الحميدى في كتابه جذوة المكنيس ، محمد بن تاويت طبعة القاهرة ١٩٥٢ ، ص ٥ ، وأقدم الروايات التى تشير الى ذلك هى روايات ابراهيم الرقيق المتوفى بعد ٤١٧ هـ / ١٠٢٦ م ، وعبد الواحد المرراكشى ٦٤٧ هـ ، وابن الشباط التوزرى ٦٨١ هـ ، وانظر كذلك تعليقاتى على رواية جديدة عن فتح الاندلس المنشور ضمن عرضى للكتب والابحاث بمجلة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية بمديرى العدد ١٩ عام ١٩٧٨ ص ١٤١ - ١٤٤ .

(١٣٢) ابن الرقيق : النص المشار اليه ص ١٠٥ . وانظر ايضا رواية المقرئ القائلة : ن طارقا دخل الاندلس بغير امر مولاه موسى بن نصير والله اعلم « الفتح ج ١ ص ٢٦٥ » .

هنا وحتى نتلافى ما قد يبدو لنا تناقضا في اقوال المؤرخين ، ولكي
نتمكن من تقديم تحليل معقول لما قد يكون قد حدث بين القائدين ،
اسمح لنفسى بتقديم تصورين أو افتراضين ، لعلهما أو لعل أحدهما
يقربنا من الحقيقة التاريخية ويشرح لنا سبب غضب موسى من طارق .

أولا : بعد ان اتخذ طارق بن زياد مع موسى بن نصير الترتيبات
اللازمة لدخول المسلمين الى الاندلس ظلا ينتظران الفرصة المواتية
للقيام بهذه العملية ، واستقر طارق مع جنوده في طنجة في انتظار
تعليمات قائده موسى بن نصير بالتحرك الى الاندلس وفي اثناء انتظاره
جاءته الفرصة المواتية ممثلة في دعوة يليان له بالعبور الى الاندلس
أو أنه علم بانشغال الملك الاسباني لذريق في اخماد ثورة البشبينس
Los Vascos في الشمال ، فاراد ان لا يضيع الوقت في اخبار موسى
ابن نصير ، وانتظار تعليماته واستنفر جنوده ، وقام بعملية العبور
الخالدة ، والاشتباك في المعارك مع الجنود القوط حتى كان انتصاره في
معركة شذونة ، ومن ثم كتب بالفتح الى موسى بن نصير الذي ربما
يكون قد بوغت بعبور طارق دون انتظار تعليماته ، ومن ثم فقد غضب ،
لكنه بعد ذلك ، حين التقى بطارق ، لم يلبث ان زال ما بنفسه
بمجرد ان اشرح له طارق الموقف ، ويساندنى في هذا التصور رواية
المقرى حين يتحدث عن يوليان ويستطرد قائلاً : ثم لحق بطارق فكشف
للعرب غورة القوط ، ودلهم على غورة فيهم أمكنت طارقا فيها الفرصة
فانتهزها لوقتته (١٣٣) .

ثانياً : من المحتمل ان تجهيز موسى بن نصير لحملة طارق بن زياد
كان ضمن خطواته الاستطلاعية لجس النبض لقوة القوط العسكرية علي
غرار حملة طريف بن مالك التي سبق ارسالها الى الجزيرة الخضراء وما
حولها وحملة يوليان التي سبقتها ، بمعنى ان تعليمات موسى بن نصير

(١٣٣) المقرى : نفح الطيب ج ١ ص ٢٣٣ ، وانظر ايضا النص
الوارد مع التعليق رقم ١٣١ ، ورواية المراكشي بأنه كتب الى طارق يتوعده
اذا دخلها بغير اذنه ، ويأمره الا يتجاوز مكانه الذي ينتهى اليه الكتاب .
المعجب ص ٢١ - ٢٢ .

الى طارق بن زياد لم تتضمن أكثر من القيام بغارة كبيرة ، يتوغل فيها الى مسافة أكبر من الحملة التي سبقتها ، غارة يمكن ان يتلقى فيها جيوش القوط ، ويمكن ان يفتح فيها مدينة كبرى - قرطبة مثلا - لكن لا يتجاوز الامر أكثر من هذا ويعود بعد ذلك الى المغرب حتى يستطيع موسى بن نصير التعرف على حقيقة القوط ، وطبيعة البلاد ، ومن ثم اعداد القوة اللازمة واتخاذ الخطوة النهائية في هذا المضمار .

وعبر طارق بجيشه الصغير أولا سبعة آلاف ، وفوجىء بقدوم الملك الاسباني في جيش جرار فطلب المدد من موسى بن نصير فجاءه خمسة آلاف ، وادرك موسى أنه ربما قد أرسل طارقا الى ما لا طاقة له به أو أنه يواجه صعوبات في تلك الاراضي الجديدة ولذلك اخذ يستعد بجيوش المسلمين ، ويعد السفن وجاءته الاخبار بانتصارات طارق بن زياد ، وتوغله في البلاد الى أكثر مما يجب ، وأن طارقا تحول بحملته التي كانت حملة استطلاعية فحسب الى حملة أساسية تفتح المداخل ، وتستولى عليها ، وفي ذلك مخالفة لاوامر موسى ، وقد يكون فيه تغرير بالمسلمين - حسب وجهة نظر موسى - داخل ميدان غير معروف تماما للمسلمين ، ومن ثم كان غضبه وعتابه لطارق بن زياد ، ويؤيدنى ايضا في هذا التصور بعض النصوص التاريخية ، منها ذلك النص القيم الذى نقله لنا ابن الشباط التوزرى وهو : « فلما اتصل بموسى ما ازداد طارق من الفتح ، مضى من ماردة نحو طليطلة ، فلما قرب منها خرج اليه طارق وتلقاه ، فتعجب عليه موسى وقال له : ما دعاك الى الايغال والتقمح في البلاد بغير أمرى ، وإنما كنت بعثتك غازيا ومن ثم تنصرف ؟ » فاعتذر اليه طارق ، وقال : انما انا قائم من قوادك وما أصبت وأفتحت فهو منسوب اليك ، ومعدود في مقاماتك ، ثم أعلمه بما أصاب ، وما صار عنده من الخمس وترضاه واستطابه فرضى عنه ، وأمره بالتمادى في البلاد والمضى الى الثغر ، فكان لا يمر بموضع الاغزمه (١٣٤) .

(١٣٤) ابن الشباط : صلة السمط وسمة المرط ، ضمن تاريخ الاندلس لابن الكردبوس ص ١٤٩ - ١٥٠ ، وانظر ايضا كتاب ذكر بلاد الاندلس المشار اليه ج ١ ص ١٠٠ .

ولعل ذلك « التقدم والتوغل » من قبل طارق ، « والخوف والخشية » للذائق يهجسيان في نفس موسى هما سبب كتابات موسى الى طارق « يتوعدة بأنه يتوغل بغير اذنه ، ويأمره ان لا يتجاوز مكانه حتى يلحق به (١٣٥) ولكن ما ان يلتقى بطارق الذى يتراضاه ، ويشرح له صورة الاندلس بعد معركة شذونة والضرورة العسكرية التى كانت تحتم توجيه ضربات سريعة قبل ان يعود القوط الى تنظيم أنفسهم ، واسترداد أنفاسهم ، حتى يتفهم القائد موسى بن نصير الامر ، ويزول ما كان في نفسه من هواجس وقلق ، ويمضيان معا يكملان ملحمة المسلمين الخالدة في فتح الاندلس ويبرر المؤرخ الاسبانى لويس سواريث فرنانديث هذا التغير في اتجاه طارق بن زياد فيقول : ان انهيار المقاومة الاسبانية وتلاشيها ، وانضمام أعداد كبيرة من اعداء الحكم القوطى الى جيش طارق ، دفع بابن زياد الى تعدى ما كابر لديه من تعليمات ، وتحويل هدفه الى فتح للاندلس بعد أن كابر مجرد القيام بغزوة بسيطة (١٣٦) .

فتوحات طارق وموسى في الاندلس :

اتجه موسى بن نصير ومعه طارق بن زياد الى مدينة طليطلة ، ومن هناك بدأ موسى في تنظيم البلاد ، ويرى الدكتور مؤنس ، أنه قد باشر عمله منذ الآن كأول وال اسلامى على الاندلس ، وقام بسك عملة ذهبية مستخدما في ذلك دار السكة القوطية في مدينة طليطلة ، وتحمل هذه العملة تاريخ ضربها في عام ٧١٤ م ، كما تحمل عبارة لا اله الا الله (١٣٧) كما عين « أوباش » أحد أبناء الملك غيطشة أسقفا على كنيسيتها الرئيسية (١٣٨) .

(١٣٥) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ج ٤ ص ١١٧ .

Suarez Fernandez. L. Op. cit., p. 10

(١٣٦)

(١٣٧) حسين مؤنس : محاضرات في تاريخ المغرب والاندلس . طبعة

دار المستقبل بالاسكندرية ، الطبعة الاولى . ١٩٨٠ ص ٢٣٨ .

(١٣٨) انظر في مسألة سك العملة ، واتخاذ طليطلة كأول عاصمة

اسلامية وتعيين أوباش أسقفا على المدينة كتاب المؤرخ الاسبانى

Suarez Fernandez: Op. cit., p. 11.

وتجدر الإشارة في هذا المكان من الدراسة الى نظرية سبق اليها المؤرخ الاسباني سافدرا ، ومن جاء بعده من المؤرخين الاسبان ، وتتلخص في أن الملك لذريق لم يمت في معركة شذونة ، وإنما هرب من المعركة وتجمعت حوله فلول القوط من جديد ، ثم عاود الاشتباك مع موسى بن نصير وهو في طريقه الى طليطلة في معركة أطلق عليها اسم معركة سيجويلا (١٣٩) .

ويذكر مؤرخ اسباني آخر بأن لذريق قد لقي ميته غامضة وأنه قتل على يد مروان بن موسى بن نصير حسب روايات المؤرخين العرب وإن جثمانه قد حمله أتباعه المخلصين وقاموا بدفنه في مدينة بيزو Viseo . ولقد شاهد هذا القبر الملك الفونسو الثالث الكبير ملك ليون ، كما أن شاهد هذا القبر قد ظل باقيا ومحتفظا به في القرن الماضي - أي القرن السابع عشر الميلادي - في الكنيسة المعروفة باسم كنيسة القديس ميخائيل دي فيتال San Miguel de Fetal في أطراف بيزو ، ولقد كتب على هذا الشاهد : هنا يرقد في مثواه الأخير لذريق ملك القوط « (١٤٠) .

وأخذ بهذه الرواية من المؤرخين المعاصرين كل من الدكتور حسين مؤنس في كتابه فجر الاندلس ، والدكتور السيد عبد العزيز سالم في كتابه تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس . واختفت هذه الرواية بعد ذلك من كتابات المؤرخين ، ورجع عنها الدكتور مؤنس بعد ذلك في مقاله المنشور « رواية جديدة عن فتح المسلمين لاندلس ، كما أنه قال في أحدث كتاب له بعد أن أشار الى آراء سافدرا الاسباني « ولكن يبدو أن ذلك كله غير صحيح ، فليس هناك ما يؤيده » (١٤١) كما أن

(١٣٩) حسين مؤنس : فجر الاندلس . ص ٩٩ ، وعبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم . ص ٩٩ .

Villa-Real, Francisco de Paula:

(١٤٠)

Historia Critica de Espania, p. 156

(١٤١) حسين مؤنس : محاضرات في تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٢٣٨ . وانظر أيضا مقالته المنشورة في مجلة المعهد المصري للدراسات الاسلامية بمدييد ، العدد ١٨ لعام ١٩٧٦ م .

الدكتور أحمد مختار العبادى قدم دراسة عميقة لقضية فتح الاندلس نشرت ضمن مقدمته لتحقيق كتاب ابن الكردبوس ، وكذلك ضمن كتابه « دراسات في تاريخ المغرب والاندلس » وكتابه « في تاريخ المغرب والاندلس » استطاع أن يهدم فيها هذه النظرية ، ويفندها تماما (١٤٢) .

لم أقصد من العودة الى هذه القضية الادلاء برأى فيها ، وإنما طرح جزئية من جوانبها لها بعض الاهمية وتتعلق بمصرع الملك القوطى لذريق على يد مروان بن موسى بن نصير ، والتي أشار اليها المؤرخون الاسبان ووافقهم على ذلك في أول الامر تباحثان الفاضلان د . مؤنس د . عبد العزيز سالم ومضى على اثرهما الدكتور عبد الرحمن الحجي

لقد سبق لى أن استعرضت مصير الملك لذريق عند حديثى عن معركة شذونة في معظم مصادرها الاسلامية الاندلسية ، ذون أن يكون هناك من بينها من يشير الى مصرع الملك القوطى على يد مروان بن موسى بن نصير (١٤٣) ، والدكتور مؤنس يورد الخبر دون توثيق ، مع إشارة غير واضحة الى الكتاب المنسوب لابن قتيبة : الامامة والسياسة ج ٢ ص ١٥٦ . أما د . سالم فانه يروى أن سافدرا قد قال ذلك اعتمادا على عبارة ابن قتيبة « ان ابنى أتى بملك الاندلس لذريق » ص ١٥٦ (١٤٤) .

وإذا كان المؤرخون قد عدلوا عن الاخذ بنظرية وجود معركة ثانية هامة ، هي معركة سيجويلا ، أو السواقي ، فانه من الطبيعى عدولهم بالتالى عن القول بقيام مروان بن موسى بقتل الملك القوطى لذريق .

(١٤٢) انظر في ذلك مقدمة كتاب ابن الكردبوس ص ٢٧ - ٤٠ . وكتاب دراسات ص ٣١ - ٣٧ . وفي تاريخ المغرب والاندلس ص ٦٥ - ٦٨ . وانظر كذلك رأى الدكتور أحمد بدر في « دراسات في تاريخ الاندلس وحضارتها من الفتح حتى الخلافة ص ١٩ . الطبعة الثانية » دمشق ١٩٧٢ م .

(١٤٣) انظر الصفحات من ١٠٧ الى ١٠٩ .
(١٤٤) انظر حاشية د . مؤنس في فجر الاندلس ص ٩٩ ، وحاشية د . سالم في تاريخ المسلمين ص ٩٩ ، وعبد الرحمن الحجي : التاريخ الاندلس ص ٨٤ .

وحيث أن أيا من المؤرخين لم يشير إلى ذلك فقد رجعت إلى كتاب الامامة والسياسة لأرى نص عبارته ، ووجدت أنه لم ينص على اسم الملك لذريق ، وأن ما هو مدون هو قول موسى بن نصير للخليفة سليمان « ان ابني أتى بملك الاندلس (١٤٥) دون تحديد لاسم هذا الملك في الوقت الذي يشير فيه نفس الكتاب إلى أن موسى حين عودته إلى المشرق حمل مئآت من ملوك المنطقة منهم « عشرين ملكا من ملوك جزائر الروم ، وخرج معه مئة من ملوك الاندلس ، ومن الافرنجيين ومن القرطبيين وغيرهم » (١٤٦) .

من هنا نستطيع أن نشكك في هذه الرواية ، على أساس أنه موقف مباحة ، ومن ثم يمكن أن يكون قد بالغ في الحديث عن أولاده ونطق بعباراة « ملك الاندلس » بدلا من قوله مثلا « قد أتى بملك من الاندلس » .

جانب آخر يزرع الشك في روايات هذا الكتاب ، وخاصة ما يتعلق منها بالاحداث والاساطير التي ينسبها إلى موسى بن نصير انما مرجعها إلى أحفاد موسى بن نصير من نسل ولديه عبد العزيز ومروان والتي يحاولون فيها تصوير جدهم موسى على أنه بطل شهيد لم يجد جزاء حسنا على خدماته للدولة الاموية ، ولقد أثبت الدكتور محمود علي مكي أن الفصول الخاصة بفتح الاندلس الواردة في كتاب ابن قتيبة انما هي في الحقيقة من تأليف معارك بن مروان النصيري حفيد مروان بن موسى بن نصير (١٤٧) .

(١٤٥) يروى ابن قتيبة ان سليمان بن عبد الملك سأل موسى بن نصير : من خلفت على الاندلس ؟ قال له : عبد العزيز بن موسى . قال ومن خلفت على أفريقية وطنجة والسوس ؟ قال : عبد الله ابني . فقال له سليمان : لقد أنجبت يا موسى ، فقال له موسى : ومن أنجب مني يا أمير المؤمنين ، ان ابني مروان أتى بملك الاندلس ، وأبني عبد الله أتى بملك ميورقة وصقلية وسردانية ، وأن ابني مروان أتى بملك السوس الاقصى . انظر ج ٢ ص ٧٣ .

(١٤٦) ابن قتيبة . المصدر المشار اليه ج ٢ ص ٦٨ .
(١٤٧) انظر مقالة الدكتور محمود علي مكي : مصر والمصادر الاولى بتاريخ الاندلس « المنشورة بمجلة المعهد المصري للدراسات الاسلامية = (م ١٠ - تاريخ الفتح الاسلامي)

ونخدم القول في هذه القضية بإيراد رواية مختلفة ، يقصها ابن سماك العاملي المتوفى في الربع الأخير من القرن الثامن الهجري عن لقاء موسى بن نصير وسليمان بن عبد الملك ، وفي هذه الرواية يتباهى موسى بأن ابنه « عبد العزيز » وليس « مروان » هو الذي أتى بملك الاندلس لذريق » (١٤٨) وبذلك يمكن لنا العودة ثانية الى الروايات المتباينة حول مصير الملك لذريق والتي سبق الإشارة إليها ، دون قول فصل فيها .

بعد فترة من الاتامة في طليطلة ، استجمت فيها جيوش المسلمين أنفاسها واستردت قواها ، وأعدت تنظيمها ، وانصرم الشتاء ، تقدمت الجيوش الإسلامية على قسمين أحدهما يقوده طارق بن زياد ، والآخر موسى ابن نصير في اتجاه الشمال نحو مدينة سرقسطة وذلك في حدود شهر جمادى الثانية من عام ٩٥ هـ ، وتمكن من افتتاح مدينة سرقسطة وأعمالها ، وقام التابعى حنش بن عبد الله الصنعاني بتخطيط ووضع قبلة مسجد المدينة ، والذي أصبح له شهرة كبيرة في تاريخ الثغر الأعلى الاندلس (١٤٩) .

= في مدريد ، العدد الخامس لعام ١٩٥٧ م ، الصفحات ١٥٧ - ٢٤٨ .
تحت عنوان .

Egipto Y los orígenes de la historiografía Arabigo-Espanola; Revista. I.E. E.I. de Madrid, V. 157-248

وانظر كذلك حاشية الدكتور محمود على مكي الواردة ضمن تحقيقه لكتاب ابن سماك العاملي ، الزهرات المنثورة ص ١١٩ . وتعليقاته عن عبد الله ومروان ابني موسى في نفس الكتاب ص ١٢٠ .
(١٤٨) ابن سماك العاملي : الزهرات المنثورة في نكت الاخبار الماثورة ، تحقيق الدكتور محمود مكي ، نشر المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد عام ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م . ص ١١٩ - ١٢٠ . بعد أن يورد نص المحاورة التي دارت حول سؤال سليمان موسى عن خلفه هناك يقول : قال سليمان لقد أنجبت يا موسى فقال له : ومن أنجب مني يا أمير المؤمنين ؟ ان ابني عبد العزيز أتى بملك الاندلس لذريق ، وأتى ابني عبد الله بملك ميورقة ومينورقة وصقلية ، وسردانية وأتى ابني مروان بملك المغرب والسوس الأقصى ، فهم مفترقون في الامصار وغيرها ، فيأتون من السبيء ما لا يحصى . فمن أنجب مني ؟
(١٤٩) انظر البيان المغرب ج ٢ ص ٩٦ ، وكذلك التاريخ الاندلس للحجى ص ٩١ .

ولقد أثار تقدم المسلمين خوف سكان المدينة وأسقفها Bencio ومن معه من الرهبان ، فهربوا من المدينة ومعهم ما أمكنهم حمله من كنوزها ، وقام موسى بن نصير بتأمينهم ، وإعادتهم الى المدينة ، ولعل ذلك يناقض وينفى ما يرويهِ الدكتور حسين مؤنس من أن الفتح قد تحول الى الشدة بحيث « نسمع من الآن فصاعداً عن نهب البلاد واحراقها ورعب أهلها وخروجهم منها على وجوههم (١٥٠) » .

ويلخص المقرئ جهاد طارق وموسى في شمال الاندلس على الوجه التالي ارتقى الى الثغر الاعلى ، وافتتح سرقسطة واعمالها ، وأوغل في البلاد وطارق أمامه ، لا يمران بموضع الا فتح عليهما ، وغنمهما الله تعالى ما فيه ، وقد التقى الله الرعب في قلوب الكفرة فلم يعارضهما أحد الا بطلب الصلح ، وموسى يجيء على اثر طارق في ذلك كله ، ويكمل ابتدائه ويوثق للناس ما عاهدوه عليه ، فلما صفا القطر كله ، وطا من نفوس من اقام على سلمه ، ووطأ لاقدام المسلمين في الحلول به ، أقام لتمييز ذلك وقتاً وأمضى المسلمون الى افرنجة ففتحوها وغنموا حتى انتهوا الى وادى رودنه فكان أقصى اثر للعرب ومنتهى موطنهم من أرض العجم (١٥١) .

(١٥٠) فجر الاندلس : ص ١٠٢ .

(١٥١) المقرئ : الفتح ج ١ ص ٢٧٣ - لكن عدداً من المؤرخين ينفى دخول موسى وطارق الى أرض الفرنجة ، لان المسلمين استوحشوا هذه البلاد وأرادوا العودة ، وانضم اليهم حنش الصنعاني رضى الله عنه (انظر فجر الاندلس ص ١٠٣) . ويقول ابن الرقيق في كتابه المذكور : فنهض موسى يفتح مدائن الاندلس مدينة بعد مدينة حتى انتهى الى مدينة أربونة فأراد لقاء ملك الفرنجة ، فأخذ حنش الصنعاني بلجامه وقال : سمعتك أيها الأمير تقول حين فتحت طنجة : لم يكن لعقبة ولا لابي المهاجر من ينصحهما ، حتى أتيت أنصحك اليوم فارجع فانك قد توغلت بالمسلمين (انظر المنشور من الكتاب ضمن مقالة د . حسين مؤنس في مجلة المعهد المصرى ص ١٠٨) .

ويروى ابن قتيبة في كتابه المذكور : أن موسى لما وغل وجاوز سرقسطة ، اشتد ذلك على الناس وقالوا : أين بذهب بنا ، حسبنا ما بأيدينا ، اشتد ذلك على الناس وقالوا : أين بذهب بنا ، حسبنا ما بأيدينا ، =

وفي تلك الاثناء وصل مغيث الرومى ، رسول الخليفة الوليد بن عبد الملك ، وابلىح موسى رسالته من الخليفة التى تقضى بالعودة شخصيا الى دمشق ، لكى يقدم بنفسه تقريراً مفصلاً الى الخليفة ، ورأى موسى أن الوقت غير مناسب للعودة ، وأنه من الواجب الاستمرار حتى استكمال عملية الفتح ، وطلب من مغيث الرومى الانتظار حتى ينتهى من الفتح على أن يعود معه بعد ذلك الى دمشق (١٥٢) .

= وكان موسى قال حين دخل أفريقية ، وذكر عقبة بن نافع : لقد غرر بنفسه حين وغل في بلاد العدو ، والعدو عن يمينه وعن شماله وأمامه وخلفه ، أما كان معه رجل رشيد ؟ فسمع معه حبش الشيباني قال : فلما بلغ موسى ذلك المبلغ ، قام حبش فأخذ بعنانه . ثم قال : أيها الأمير انى سمعتك وفت تذكر عقبة بن نافع تقول : لقد غرر بنفسه وبمن معه ، أما كان معه رجل رشيد : وأنا رشيدك اليوم أين تذهب ؟ تريد أن تخرج من الدنيا ، أو تلتبس أكثر وأعظم مما أتاك الله عز وجل ، وأعرض مما فتح الله عليك ، ودوخ لك ، انى سمعت من الناس ما لم تسمع وقد ملأوا أيديهم ، وأحبوا الدعة . قال فضحك موسى ثم قال : أرشدك الله ، وكثير في المسلمين مثلك . ثم انصرف قافلاً الى الاندلس فقال موسى يومئذ : أما والله لو انتقادوا الى لقدنهم الى رومية ثم يفتحها الله على يدي ان شاء الله . » ج ٢ ص ٦٦ (١٥٢) يلتقى الدكتور حسين مؤنس كثيراً من اللوم على مغيث الرومى ، ويبين بأنه كان متحاملاً على موسى ، وربما صور الامر على غير حقيقته للخليفة (انظر فجر الاندلس ص ١٠٤) لكننى أميل الى ان سبب استدعاء الخليفة لموسى يرجع الى قلق الخليفة الوليد على المسلمين ، ولا بد ان نضع في اعتبارنا أنه كان متردداً في السماح بعملية الفتح نفسها حتى لا يعرر بالمسلمين ، ولا شك ان طول المدة وقلة الاخبار هي التى اثارت قلق الخليفة ، ودعته الى نداء موسى اليه .

ويحل أنور شحنى ذلك بقوله : بعد أن وصل موسى الى ليون وغاليسيا ، واجبر الباقي من اعدائه بزعامه بلايو Pelayo على الالتجاء الى اشتورياس Asturias فانه كان يطمع في العودة الى دمشق مختزقاً القارة الاوربية حتى القسطنطينية ، ومن ثم الى آسيا الصغرى ، وهو مشروع اثار هواجس الخلافة في دمشق ، ودعا الخليفة =

اتجه موسى بعد ذلك لفتح المناطق الشمالية من الاندلس ، والواقعة في حوض نهر الابرّو Ebero مستخدما الطريق الروماني (١٥٣) ثم عرج على الطريق الروماني القديم المعروف باسم Calahorra حتى وصل الى مدينة ليون Leon ، ومنها الى استرقة Asturga ومنها الى مدينة لوغو Lugo ، ودخلت في طاعته كل المدن والاقاليم الواقعة في هذه الجهات (١٥٤) .

وأكمل طارق بن زياد فتح مناطق أراغون Aragon وأسلم بذلك حاكم المنطقة المسيحي الكونت Casio أو ابنه فرتون Fortun وكان هذا الرجل اصلا لاسرة اسلامية مشهورة هم بنوقسي ، وسيكون لأفرادها دور هام جدا في مسار تاريخ الاندلس عامة ، والشعر الاعلى خاصة .

= الى ايفاد رسله حاملين امارا الى موسى بالعودة ، وربما جال في ذهن الخليفة بأز الفتوح الاسلامية قد وصلت الى غاياتها وانها قد وصلت الى مسافات بعيدة عن عاصمة الخلافة ، ومع ذلك فقد قام موسى بعدة عمليات حتى أصبح آمنا مطمئنا على سلامة الفتح الاسلامي للمنطقة ، واستقرار الامور في المناطق المفتوحة ومن ثم قرر العودة الى دمشق : انظر

Anwar, G. Chijne : Historia de Espania Musulmana, p. 20.

ويورد المقرئ انه نعى الى الخليفة خبر ما ينويه موسى فاشتد قلقه بمكان المسلمين من دار الحرب ، ورأى ان ما هم به موسى غرر بالمسلمين ، فبعث اليه بالتوبيخ والانصراف ، وأمر الى سفره أن يرجع بالمسلمين ان لم يرجع ، وكتب له بذلك عهده . ففت ذلك في عزم موسى ، وقفل عن الاندلس بعد أن انزل الرابطة والحامية بثغورها . (الفتح ج ١ ص ٢٣٤) .

Suarez Fernandez : Op. cit., p. 11.

(١٥٣)

Suarez Fernandez; Ibid., p. 11.

(١٥٤)

وانظر في فتوح الشمال : عبد الحليل عبد الرضا الراشد : العلاقات السياسية بين الدولة العباسية والاندلس . ص ٣٩ ، الرياض ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م .

(*) انظر في فتح المسلمين لانتقة الثغر الاعلى رسالة خليل ابراهيم صالح السامرائي : الثغر الاعلى الاندلسي - بغداد ١٩٧٦ م الصفحات من ٦٧ - ٩٢ .

استكمل القائدان معا بعد ذلك فتوح بعض مدن قشتالة القديمة ،
ومنهما الى مناطق البشكنس الشمالية حتى وصلا الى خليج بسكايه ، والى
مناطق جليقية الجبلية ، ومن المحتمل انهما اثناء وجودهما في هذه
المناطق يسيغان لاستكمال فتح جليقية اتاهما رسول ثان من قبل
ال خليفة الوليد يستحث موسى على العودة الى دمشق .

ويعطى المقرئ رواية قريبة لذلك ، وان اختلفت في تحديد المكان
الذى وصل فيه رسول الخليفة الوليد بن عبد الملك فيقول : كانت نفس
موسى بن نصير في ذلك كله تنزعج الى دخول دار الكفر جليقية ،
فبينما يعمل في ذلك ويعد له ، اذ اتاه مغيث الرومى ، رسول
الوليد بن عبد الملك يأمره بالخروج عن الاندلس ، والاضراب عن الوجود
فيها ، ويأخذه بالقفول اليه ، فساء ذلك ، وقطع به عن ارادته ،
اذ لم يكن في الاندلس بلد لم تدخله العرب الى وقته ذلك غير جليقية ،
فكان شديد الحرص على اقتحامها ، فلاطف موسى مغيثا رسول الخليفة ،
وسأله انظاره الى ان ينفذ عزمه في الدخول اليها ، والمسير معه
في البلاد أياما ، ويكون شريكه في الاجر والغنيمة ، فافتتح حصن ياذوا
Viseu وحصن لك وهى Lucum Astrum وتسمى اليوم Maria de Lugo
فأقام هناك ، وبث السرايا حتى بلغوا صخرة بلاى Pana de pelayo
على البحر الاخضر وبينما موسى كذلك في اشتداد الظهور
وقوة الامل اذ قدم عليه رسول آخر من الخليفة يكنى أبا نصر أردف
به الوليد مغيثا لما استبطأ موسى في القفول ، وكتب اليه يوبخه ، ويأمره
بالخروج ، والزم رسوله ازعاجه ، فانقلع حينئذ من مدينة لك بجليقية
وخرج على الفج المعروف بفج موسى ، ووافاه طارق في الطريق منصرفا من
الثغر الاعلى فأقفلته مع نفسه ، ومضيا جميعا ومعهما من الناس
من الختان القفول ، وأقام من أثر السكنى في مواضعهم التى كانوا قد
اخطوها واستوطعوها وقتل معهم الرسولان مغيث وأبو نصر حتى احتلوا
بأشبيلية فاستخلف موسى ابنه عبد العزيز على امارة الاندلس (١٥٥)
وبدا يستعد للعودة الى دمشق تنفيذا لامر الخليفة .

مسح مناطق جنوب شرق وشرقي الاندلس .

قبل ان نمضى مع القائدين المظفرين موسى بن نصير وطارق بن زياد في طريق عودتهما الى عاصمة الخلافة الاسلامية ، يحسن بنا ان نتوقف قليلا لنلقى الضوء على كيفية افتتاح المسلمين لبعض مناطق الجنوب الشرقي للاندلس ومنطقة El Levante أى شرق الاندلس .

هناك تضارب واضح في المعلومات الواردة في مصادرنا التاريخية حول الفتح الاسلامي للمناطق الشرقية ، والجنوب الشرقي لاسبانيا بالاضافة الى قلة المعلومات التي ترد عن هذه الاحداث وتكررها بصورة تكاد ان تكون لفظية من مؤرخ الى آخر .

وتتناول الغالبية من مصادر التاريخ الاندلسي فتح المسلمين لهذه المناطق بعد حديثها عن انتصارات طارق بن زياد على الملك لذريق في معركة وادى لكة ، وتقدمه الى منطقة استجة ، وقضائه على المقاومة في هذه المنطقة ، وهناك يقول له يليان : قد فرغت من الاندلس ، ففرق جيوشك ، وسر انت الى طليطلة ، ففرق طارق جيوشه من مدينة استجة وبعث جيشا الى قرطبة ، وجيشا الى غرناطة ، وجيشا الى مالقة وجيشا الى تدمير ، وسار هو في معظم الجيش الى جيان يريد طليطلة فلما بلغ طليطلة وجدها خالية ، وقد لحق من كان بها بمدينة خلف الجبل يقال لها ماية (١٥٦) .

فاما الجيش الذي سار الى قرطبة فانهم دلهم راع على ثغرة في سورها فدخلوا البلد وملكوه (١٥٧) .

وأما الذين قصدوا تدمير فلقبيهم صاحبها واسمه تدمير ، وسميت باسمه ، وكان اسمها أوريولة ، وكان معه جيش كثيف ، فقاتلهم قتالا

(١٥٦) لعله يقصد مائدة ، ويتفق ذلك مع ما سبق الإشارة اليه من وصول طارق بن زياد الى مدينة تسمى « مدينة المائدة » .
(١٥٧) راجع ما ذكرناه حول تفاصيل فتح قرطبة في الصفحات السابقة ص ١١٢ وما بعدها .

شديدا ثم انهزم وقتل من اصحابه خلق كثير ، فأمر النساء فلبسن السلاح ، ثم صالح المسلمين عليها . وفتح سائر الجيوش ما قصدوا اليه من البلاد (١٥٨) .

ولا تختلف روايات المصادر الاندلسية عن رواية ابن الاثير الا في بعض التفاصيل ، واورد رواية ابن عذاري على سبيل المثال فانه يقول بعد ان يتحدث تفصيليا عن فتح قرطبة :

« فتح مالقة : بعث اليها طارق من استجة جيشا وقود عليه قائدا ، وجعل معه دليلا من رجال يليان ، فاستفتحها وجميع أعمال رية ، ولجأ علوجها الى جبال رية الشامخة المنيعة . »

فتح غرناطة قاعدة البيرة : بعث اليها طارق الجيش من استجة فحاصرها حتى افتتحها .

فتح مرسية : ثم تقدم هذا الجيش بعد فتح غرناطة الى تدمير ، وهي مرسية ، وانما سميت تدمير باسم العليج صاحبها ، وكان اسمها أوريويلة وهي كانت مدينها القديمة ، فقاتل العليج تدمير المسلمين قتالا شديدا ، وكان في قوة ، ثم انهزم في فحس لا يستترهم شيء ، فوضع المسلمون فيهم السلاح حتى افنؤهم ، ولجأ من بقي منهم الى مدينة أوريويلة : Orihuela . وكان تدمير بصيرا بأبواب الحرب فلما رأى قلة من معه من اصحابه ، امر النساء فنشرن شعورهن ، وأعطاهن القصب ، ووقفن على سور المدينة ووقف معهن بقية الرجال . ثم قصد بنفسه الى جيش المسلمين كهيئة الرسول وأستأمن فأمن وانعقد له الصلح ولاهل بلده ، فافتتحت مدينة تدمير صلحا . فلما انعقد الصلح وتم ، ابرز لهم نفسه وقال : « أنا تدمير صاحب المدينة » ثم ادخلهم البلد ، فلم يزوا فيه احدا عنده مدفع فندم المسلمون وأمضوا على ما اعطوه من الامان ، وكتبوا بالفتح الى الامير طارق ، وأقام بتدمير رجال من اهل العسكر ، وصاروا مع أهلها ، وتقدم معظم الجيش

الى طليطلة فلحق بطارق وهو عليها (١٥٩) .

وكان من الممكن ان تكون هذه الروايات هي التي يؤخذ بها في الكتابة عن فتح هذه المناطق الهامة لولا ان المقرئ أورد لنا نصا آخر يقول فيه : « وقيل ان موسى بن نصير اخرج ابنه عبد الاعلى الى قديم ففتحها والى غرناطة ومالقة وكورة رية ففتح الكل ، وقيل انه لما حاصر مالقة وكان ملكها ضعيف الرأي قليل التحفظ ، كان يخرج الى جنان له بجانب المدينة طلبا للراحة من غمة الحصار من غير نصب عين وتقديم طليعة وعرف عبد الاعلى بأمره ، فأمكن له في جنبات الجنة التي كان يفتابها قوما من وجوه فرسانه قوى رأى وحزم أرصدوا له ليلا فظفروا به وملكوه فاخذ المسلمون المدينة عنوة ، وملأوا أيديهم غنيمة (١٦٠) .

(١٥٩) ابن عذارى : البيان المغرب ج ٢ ص ١١ ، وانظر ايضا نفس الرواية في اخبار مجموعة ص ١٢ - ١٣ ، وتنطبق عليها روايات المقرئ الواردة في نفح الطيب ، ولا تزيد عليها الا في اعطاء مزيد من التفاصيل حول استعانة المسلمين باليهود في فتح اغرناطة ، وان المسلمين ضمو اليهود الى قصبة غرناطة ، وصار لهم ذلك سنة متبعة في كل بلد يفتحونه ، ان يضموا يهودهم الى القصبة مع قطعة من المسلمين لحفظها ، ويمضى معظم الناس الى غيرها ، واذا لم يجدوا يهودا ، وفروا عددا من المسلمين الخلفين لحفظ ما فتح . النفج ج ٢ ص ٢٦١ - ٢٦٤ . ويعتمد على هذه الرواية عدد من المؤرخين المعاصرين من امثال شكيبازسلان خلاصة تاريخ الاندلس ص ٢٦ ، وعلى حموده في : تاريخ الاندلس السياسي والعمراني والاجتماعي ص ٤٨ - ٤٩ . وغيرهما .

(١٦٠) المقرئ : نفح الطيب ج ١ ص ٢٧٥ . ويرد ذلك النص في طبعات النفج المختلفة ، انظر طبعة القاهرة للشيخ محمد محبى الدين عبد الحميد ، ج ١ ص ٢٥٧ . ١٩٤٩ م ، وبها ايضا رواية فتح تدمير السابق الاشارة اليها ج ١ ص ٢٤٧ .

وقد أورد ابن الخطيب الروايتين : الاولى بأن طارقا أرسل بعض جيشه من استجة لفتح هذه المداين ، والثانية نقلا عن معاوية بن هشام فوجه ابنه عبد الاعلى في جيش الى جهة تدمير فافتتحها . يقول فيها : ان ما ذكر تأخر الى دخول موسى بن نصير في سنة ٩٣ ، ثم مضى الى البيرة فانفتحها ، ثم توجه الى مالقة « انظر اللوحة البدرية =

وقد تكون لهذا النص أهمية على اعتبار أنه يقدم لنا اسم القائد الذي يمكن أن ينسب إليه فتوحات هذه المنطقة ، والتي اشارت اليها المصادر باستمرار ، دون تحديد لاسم فاتحها ، لكنه في الحقيقة قد زاد الامور تعقيدا ، لان المصادر التاريخية قد احتفظت لنا بالنص الكامل لمعاهدة الصلح التي عقدت مع تدمير حاكم الاقليم ، وكان الذي وقع هذه المعاهدة وعقدها باسمه هو عبد العزيز بن موسى بن نصير ، وتاريخ توقيعه هو شهر رجب من عام ٩٤ هـ (١٦١) .

كذلك ينقل لنا الدكتور الحجي نصا عن ابن عبد المنعم الحميري أكثر صراحة في أن عقد الصلح كان مع عبد العزيز هذا نصه :
بقرطاجنة هذه - قرطاجنة الخلفاء ، ميناء كورة تدمير - هزم عبد

= في الدولة النصرانية . ص ٢٥ - ٢٦ . منشورات بيروت ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .
الاحاطة في أخبار غرناطة ج ١ ص ١٠١ ، الطبعة الثانية ، الخانجي بالقاهرة ١٩٧٣ م .

(١٦١) الضبي : بغية الملتبس ص ٢٧٤ ، الترجمة رقم ٦٧٥ . حين يترجم لحبيب بن أبي عبدة الذي ثبت اسمه في كتاب الصلح الذي كتبه عبد العزيز بن موسى بن نصير لتدمير بن غيوش الذي سميت باسمه تدمير إذ كان ملكها ، ونسخة ذلك الكتاب : بسم الله الرحمن الرحيم كتاب من عبد العزيز بن موسى بن نصير لتدمير بن غيدوش أنه نزل على الصلح ، وأنه له عهد الله وذمة نبيه صلى الله عليه وسلم الا يقدم له ولا لاحد من اصحابه ولا يؤخر ولا ينزع عن ملكه وأنهم لا يقتلون ولا يسبون ، ولا يفرق بينهم وبين اولادهم ولا نسائهم ولا يكرهوا على دينهم ، ولا تحرق كنائسهم ، ولا ينزع عن ملكه ما تعبد ونصح وأدى الذي اشترطنا عليه ، وأنه صالح على سبع مدائن أوربولة ، وبلنثة ، ولقنت ، وموله ، وبقسرة ، وأتة ، ولورقة وأنه لا يؤدي لنا البقاء ولا يؤوى لنا عدوا ولا يخيف لنا آمنا ولا يكتم خبر عدو علمه ، وإن عليه وعلى اصحابه دينارا كل سنة وأربعة امداد قمح ، وأربعة امداد شعير ، وأربعة اقساط طلاء وأربعة اقساط خل ، وأربعة اقساط عسل ، وقسطي زيت ، وعلى العبد نصف ذلك . شهد على ذلك عثمان بن ابا عبدة القرشي ، وحبيب بن أبي عبدة بن ميسرة الفهري ، وأبو قائم الهذلي وكتب في رجب سنة ٩٤ من الهجرة .

العزیز بن موسی بن نصیر تدمیر بن عبدوس ، الذی سمیت به تدمیر ، هزمه واصحابه ، ووضع المسلمون فيهم الأسيف ، يقتلونهم كيف شئوا ، حتى نجا تدمیر في شزيمة من قلال اصحابه ، أمر النساء فنشرن شعورهن وامسكن القصب بأيديهن فيمن بقي من الرجال ، وقصد بنفسه كهية الرسول وأستأمن ، فآمن ، وانعقد الصلح له ولاهل بلده ، وفتحت تدمیر صلحا ، فلمانفذ أمره عرفهم بنفسه وادخلهم المدينة ، فلم يروا بها الا نفرا يسيرا من الرجال ، فندم المسلمون على ما كان منهم ، وكان ما انعقد من صلح تدمیر مع عبد العزيز على اقاوة يؤديها ، وجزية عن يد يعطيها ، وذلك على سبع مدائن منها : أوريولة ، ولقنت ، وبلانة وغيرها ، وتاريخ فتحها سنة ٩٤ هـ (١٦٢) .

واعتمادا على تلك النصوص ، فان الدكتور حسين مؤنس ، قد اخذ بالروايات القائلة بأن فتح هذه المناطق قد تم على يد عبد العزيز ابن موسی بن نصیر ، وصاغ فكرته في فتح هذه البلاد على الاساس التالي : « ويذهب بعض المؤرخين الى ان طارقا ارسل في هذا الوقت حملة فتحت جنوب شرقى الاندلس ، وكبار مدائنه مثل مالقة وغرناطة وأوريولة . ولكن ذلك غير صحيح ، لان المسلمين لم يفتحوا هذه النواحي الا في ولاية عبد العزيز بن موسى ، ولا يستبعد ان يكون قد بيعت سرايا صغيرة الى هذه النواحي وغيرها لمجرد الاستطلاع لا الفتح (١٦٣) . »

(١٦٢) الحميرى : الروض المعطار ص ١٥١ - ١٥٢ . وانظر عبد الرحمن الحجى في كتابه : التاريخ الاندلسى ، ص ٧٩ . كما يعتمد ايضا في هذه الرواية على نصوص اخرى اوردها العذرى في نصوص عن الاندلس أما المدائن السبع لفتى اشار اليها عقد الصلح فتطلق عليها بالاسبانية الاسماء التالية : Orihuela, Mula, Lorca Valentilla, Alicante, Ello, Elche.

ولقد أورد د . حسين مؤنس اسم مدينة Anaya بدلا من Ello و Begastro بدلا من Elche . وانظر تطبيقى على نص معاهدة الصلح في مقالتي : الحضارة الاندلسية : مرحلة التكوين (ندوة التاريخ الاسلامي والوسيط . المجلد الثانى . ص ٢٨٦ ، دار المعارف ١٩٨٣ م) .
(١٦٣) حسين مؤنس : فجر الاندلس . ص ٧٧ .

وحين ينتقل الى الحديث عن فتح هذه المناطق فإنه يتناول ببند عبد العزيز بفتح مالقة التي اسلمها صاحبها للمسلمين دون كبير عناء ثم قصد غرناطة ويقال ان حاميتها كانت من اليهود ففتحوا للمسلمين ادوابها دون مقاومة . ثم اتجه عبد العزيز الى اقليم مرسية حيث كان يحكم قائد قوطي يسمى تدمير Teodimero ، ثم يتحدث عن مقاومة تدمير الى ان يصل الى اتفاه ، وعقبه للصالح مع عبد العزيز بن موسى موردا نص الوثيقة ، ثم يصدر الحكم الاتالي ضمن تعليقه على تاريخ الصلح : « بقيت ملاحظة صغيرة عن تاريخ هذه المعاهدة الوارد نصها فان الوثيقة صريحة بأنها عقدت على يد عبد العزيز وانه عقدها بصفته عامل الاندلس ، ولو كان عقدها في حكومة ابيه لاشير الى ذلك في صلبها . فاذا صح ذلك كان من الميسور ان نشك في التاريخ الذي تورده الوثيقة في نصها . فهي تذكر رجبا سنة ٩٤ هـ ، ورجب هذا يقع في ابريل ٧١٣ م . فلو ذكرنا ان عبد العزيز فتح في هذه الغزوة وقبل وصوله الى بلاد تدمير حصنين كبيرين هما غرناطة ومالقة ولا بد كذلك ، ن شيئا من الوقت قد ضاع مع تدمير حتى تم الاتفاق معه اذا حسبنا لذلك كله ثلاثة اشهر كان من الضروري ان يكون عبد العزيز قد خرج بهذه الغزوة في يناير أو فبراير على أكثر تقدير ، وهذا وقت لم تجر العادة بالخروج للغزو فيه في تلك العصور . وأسلم الآراء في هذا الموضوع هو ان نضع تسليم تدمير - وهو آخر حلقة من حلقات فتح المسلمين للاندلس - في اوائل سنة ٩٦ هـ ، لان موسى لم يبرح البلاد الا في ذى قعدة سنة ٩٥ هـ (١٦٤) .

ويشارك الدكتور هؤنس في ذلك الدكتور عبد العزيز سالم حيث يقول : ينسب الرازي فتح مالقة وغرناطة الى جيش وجهه طارق بن زياد ، بينما يذكر المقرئ ان موسى هو الذي ارسل ابنه عبد الاعلى الى غرناطة وكورة رية وتدمير فافتحها جميعا . غير اننا لا نرى هذا الرأي فقد ثبت ان عبد العزيز بن موسى هو الذي سار الى تلك المنطقة

وافترضها ، وقد حفظ لنا نص معاهدته مع ملك تدمير (١٦٥) . ثم يعتمد بعد ذلك على رأى الدكتور حسين مؤنس فى تعديل تاريخ الوثيقة وجعله أوائل سنة ٩٦ هـ - ٧١٤ م ، حيث يتفق ذلك مع الآراء التى قال بها المؤرخ الاسبانى سافدرا (١٦٦) .

ومع التقدير الكامل لرأى الاساتذة الاجلاء ، فان هذه المسألة تحتاج الى المزيد من البحث والدراسة حتى يمكن تجنب التناقض الموجود بين هذه الروايات التاريخية ، اما التفسير الذى اعتمدته د . مؤنس لكى يذهب هذا المنحى فانه يحتاج الى اعادة نظر ، كما أنه غير مقنع فى بعض جوانبه ومنهجا :

أولا - اهمال المؤرخين لذكر اسم عبد العزيز بن موسى كقائد لجيش هذه المناطق ، والاقتصار فقط على ورود الاسم ضمن كتاب الصلح ، فى الوقت الذى نجد تركيزا واهتماما بأخبار مغيث الرومى وقيامه بفتح قرطبة ، ولو كان عبد العزيز هو قائد الجيش فى الحملة لما قال صاحب « اخبار مجموعة » عند حديثه عن قيام تدمير بالتباحث مع أمير الجيش الاسلامى بأنه لم يزل يراوض أمير ذلك الجيش حتى عقد على نفسه الصلح وعنى أهل بلده (١٦٧) لان أمير الجيش هنا ليس نكرة ولا يمكن الإشارة اليه بمثل هذا الاسلوب .

(١٦٥) عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم ص ١١٠ الحاشية ٣ .

(١٦٦) عبد العزيز سالم ، المصدر السابق ص ١١١ ، ويميل الى هذا الرأى أحمد مختار العبادى فى كتابه « فى تاريخ المغرب والاندلس » ص ٧١ - ٧٢ ، ودراسات فى تاريخ المغرب والاندلس ص ٣٨ ، حيث يقول : « أما شرق الاندلس El Levante فقد فتح على يد الأمير عبد العزيز بن موسى بن نصير الذى خلف على ولاية الاندلس ، على الرغم من أن الدكتور العبادى يشير ضمن تحقيقه لكتاب ابن الشباط الى أن صديقه الأستاذ الدكتور خوالكين بالبيه ، المستشرق الاسبانى يقوم بتحقيق مخطوطة عن تاريخ مالقة لابن عساكر ، وإن ابن عساكر يؤكد أن عبد الأعلى بن موسى هو الذى فتح مالقة فى عهد والده ، انظر ص ٤٤ ، من تاريخ ابن الكردبوس ، الحاشية رقم ١ . وكذلك يذهب الدكتور بيضون فى كتابه تاريخ الدولة العربية فى اسبانيا ص ٨٨ . (١٦٧) أخبار مجموعة ص ١٣ .

ثانيا - عدم وجود تفسير مقنع لما نصت عليه بعض المصادر التاريخية من أن الجيش الذي قام بفتح هذه المناطق قد كتب بالفتح الى الامير طارق (١٦٨) .

ثالثا - عدم وجود تفسير مقنع لاهمال ما نصت عليه بعض المصادر صراحة من أن عبد الاعلى بن موسى هو الذي ارسل من قبل والده لفتح هذه المناطق ، وهى من المصادر المعتمد عليها فى كتابة التاريخ الاندلسى (١٦٩) .

رابعا - تورّد الوثيقة التى اعتمد عليها فى رواية فتح هذه المنطقة حقيقتين اساسيتين هما : أن الذى كتبها عبد العزيز بن موسى وانها كتبت فى رجب من عام ٩٤ هـ ، واذا كان لنا أن نأخذ بما فى أولها ومتنها كان لزاما علينا أيضا أن نأخذ بما جاء فى آخرها ، اما اذا شككنا فى جزء منها ، فانه يصبح لزاما علينا أيضا أن نشك فى باقى ما ورد فيها .

خامسا - ان حلول الشتاء ليس بالعائق الجوهرى الذى يعطل حركة الفتح الاسلامى ، وخاصة ان هذه المناطق من جنوب اسبانيا وجنوبها الشرقى ليست من المناطق الشديدة البرودة علاوة على ذلك فان المسلمين لم يوقفوا عمليات الفتح خلال الشتاء - اللهم الا عودة طارق الى طليطلة لانتظار موسى بن نصير - ودليلنا على ذلك ان حملات موسى ابن نصير لم تتوقف منذ عبوره فى رمضان من عام ٩٣ هـ . يونية ٧١٢ م حتى غادر الاندلس فى ذى القعدة من عام ٩٥ هـ ، سبتمبر ٧١٤ م .

(١٦٨) ابن عذارى : البيان ج ٢ ص ١١ ، وأخبار مجموعة ص ١٣ .
(١٦٩) انظر فى ذلك ابن الخطيب فى كتابه اللوحة البدرية المشار اليه ص ١٠١ ، وكتابه الاحاطة فى اخبار غرناطة ، الطبعة الثانية ج ١ ص ١٠١ ، والمقرى فى نفح الطيب ج ١ ص ٢٧٥ ، وخاصة انه يورد رواية طويلة عن كيفية أسر « ملك مالقة » على يد عبد الاعلى على الرغم من قول الدكتور مؤنس : غير اننا نستبعد ان تكون مالقة قد فتحت فى ايام موسى ، وعلى يد ابنه هذا (انظر فجر الاندلس ، ص ١١٢ ، التعليق رقم ١٠) وابن الكردبوس ص ١٤٤ الحاشية رقم ١ .

سادسا - كافة المصادر التاريخية الاندلسية والمغربية تكاد تتفق في صحتها تماما حين حديثها عن ولاية عبد العزيز بن موسى ، ولا تذكر له ما قام به من فتوحات ، وأهم ما اشير اليه في هذا المجال هو قول صاحب الاخبار المجموعة « وقد افتتح في ولايته مدائن كثيرة (١٧٠) وما رواه المقرئ عن أعمال عبد العزيز في الاندلس يأتي في الصورة التالية أنه « ضبط سلطانها وضم نشرها ، وسد ثغورها وافتتح في ولايته مدائن كثيرة مما كان قد بقي على ابيه موسى منها (١٧١) وليس معنى ذلك عدم قيام عبد العزيز بنشاط لاستكمال الفتح ، فهناك الادلة الوافية على جهاده في شمال الاندلس ومنطقة الغرب ، وليس هذا مجال التصدي لذلك . وليس في امكاني تقديم التصور النهائي الذي يمكننا من تلاقى التناقض بين هذه الروايات التاريخية ، ومن ثم فان اقصى ما اطمح اليه من تقديم بعض الافكار في هذا المجال ، هو الدعوة لمزيد من البحث والدراسة حول هذا الموضوع .

يذهب الدكتور عبد الرحمن الحجى من ان موسى بن نصير قد ارسل ابنه عبد العزيز لاستكمال فتح شرق الاندلس ، قبل توجه موسى الى ماردة وبعد ان ادى عبد العزيز مهمته وعقد الصلح المذكور مع تدمير فائه يلتحق بأبيه في حصاره لماردة . وبعد فتح ماردة يوجهه الوالد للقضاء على ثورة اشبيلية (١٧٢) .

وهذا الافتراض معقول لولا انه لا يقدم تفسيراً لورود اسم عبد الاعلى في الكثير من المصادر بدلا من اسم عبد العزيز ، أو لتلك الحملات التي خرجت بأوامر من طارق بن زياد لفتح هذه المناطق ، ولذلك فاننى اعرض بعض النقاط للمناقشة وفتح باب الحوار حول هذه النقطة التاريخية .

(١٧٠) خبار مجموعة ص ٢١ .

(١٧١) المقرئ : نفح الطيب ج ١ ص ٢٨١ .

(١٧٢) انظر التاريخ الاندلسي ، الصفحات من ٧٨ - ٨٣ .

أولا - أن يكون طارق بن زياد بعد أن انتصر على المقاومة في معركة استجة ، قد وجه السرايا إلى هذه المناطق لفتحها في الوقت الذي أرسل إلى موسى بن نصير بأخبار الفتح ويدعوه إلى نجدته في الأندلس (١٧٣) . وأن موسى بن نصير قد طلب من ابنه مروان أن يجوز إلى الأندلس ويلحق بطارق ، ومن المحتمل أن يكون عبد العزيز وعبد الأعلى قد رافقا أخاهما في هذه المهمة وأنهم اتخذوا طريقهم للاتحام مع السرايا التي أرسلها طارق إلى هذه الجهات ومن ثم شاركوا في فتح غرناطة ثم مالقة ثم تدمير ، وكتبوا بهذه الفتوح إلى أميرهم طارق بن زياد وبعد الانتهاء من هذه المهمة لحق القسم الأول من الجيش بطارق في طليطلة ، ولحق عبد العزيز ومن معه بوالده أثناء حصاره لمدينة ماردة ، وبعد سقوط ماردة يتولى عبد العزيز إعادة فتح أشبيلية ، ومن ثم بقي يمارس نشاطه في غرب الأندلس .

ثانيا - أن نأخذ برأى المصادر القائلة بأن موسى أرسل ابنه عبد الأعلى لفتح هذه المناطق خلال قيام موسى نفسه بفتح أجزاء من غرب الأندلس ، وإذا أردنا تعديل ما جاء في الوثيقة فيكون اسم عبد الأعلى بدلا من عبد العزيز ، ومن المحتمل أن المؤرخين أو من قاموا بنسخ المخطوطات قد أخطوا اسم عبد العزيز بدلا من عبد الأعلى لما لاولهما من شهرة اكتسبها بعد ذلك من ولايته للأندلس وانظر في ذلك على سبيل المثال التذبذب بين اسمي عبد الأعلى وعبد العزيز بين طبعتي الإحاطة الأولى والثانية (١٧٤) . ويترجم ابن الخطيب حياة عبد الأعلى بن موسى بن نصير على الوجه التالي : « كان عبد الأعلى أميرا على سدة أبيه في الفضل والدين ، وهو الذي باشر فتح غرناطة ومالقة واستحق الذكر لذلك » قال الرازي : وكان موسى بن نصير ، قد أخرج ابنه عبد الأعلى فيمنز رتبته من الرجال إلى البيرة وتدمير لفتحها ، ومضى إلى البيرة ففتحها وضم إليها غرناطة اليهود ، مستظفرا بهم على النصر ، ثم مضى

(١٧٣) انظر ما أورده ابن قتيبة : أن الامم تداعت علينا فالغوث الغوث سبق الإشارة إليها .
(١٧٤) ابن الخطيب : الإحاطة الطبعة الأولى ج ١ ص ١٠٧ ، والطبعة الثانية ج ١ ص ١٠١ ، وانظر الحجى : التاريخ الأندلسي ص ٧٩ .

الى كورة رية ففتحها (١٧٥) .

ثالثا - أن تكون هذه المناطق قد فتحت بالفعل على يد سرايا طارق بن زياد ، وأن موسى بعد عبوره بأبنائه قد وجه قسما من جيشه بقيادة عبد العزيز ومعه عبد الاعلى ، لتأكيد الفتح في هذه المناطق وتوكيد الصلح فيها ، ثم اتجه عبد العزيز بعد ذلك الى ماردة حيث شارك والده في فتحها ، وبعد ذلك توجه الى اشبيلية للقضاء على ما قام بها من ثورة وأن ذلك كله كان من خلال عام ٩٤ هـ كما ينص على ذلك تاريخ الوثيقة ولذا يشير المؤرخون الى كليهما كقادة للفتح في هذه المناطق .

أما عن تدمير أمير هذه المنطقة ، فترتفع به المصادر الاسبانية الى مصاف الزعماء العظام ، فهو النموذج المثالي في الدفاع عن استقلال الوطن وحامي الديانة المسيحية ، والمرشح الاول للمملكة بعد لاذريق ولقد كان والده Ergobardos نبيلاً قوطياً من أبطال اسبانيا ، وقائد بعض فرقها العسكرية التي حققت انتصارات كثيرة في عهد الملك غيطشة ، ولقد ظل تدمير من اجل ذلك وفيها مخلصاً لابناء هذا الملك ، لايمانه بأنهم حكام اسبانيا الشرعيون ، ومن هذا المنطلق وقف ضد لاذريق ، وتعاون مع يوليان ، وأنه قد خدع خدعة كبيرة حينما وجد أن العرب بعد انتصارهم الحاسم على لاذريق وأعوانه ، لم يوافقوا على تنصيب اخيلا بن غيطشة ملكاً على اسبانيا . ولقد استقر هذا الرجل حاكماً على اقليم مرسية ، دون اعتراض شديد من العرب ، على أساس تبعيته لابن الملك غيطشة ، ولكنه ما لبث ان انتهى اقليمه بالخضوع الكامل للعرب كما سبق أن تبيننا (١٧٦) .

(١٧٥) ابن الخطيب : الاحاطة ، الطبعة الثانية ، ج ٣ ص ٥٢٩ ، كما يجب الاننسى ذهاب ابن عساكر في تاريخ مالقة الى نفس الرأي وكل منهما كان يكتب في تاريخ المدينة ، حين سجل ذلك ولا شك انه كان يعتمد في ذلك على مصادر لم تعد متاحة لدينا الآن .
Villa-Real : (١٧٦)

Historia Critica de Espana, p. 157.

(م ١١ - الفتح الاسلامي لاندلس)

العودة الى الشرق :

من الصعب التوقف بالنقد والتقويم أمام الاحداث التاريخية ، وخاصة اذا كان لهذا الحدث البعاده الممتدة الى مسافات بعيدة عبر الزمن أو كان له نتائج مباشرة أدت الى تغيير في مسيرة التاريخ .

ومن هذه الاحداث التي يصعب وضعها في الميزان التاريخي وتحديد نتائجها بدقة ، عودة قادة فتح الاندلس الى الشرق في موكب مختلف المؤرخون في تصويره ، ووضعه اختلافا بينا .

لقد أمر الخليفة الوليد بن عبد الملك رحمه الله ، بل وألح على عودة موسى بن نصير من الاندلس الى دمشق ، وفي هذا القرار غرابة محيرة لانه ليس له شواهد كثيرة مع غيره من قادة الفتح الاسلامي الذين سبقوا موسى بن نصير في سجل الخلود الاسلامي ، فقد استقر ابو عبيدة ابن الجراح رضى الله عنه في بلاد الشام بعد فتحها حتى وافاه الاجل هناك ، وكذلك ظل عمرو بن العاص في مصر بعد فتحها حتى أتم تنظيمها وترتيب أحوالها كما أقام معاوية بن ابي سفيان واليا منذ عهد عمر بن الخطاب الى عهد علي بن ابي طالب رضى الله عنهم أجمعين .

لقد ترتب على تلك العودة توقف مؤقت للزحف الاسلامي نحو مناطق شمال غرب اسبانيا ، وعاد القادة بجنودهم من هذه البلاد في اتجاه الجنوب حين أخذ موسى بن نصير طريق العودة في شهر ذي القعدة من عام ٩٥ هـ فالتقى بمغيث الرومي بنواحي ليون وهناك أدركهما طارق بن زياد في عودته من استرقة ، فأقطفه معه ، واتجه الجميع الى طليطلة ، ومنها انحدروا نحو قرطبة ، ثم قصدوا الى اشبيلية ، وهناك في هذه المدينة ترك موسى ابنه عبد العزيز واليا على الاندلس ، وبدأ رحلة العودة الى الشام .

ولقد اختار موسى بن نصير مدينة اشبيلية لتكون مقرا لابنه عبد العزيز لانه رأى فيها القرب من بلاد المسلمين ، ولوقوعها على نهر عظيم لا يخاض ، فأراد ان تكون فيه سفن المسلمين ، وتكون باب

الاندلس (١٧٧) .

واشبييلية من أعظم مدن الاندلس ، وكان الاولون من ملوك الاعاجم يتداولون سكناها مع كل من قرطبة وقرمونة وطليطلة ويقسمون أزمانهم على الكينونة بها (١٧٨) .

وأختيار اشبييلية مقرا لعبد العزيز بن موسى ، ومنطلقا لقادة الفتوح في اتجاههم نحو بلاد الشام يثير عدة تساؤلات عن كيفية عودة القادة الى بلاد الشام . وينصرف المؤرخون في ذلك الى أكثر من اتجاه الاول منها أن موسى ركب البحر الى الشرق دون تحديد لمكان نزوله من البحر الى البر ، بمعنى هل ركب البحر الى أفريقية أو الى مصر أو الى سواحل الشام مباشرة ؟ وينقل لنا المقرئ أن موسى استخلف ابنه عبد العزيز على امارة الاندلس ، وأقره بمدينة اشبييلية لاتصالها بالبحر نظرا لقربه من مكان المجاز . وركب موسى البحر الى المشرق بذى حجة سنة ٩٥ هـ وطارق معه (١٧٩) .

ويمضى الاتجاه الثانى الى أن موسى بن نصير قد جاز البحر الى طنجة ، وبعد ذلك أخذ الطريق البرى الى الشام ، ويورد ابراهيم الرقيق النص التالى : فاجتاز موسى بالأموال والذهب والفضة والجوهر والمواكب الى طنجة ، ثم حملها على العجل ، فكانت وسق مائة عجلة وأربع عشرة عجلة ، تبديل عليها الأزواج في كل مرحلة (١٨٠) ويكتفى ابن

(١٧٧) أخبار مجموعة ص ١٩ .

(١٧٨) المقرئ : نفح الطيب ج ١ ص ١٥٧ ، وشكيب أرسلان :

الحلل الهندسية ج ١ ص ٨٤-٨٥ .

المقرئ : نفح الطيب ج ١ ص ٢٧٧ . والى نفس الرأى يذهب

د . مؤنس ولكن يقول بأن موسى « بارح الاندلس في ذى القعدة سنة ٩٥ هـ / سبتمبر ٧١٤ ووصل مصر في السابع من ديسمبر ، وبلغ دمشق في السادس عشر من يناير ٧١٥ » فجر الاندلس ص ١٠٧ . ويأتى د . على حموده بنص المقرئ دون زيادة أو نقصان ، انظر : تاريخ الاندلس ص ٩٥ .

(١٨٠) انظر ما نشره الدكتور حسين مؤنس من الكتاب المذكور في مجلة

المعهد المصرى ، العدد ١٨ ص ١٠٩ .

الكردبوس بالقول « ثم جاز البحر ، وأجاز معه طارق ، واستخلف على الاندلس ابنه عبد العزيز بن موسى ، وقصد دمشق حيث أمير المؤمنين الوليد (١٨١) » .

ولا يحدد أصحاب الاتجاه الثالث طريقا لموسى بن نصير الا برجوعه الى القيروان ، ومنها ينطلق الى الشام ، فحين يعود الرقيق القيرواني الى الحديث عن رحيل موسى ، فانه يقول « وشخص موسى قافلا الى الشام فوصل مدينة القيروان في آخر سنة ٩٥ هـ ، فلم ينزلها ، ونزل منها على ميل من القيروان (١٨٢) » .

ويذكر المراكشي بأن موسى « رجع الى القيروان ثم سار منها بما حصل له من الغنائم ، وأعدده من الهدايا للوليد بن عبد الملك ووصل موسى الى طبرية سنة ٩٦ هـ (١٨٣) » .

أما بقية المصادر الاندلسية والمغربية فانها تقتصر على الإشارة الى عودة موسى وطارق الى المشرق دون تحديد لوسيلة العودة أو طريق الرجوع ومنها على سبيل المثال قول ابن عبد الحكم « خرج موسى بن نصير من الاندلس بغنائمه وبالجوهر والمائدة (١٨٤) ويقول ابن القرطبة : وتوجه موسى بن نصير ومعه أبناء الملوك العجم أربعمائه على رؤوسهم

(١٨١) ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ص ٥٠ . ويتناول الدكتور سالم هذه المسألة أيضا دون تحديد لكان العبور فيقول « وعبر القائدان الزقاق الى أفريقية يحملان معهما الغنائم ، ويجران خلفهما موكبا طويلا من قواد المسلمين ورؤساء القوط المغلوبين : تاريخ المسلمين وآثارهم ص ١٠٥ - ١٠٦ . والى ذلك يذهب عبد الرحمن على الحجى في التاريخ الاندلسي ص ١١٩ .

(١٨٢) انظر ما جاء في مقالة د . حسين مؤنس المشار اليها ص ١١١ . ونستدل من التاريخ الوارد في هذه الملاحظة أن موسى استغرق شهرا في الطريق من أشبيلية الى القيروان أو نحو شهر ، لان بعض المصادر تذكر رحيله من أشبيلية في ذى الحجة وبعضها في ذى القعدة من عام ٩٥ هـ .

(١٨٣) المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ص ٢٢ - ٢٣ .

(١٨٤) ابن عبد الحكم : فتوح أفريقية والاندلس ص ٨١ .

• تيجان الذهب ، وفي أوساطهم مناطق الذهب (١٨٥) .

واعتمادا على تلك الآراء جميعها فانه من الممكن وضع برنامج زمني وخط سير تقريبي لرحلة عودة قاذى فتح الاندلس الى المشرق على الوجه التالي :

- ركب موسى ومن معه المراكب من اشبيلية في نهر الوادى الكبير ومنها انحدر الى غرب مضيق جبل طارق في العنق الواصل بين البحر المتوسط والمحيط من ناحية الغرب . وذلك في نهاية شهر ذى القعدة من عام ٩٥ هـ (١٨٦) ، ثم حط رحاله في مدينة سبتة لانها اقرب الى موضع نزوله في مياه البحر المتوسط * .

من ستة اتجه موسى برا الى القيروان فوصلها في نهاية شهر ذى الحجة من عام ٩٥ هـ ، واستراح قليلا بالقرب منها .

- وصل موسى بن نصير الى الفسطاط في يوم الخميس الموافق للرابع والعشرين من شهر ربيع الاول عام ٩٦ هـ / ١٧/١٢٤١٢ م .

- من مصر رحل في اتجاه فلسطين ووصل الى بلدة طبرية في عام ٩٦ هـ في حدود شهر ربيع الثانى .

(١٨٥) ابن القوطية : افتح الاندلس ص ٣٦ ، والى نفس الراى يمضى صاحب اخبار مجموعة ص ١٩ ، وابن عذارى ج ٢ ص ٢٣ ، وصاحب ذكر بلاد الاندلس ج ١ ص ١٠٠ ، والدكتور أحمد مختار العبادى « دراسات في تاريخ المغرب والاندلس ص ٣٧ ، والدكتور أحمد بدر في دراسات في تاريخ الاندلس وحضارتها ص ٢٧ ، وكذلك الدكتور محمد زيتون : الفتح الاسلامى للاندلس ص ٣٢٣ .

(١٨٦) أشار بعض المؤرخين الى شهر ذى القعدة كتاريخ لرحيل موسى انظر فجر الاندلس ص ١٠٧ .

(*) نصى ابن الاثير صراحة على نزول موسى في سبتة ، ج ٤ ص ١٢٤ ، فاذا أضفنا الى هذا قول ابن عذارى حين يتحدث عن رحيل موسى من الاندلس ثم مضى حتى وصل الى الخضراء وأمر بالعجل » ج ٢ ص ١٨ أمكننا أن نكون مطمئنين الى أن موسى قد عبر من الخضراء الى سبتة ثم والصل طريقه الى المشرق .

- وصل موسى الى دمشق في أوائل شهر جمادى الاول من عام ٩٦ هـ ،
وسلم الغنائم الى الوليد بن عبد الملك ، الذى توفى فى حدود أواسط
جمادى الآخرة من عام ٩٦ هـ .

ومن المناسب العودة الى مناقشة الاسباب التى أدت الى هذه العودة
لارتباطها ببعض الامور الهامة رغم سبقي للإشارة الى هذه المسألة
فيما مضى من صفحات ، وذلك لخطورة هذه القضية على مصير الفتح
الاسلامى للاندلس عامة ومناطق شماله الغربى خاصة ، ولكونها منعطفا
تاريخيا أساسيا لعب دوره فى أحداث الاندلس التالية بصورة مباشرة
الى درجة جعلت الدكتور بيضون يعرض لهذه المسألة على الوجه
التالى : ولا يستطيع أحد تفسير دوافع الخلافة اذا ما كانت نتيجة اجراء
خاص من الوليد الذى أراد الوقوف مباشرة على انجازاته - أى موسى - فى
الاندلس فى وقت ربما شعر فيه الخليفة باقترب نهايته ؟ أم أن المسألة ابعد من
ذلك ، ولها ارتباط باستراتيجية الدولة التى خشيت من انتشار العرب
فى بلاد بعيدة ؟ وليس ثمة شك فى ان القرار كان فى غير محله ، وأضاع
فرصة التاريخ التى لن تتكرر من أيدي العرب باجتياح القارة
الاوربية (١٨٧) .

ترجع جذور هذا القرار الى المراحل الاولى لفتح الاندلس حين يكتب
موسى بن نصير الى الخليفة الوليد يعرض عليه فكرة فتح الاندلس ، ولم
يكن الامر حينها على خليفة المسلمين ، فما زالت توضيحات المسلمين
الكبيرة من أجل فتح افريقية ماثلة أمام عينيه ، وما زالت الامور فى
افريقية لم تستقر تمام الاستقرار ، وسوف يعبر المسلمون البحر
لاول مرة منذ انطلاقتهم الخالدة من شبه الجزيرة العربية ، ولذلك نراه
يكتب الى موسى « أن خضها بالسرايا حتى تختبر ، ولا تغرر بالمسلمين
فى بحر شديد الاهوال » (١٨٨) ويرد موسى مطمئنا الخليفة « أنه
ليس ببحر وانما هو خليج يصف صفة ما خلفه للناضر » ، ومع ذلك

(١٨٧) ابراهيم بيضون : الدولة العربية ، ص ٨٣ .

(١٨٨) أخبار مجموعة ص ٥ - ٦ .

يرد الخليفة « وان كان ، فاختبره بالسرايا » (١٨٦) .

وتمضى الايام والشهور في الاستعداد والعمل ويعبر طارق الى الاندلس ، ويحرز نصره الخالد على لذريق في معركة شذونة ، ويكتب بالنصر الى موسى بن نصير ، « فكتب موسى الى الوليد بن عبد الملك يعلمه بذلك (١٩٠) ومع أخبار النصر ، تصل المعلومات الاخرى بأن موسى قد رحل الى الاندلس في جيش جرار يزيد على الثمانية عشر ألفا من المسلمين ويثير ذلك كله في نفس الوليد بن عبد الملك بعضا من القلق ، لان في ذلك بعض التناقض الظاهري . ويعبر موسى الى الاندلس ، ويحقق المزيد من الانتصارات ، ويدخل الكثير من المعارك ، ويمضى ما يزيد على العامين منذ بلغ الخليفة خبر الفتح على يد طارق ، فماذا يحدث في الاندلس ؟ وما صحة تلك الاخبار التي تقرأ من هناك ؟ ثم يصل اليه اولاد الملك غبطشة بعهد طارق وتأكيد موسى ، ويقرهم الوليد على ما فعل القائدان (١٩١) ولكن مع ذلك فاننى أميل الى ان صورة ما يحدث في الاندلس لم تكن واضحة المعالم في عاصمة المسلمين وقد يكون ذلك هو أساس الرواية التي ينقلها ابن قتيبة حيث يقول « وذكروا ان الوليد بن عبد الملك لما بلغه خبر سير موسى بن نصير الى الاندلس ، ووصفت له ، ظن أنه يريد أن يخلع ويقيم فيها ، وليمتنع بها ، وقيل له ذلك ، وأبطأت كتب موسى عليه لاشتغاله بما هناك من العدو وتوطيئه لفتح البلاد . فأمر الوليد القاضي أن يدعو على موسى اذا قضى صلاته . وان موسى لما دخل طليطلة بعث على بن رباح بفتحها (١٩٢) ، وأوفد معه وفدا ، فسار حتى قدم دمشق صلاة العصر ، فدخل المسجد فألقى القاضي يدعو على موسى فقال ، أيها الناس ، الله الله في موسى ، والدعاء عليه ، والله ما نزع يدا من طاعة ولا فارق جماعة ، وأنه لفي طاعة أمير المؤمنين (١٩٣) .

(١٨٩) نفس المصدر ص ٦ .

(١٩٠) ابن عبد الحكم : فتوح افريقية والاندلس ، ص ٧٦ .

(١٩١) المقرئ : النفح ج ١ ص ٢٦٥ - ٢٦٧ .

(١٩٢) على بن رباح بصرى تابعى ، ويكنى أبا عبد الله ، وهو لخمى ،

ولد عام اليرموك سنة خمس عشرة . النفح ج ١ ص ٢٧٨ .

(١٩٣) ابن قتيبة : الامامة والسياسة ج ٢ ص ٦٢ .

وليس من المستبعد ان تصل الى الوليد روايات مثل هذه أو غيرها وكذلك روايات أخرى عن طهوحات موسى بن نصير في غزو باقي الامة الاوردية ، وعزمه على ، ان يخترق ما بقي عليه من بلد الفرنجة ويقتحم الارض الكبيرة حتى يتصل بالناس الى الشام مؤملا ان يتخذ بتلك الارض طريقا موصعا يسلكه أهل الاندلس في مسيرهم من المشرق واليه على البر لا يركبون بحرا (١٩٤) وليس من شك ان ذلك كان في مخيلة الوليد بن عبد الملك من مراسلات موسى ، ومن الرسائل المتروكة عليه ، وارتباط ذلك بما لديه من تاويخ صراع المسلمين مع البيزنطيين بحرا وبحرا ، وما قد يتطلبه مثل هذا المشروع الضخم من مدد كبير ، والشقة التي كان على المسلمين ان يتحملوها قبل ان يمضوا في طريق غير مدروس دراسة كاملة . ويتزاحم ذلك كله في مخيلة الوليد بن عبد الملك مع وصف موسى ابن نصير لفتح الاندلس « انها ليست الفتوح ولكنها الحشر (١٩٥) . فاذا اصفنا الى ذلك كله ان الخليفة قد وصلتته بعض الانباء عن خلاف بين طارق وموسى ، واعتدنا - بحذر - على ما يذهب اليه د . مؤنس من أن مغيثا الرومي لم يصور الامر على حقيقته تماما يمكن لنا أن نصل الى تصور ما قد دفع بالوليد بن عبد الملك الى أن يطلب من موسى بن نصير العودة الى دمشق والمثول أمامه شخصيا (١٩٦) يعرض عليه الوضع كما هو ، ويسأله عن حقيقة

(١٩٤) المقرئ : النفج ج ١ ص ٢٧٧ . وانظر كذلك قول ابن قتيبة على لسان موسى حين وقف حنش الصنعاني أمام موسى يمنعه من التقدم : أما والله لو انقادوا الى لفتتهم الى رومية ثم يفتحها الله على يدي ان شاء الله ، ج ٢ ص ٦٦ .

(١٩٥) ابن الشباط : وصف الاندلس ص ١١٦ ، المقرئ : نفح الطيب ج ١ ص ٢٨٥ .

(١٩٦) يؤيد ذلك المؤرخ الاسباني لويس سواريث فرناندويث ويقول : بأن الخليفة قد أمر بالعودة الى دمشق لكي يقدم تقريرا عن الاعمال العسكرية ، ولكن القائد قبل عودته قد قرر افتتاح شمال اسبانيا حتى وصل الى مدينة لك Lugo واستسلمت لهما كل هذه المناطق ، وهنا ألحقت عليهما أوامر الخليفة بالعودة ، وكان على الفاتحين أن يطيعا الاوامر « انظر تاريخ اسبانيا في العصور الوسطى ، المشار اليه ، ص ١١ - ١٢ .

ما يجرى هناك . ولم يغيب ذلك عن فطنة موسى بن نصير ، فقد أدرك أن الخليفة غير مطمئن تماما على مجرى الامور في الاندلس ، ولهذا لم يستجب للنداء مباشرة ، بل اراد ان يعود وصورة الفتح أكثر وضوحا والاستقرار ، فطلب من مغيث الرومي أن يتريث حتى يستكملا فتح شمال الاندلس ، ولم يعترض مغيث على ذلك - وفي هذا دليل واضح على أن الدعوة الى دمشق كانت لتوضيح موقف المسلمين في الاندلس - وبظل مغيث مع موسى يستكملان فتح الشمال الأندلسي ، وتصل الخليفة مرة أخرى أخبار موسى وعزمه على الاستمرار في الفتح ، فيشتد قلقه بمكان المسلمين من دار الحرب ، ورأى أن ما هم به موسى غر بالمسلمين ، فأرسل له رسولا ثانيًا كنيته أبو نصر مع رسالة شديدة اللهجة مليئة بالتوبيخ والانصراف ، وأمر سفيره أن يرجع بالمسلمين ان لم يرجع موسى ، وكتب له بذلك عهده (١٩٧) .

ويرى موسى في لهجة الخليفة وخطابه تغيرا ، في الوقت الذي أصبح فيه مطمئنا على رسوخ أقدام المسلمين في الاندلس ، فيقرر العودة ويأخذ بعد ذلك طريقه الى دمشق .

تتبقى نقطة هامة وهامة للتساؤل في هذا الموضوع : لماذا عاد طارق بن زياد مع موسى بن نصير الى الشام ، ولم يبق بالاندلس ؟

يذهب بعض المؤرخين الاسبان الى المبالغة الشديدة في تصوير الخلاف بين موسى وطارق الى درجة القول « بالحرب الاهلية بين كل منهما بغية حفاظهما على مكانتهما مما دعا الخليفة الى اخراجهما من الاندلس وأمرهما بالعودة والمثول امامه وتقديم الحساب هناك (١٩٨) كما يروي الدكتور حسين هؤنس عند تعليقه على ما قيل من خلاف بين موسى وطارق :

وطارق ، بأن مغيثا الرومي هو الذي نقل شكوى طارق الى الوليد بن عبد الملك ، وأن الخليفة قد كتب يهدد موسى ، ويدعوه للمثول بين يديه

(١٩٧) انظر ابن خلدون . تاريخ ج ١ ص ١١٧ - ١١٨ ، المرقى ج ١

ص ٢٣٤ .

(١٩٨) وانظر شكيب أرسلان : تاريخ غزوات العرب ص ٥٦ .

Villa-Real : Op. cit., pp. 163-166.

فخاف موسى وأطلق طارقا ، ثم يلبث ان عاد ليؤدي عند الخليفة
حسابا عسيرا على ما فعل (١٩٩) .

وفي صفحة اخرى يتحدث عن عودة مغيث من دمشق « ومعه أمر
لموسى وطارق بأن يشخصا الى دمشق ، وأحس موسى بما وراء هذه
الدعوة وعرف أن مغيثا مولى عبد الملك بن مروان لابد وأن يكون قد
تقول عليه شيئا ... (٢٠٠) » .

ان معظم الروايات التاريخية الاندلسية وغيرها لا تتحدث الا عن
دعوة الوليد لموسى بن نصير وحده بالعودة الى دمشق دون أن تنص
على عودة طارق معه ، باستثناء نص لابن القوطية يقول « ثم
أتاهما عهد الوليد بن عبد الملك بالانصراف ، فانصرفا وقد دار الخلاف
بينهما (٢٠١) » ومن تلك الروايات نقبين أن موسى بن نصير خلال
عودته من شمال اسبانيا وافاء طارق في الطريق منصرفا من الثغر الاعلى
فأقفل مع نفسه ومضييا جميعا ومعهما من الناس من اختار
القفل (٢٠٢) بينما يقول ابن الكردبوس : « ثم جاز البحر ،
وأجاز معه طارق » (٢٠٣) .

ويمكننا ارجاع عودة طارق الى احتمالين : اما الاخذ برواية ابن
القوطية القائلة بأن الخليفة الوليد قد طلب من القائدين العودة معا الى
دمشق ، أو ان عودة طارق الى الشرق كانت بناء على رغبته ويحملنى على
هذا الرأي رواية الرازى « أن الذى ازعج موسى عن الاندلس ، أبو نصر رسول
الوليد ، فقبض على عنانه ، وثناه قافلا ، وقفل معه من أحب الى
المشرق (٢٠٤) » .

(١٩٩) حسين مؤنس . فجر الاندلس ص ٦٨ . اعتمادا على رواية
لابن عبد الحكم التى يفندهما د . حسين مؤنس ، ويأخذ بقول ابن حيان
في ان الخلاف كان بسيطا بين الرجلين .

(٢٠٠) حسين مؤنس : نفس المصدر ص ١٠٦ .

(٢٠١) ابن القوطية : افتتاح الاندلس ، ص ٣٦ .

(٢٠٢) المقرئ : النفع ج ١ ص ٢٧٦ .

(٢٠٣) ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ص ٥٠ .

(٢٠٤) المقرئ : نفع الطيب ج ١ ص ٢٨٠ .

ولعل ابن زياد الذى لم يسبق له زيارة الشرق ، قد رأى الفرصة سانحة لرؤية الخليفة ، ورؤية عاصمة المسلمين ، كما ان عودته مع موسى كانت تنتيج له قطف بعض ثمار جهاده الطيب بالاشتراك في موكب العودة والنصر .

موكب النصر :

من الظواهر النادرة في تاريخ الفتوحات الاسلامية ، وترتبط بتاريخ الفتح الاسلامي لاندلس ، موكب عودة موسى بن نصير وطارق بن زياد الى الشرق ، وهو موكب فخم مهيب يتفق في الاسهاب في وصف مظاهر عظمتة جلة المؤرخين وان اختلفوا في بعض التفاصيل مثل عدد العجل الذى يحمل الغنائم أو عدد الاسرى الذين تادهم موسى الى المشرق . ويصف ابن قتيبة هذا الموكب في العبارات التالية « وذكروا ان يزيد مولى مسلم مولى موسى ، اخبرهم أنه لما جاز موسى الحصن أمرهم بصناعة العجل ، فعملت له ثلاثون ومئة عجلة ، ثم حمل عليها الذهب والفضة والجواهر ، وأصناف الوشى الاندلسي ، حتى أتى افريقية وأخرج معه ابنه مروان بن موسى وعبد الاعلى بن موسى وعبد الملك بن موسى وأخرج معه مئة رجل من اشراف الناس ، من قریش ومن الانصار وسائر العرب ومواليها ، ومنهم عياض بن عقبة ، وعبد الجبار بن ابي سلمة بن عبد الرحمن عوف ، والمغيرة بن ابي بريدة ، وزرعة بن ابي مدرك ، وسليمان بن نجدة ، ووجوه من الناس وأخرج معه من وجوه البربر مئة رجل منهم بنوكسيطة ، وبنو قصدر وبنو ملوك البربر ، وملك السوس ، ومزدانة ملك قلعة أرساف ، وملك ميورقة ، وأخرج بعشرين ملكا من ملوك جزائر الروم ، وأخرج معه مئة من ملوك الاندلس ، ومن الافرنجيين ومن القرطبيين وغيرهم . وأخرج معه أيضا بأصناف ما في كل بلد من بزها ، ودوابها ، ورقيقها ، وطرائفها ما لا يحصى فاقبل يجر الدنيا وراءه جرا لم يسمع بمثله ولا بمثل ما قدم به (٢٠٥) .

وتأتى عبارات ابن الكردبوس أكثر تواضعا فيقول : وقصد دمشق - أى موسى - حيث أمير المؤمنين الوليد ، وحمل جميع ما جلبه

من الاندلس ، وذلك ثلاثون عجلة مؤجرة ذهباً وفضة ، ومن الاعلاق النفيسة من الياقوت والدر والزبرجد ، والذخائر الرفيعة من الملابس ، ومائة ألف من سبى الرجال والنساء والصبيان ، منهم أربعمائة رجل من ملوك العجم متوجين (٢٠٦) .

ويصل موكب النصر الى مصر ، حيث أقام ثلاثة أيام « تأتيه أهل مصر في كل يوم ، فلم يبق شريف الا وقد أوصل اليه موسى صلة ومعروفاً كثيراً ، وأهدى لولد عبد العزيز بن مروان فأكثر لهم ، وجاءهم بنفسه فسلم عليهم ، ثم سار حتى أتى فلسطين ، فتلقاه آل روح ابن زنباع فنزل بهم فبلغني انهم نحروا خمسين جزورا ، وأقام عندهم يومين ، وخلف بعض أهله وصغار ولده عندهم ، وأجاز آل مروان ، وآل روح بن زنباع بجوائز من الوصائف ، وغير ذلك من الطرف (٢٠٧) .

« لقد كان ركب موسى في عودته ركب قائد مظفر أوسع الله عليه في الخير والغنائم ، فكان لا يلتقى أحدا الا اعطاه شيئا ، ولسنا تعلم على وجه التحقيق من أى مال كان يعطى لكن السدى نعلمه أن أحدا من الفاتحين المسلمين لم يبلغ هذا المبلغ من السخاء وكثرة الهبات (٢٠٨)

وفي الطريق - وعند اقترابه من دمشق - كانت أخبار وصوله قد سبقت الى دمشق ، والوليد على فراش الموت وافت موسى بن نصير رسالتان ، احدهما من الوليد تستدثه على السير والاسراع بالوصول والاخرى من ولى عهده سليمان بن عبد الملك تطلب منه الابطاء والتثبـط في مسيره والايـعـجـل فلما أتى موسى كتاب سليمان قال : « خنت والله وغدرت وما وفيت ، والله لا تربصت ولا تأخرت ولا تعجلت ولكنى أسير بمسيرى ، فان وافيقه حيا لم أتخلف عنه ، وان عجلت منيته فأمره الى الله » (٢٠٩) .

(٢٠٦) ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص ٥٠ .

(٢٠٧) ابن قتيبة ، ج ٢ ص ٦٨ .

(٢٠٨) حسين مؤنس . فجر الاندلس ص ١٠٧ .

(٢٠٩) ابن قتيبة ، ج ٢ ص ٦٩ .

ويصل الموكب الى دمشق ، فيذهل الناس بما فيه من الخيرات والمغانم بل يجمع المؤرخون على ان أحدا من الفاتحين المسلمين لم يعد بغنائم تشبه - بعد فتح فارس - غنائم موسى (٢١٠) .

والرب ضارة نافعة :

ليس من شك أن الكتابة التاريخية لا يمكن ان تعتمد على « لو » لكن المؤكد ان صورة التاريخ الاسلامي في الاندلس واوربا كانت ستكون شيئا آخر « لو » قدر الله للتائدين موسى وطارق أو أحدهما البقاء في الاندلس ، واذا كان لنا ان نحبس في صدورنا رنة أسف أو أسى على قرار اعادتهما - رغم كل التبريرات التاريخية المقنعة - فان ذلك يذهب ويحل محله شعور بالرضى للتأثير الايجابي الذى لعبه هذا الموكب الظافر في مجريات تاريخ الاندلس . ففي الوقت الذى يرى بعض المؤرخين في هذا الموكب سابقة في تاريخ الفتوح الاسلامية ، انفرد فيها موسى باعطاء انتصاراته في افريقيا واسبانيا هذا الصدى الكبير من الدعاية ، الامر الذى ينسجم مع نزغته الارستقراطية وميله الى مظاهر الفخامة « (٢١١) أرى في ذلك الموكب الخالد وما صاحبه من مظاهر الاجلال والتبجيل والترحيب مظهرا من مظاهر مكافأة الله سبحانه وتعالى للمجاهدين المخلصين في سبيل الله والاسلام .

نقطة اخرى ايجابية وهامة لهذا الموكب الضخم ، يمكن ان تفسر لنا احدى النقاط الغامضة في التاريخ الاندلسي ، وهى كثرة العنصر العربى المسلم في الاندلس ، بصورة تفوق كثيرا الاعداد التى حفظتها لنا المدونات التاريخية عند حديثها عن الجماعات العربية المسلمة التى دخلت الاندلس ، وعرفت في التاريخ باسم « الطوالع » وهى ثلاث رئيسية طالعة موسى بن نصير وطالعة الحر بن يوسف الثقفى وهى قليلة العدد وطالعة بلج القشيري وهى فى جميعها لا تصل الى اكثر من ثلاثين ألفا من العرب ، « ولكننا لا نكاد نمضى فى استقصاء أخبار الاندلس حتى نجد يموج بالعرب موجا . نجد جماعات عربية ضخمة فى نواحي

(٢١٠) حسين مؤنس ، فجر الاندلس ص ١٠٨ .

(٢١١) ابراهيم بيضون . الكتاب المشار اليه ص ٨٥ .

قرطبة واشبيلية والجزيرة الخضراء وتدمير وسرقسطة ، غير جاليات أخرى صغيرة في كل ناحية تقريبا (٢١٢) .

ويقتسمائل الدكتور مؤنس : فمن اين اتى هؤلاء العرب ؟ وكيف بلغ من كثرتهم أنهم احتلوا معظم سهول البلاد حتى لم يبقى للبربر غير القليل منها ، وسهول الاندلس واسعة لا يملؤها الا مئات الآلاف ، ويفسر ذلك بافتراض وجود تيار من المهاجرين العرب الى الاندلس (٢١٣)

واضيف الى رأى استاذى أن هذا التيار الذى بدأ مع أخبار انتصارات طارق بن زياد ، قد ازداد حجمه ، وارتفع موجه نتيجة ذلك الموكب الكبير الذى اخترق تلك المسافات الشاسعة من المحيط الاطلسي الى بلاد الشام مارا بمصر وفلسطين ومعظم المدن الشامية حتى دمشق وكان ما رآه الناس من الخيرات والغنائم خير دليل على ثراء هذه المناطق وكثرة الرزاقها فهاجروا الى هناك ليضعوا الاساس المتين لبناء دولة اسلامية استمرت ثمانية قرون كاملة .

موسى وطارق في دمشق :

دخل موسى بن نصير وموكبه مدينة دمشق في أوائل جمادى الاول عام ٩٦ هـ ، واستعدت المدينة لاستقباله ، ويصف ابن قتيبة دخول الموكب ولقائه مع الخليفة الوليد بن عبد الملك فيقول : « وذكروا أن موسى لما قدم على الوليد ، وذلك يوم الجمعة ، في حين جلوس الوليد على المنبر وكان موسى قد قال لبعض من وفد معه بأن يلبس كل رجل من الاسرى تاجا ، وثياب ملك ذلك التاج ، ثم يدخلوا معه المسجد . قال : فالبس ثلاثين رجلا ثلاثين تاجا ، وهياهم هيئة الملوك ، وأمر بأبناء ملوك البربر فهيئوا ، وأمر بأبناء ملوك الجزائر والروم فهيئوا كذلك ، ولبسوا التيجان وأمر بأبناء ملوك الاشبان فهيئوا بمثل ذلك ، وأمر بالاموال والجواهر واللؤلؤ والياقوت والزبرجد

(٢١٢) حسين مؤنس : فجر الاندلس ص ١٢٦ ، وانظر ايضا الصفحات ٣٥٥ وما بعدها .
(٢١٣) نفس المصدر والصفحة .

والجزع والوطاء والكساء المنسوج بالذهب والفضة المحرّش باللؤلؤ والياقوت والزبرجد ، فوقف الجميع بباب الوليد ، وأبناء ملوك الفرنجة ، وأقبل موسى بالذين ألبسهم التيجان حتى دخل مسجد دمشق ، والوليد على المنبر ، يحمد الله وهو موهون - أى ضعيف - قد أثرت فيه العلة ، وأنهكه المرض ، وإنما كان متحملاً لاجل قدوم موسى ومن معه . فلما رأهم بهت اليهم ، وقال الناس : موسى ؟ موسى ؟ ثم أقبل حتى سلم على الوليد ، ووقف الثلاثون بالتيجان عن يمين المنبر وشماله . ثم أن الوليد أخذ في حمد الله والثناء عليه والشكر لما أيدّه الله ونصره ، فتكلم بكلام لم يسمع بمثله ، وأطال حتى فات وقت الجمعة ، ثم صلى بالناس فلما فرغ جلس ، ثم دعا بموسى فصب عليه الوليد الخلع ثلاث مرات ، وأجازه بخمسين ألف دينار ، وفرض لولده جميعاً الشرف ، وفرض لخمسة مئة من مواليه ، ثم أدخل عليه رعوس أهل البلاد ممن كان معه من قریش والعرب ، فأحسن جوائزهم وفرض لهم من الشرف ، ثم أقام موسى عند الوليد أربعين يوماً . ثم إن الوليد هلك (٢١٤) . تولى سليمان بن عبد الملك بعهد من أخيه الوليد في جمادى الآخرة سنة ست وتسعين من الهجرة ، وكان مولده في سنة ستين من الهجرة (٢١٥) . ويصفه السيوطي بأنه كان فصيحاً مفوهاً ، مؤثراً للعدل محباً للغزو . وأن من محاسنه أن عمر بن عبد العزيز كان له كالوزير ، وكان يمثل أوامره في الخير (٢١٦)

ومع ذلك فإن المصادر التاريخية تتحدث عن المعاملة القاسية التي لقيها موسى بن نصير على يديه إلى درجة القول بأنه « حقد عليه وأهانته ، وأمر بإقامته في الشمس حتى كاد يهلك ، وأغرّمه

(٢١٤) ابن قتيبة : الامامة والسياسة ج ٢ ص ٧٤ - ٧٥ .

(٢١٥) المسعودي : مروج الذهب ج ٣ ص ١٨٣ .

السيوطي : تاريخ الخلفاء ص ٢١٠ ، دار الفكر ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م ، ولكن ابن ماجه يجعل توليته في النصف الاول من ربيع الاول أو الآخر من سنة ٩٦ هـ - انظر تاريخ الخلفاء ص ٣١ ، تحقيق محمد مطيع حافظ الطبعة الاولى ، بيروت ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م .

أموالا كثيرة ودس الى اهل الاندلس بقتل ابنه الذى استخلفه على
الاندلس (٢١٧) . وترجع الروايات ذلك الى ابن سليمان كان يود أن يقرئ
موسى بن نصير في عودته الى الشام حتى يموت الوليد ، ومن ثم يدخل
على سليمان في أول ولايته بما حمل من غنائم الاندلس ، فيكون ذلك
بشارة طيبة . وأن رفض موسى لطلب سليمان قد أحقد عليه سليمان
وأحقه ، ودفعه للايقاع به .

جانب آخر ترجع اليه المصادر التاريخية سبب غضب سليمان
على موسى ويتمثل في قيام مغيث الروم وطارق بن زياد بشكواه
الى الخليفة واتهامه بالاسراف في توزيع الغنائم على الناس والتي هي
من حق بيت مال المسلمين . كما اتهمها موسى حين نسب الى نفسه
الاستيلاء على مائدة سليمان (٢١٨) .

ويقف النقد التاريخي الحديث موقفا حذرا أمام تلك الروايات
المسرعة التي سجلها المؤرخون القدامى ، والتي سجلوها كما سمعوها
بصرف النظر عما بها من مبالغة أو من مناقضة للتفكير العقلي
المتأنى ورحم الله المقرئ حين يقول : وأياك والاعتذار بما هو غير
مقبول في كتب كثير من المؤرخين بالشرق والاندلس (*) ومن هنا فإن
غالبية المؤرخين المعاصرين يلتقون بظلال من الشك على تلك الروايات

(٤١) المقرئ : النفح ج ١ ص ٢٨١ . هذا ولقد تباينت أقوال
المصادر في هذا الشأن . يقول ابن القوطية : فلما صار الامر الى
سليمان حبس موسى بن نصير وأغرمه وعهد الى خمسة من وجوه العرب
بالاندلس بقتل ابنه عبد العزيز ، ص ٣٦ . أما ابن الكردبوس فيقول
وسطا عليه سليمان ، وطالبه بمائتي ألف دينار ص ٥١ . ويقول ابن
عذارى بأن سليمان أرسل الى موسى وعنفه بلسانه « والله لأفلن غريبك
ولأفرقن جمعك ، ولأصغرن من قدرك فأمر به سليمان فوقف
في يوم صائف شديد الحر ، وكان موسى رجلا بدنا ، ضخما ذا نسمة
فوقف حتى سقط مغشيا عليه ٦ ج ٢ ص ٢٠ .
(٢١٨) مثال هذه الروايات وافرة في معظم المصادر التاريخية المشار
اليها .

(*) المقرئ : نفح الطيب ج ٣ ص ١٢ .

على أساس أن من المستبعد « أن يعاقب الخليفة سليمان بن عبد الملك تابعيا جليلا كموسى بن نصير ، أسس ملكا من عدمه ، وقضى سنى حياته مجاهدا في سبيل الله ، مجرد قالة أو وشاية في حقه (٢١٩) .
« ان التحرى الدقيق لروايات المؤرخين يجعلنا لا نطمئن الى هذه الدعاوى التى تلتصق بالخلفاء الامويين في عقاب قادتهم وفي محاسبتهم وانما مما يدل على عدم صحة هذه المحاسبات والمخاضات هو التردد من المؤرخين في رواياتهم بين قدوم موسى على سليمان مرة ، وعلى الوليد مرة اخرى ، وبين الرضا عنه مرة والنسخط عليه مرة اخرى كل هذا يدل على الاختراع والتزديد في الروايات مما يشوه معه جلال تاريخنا الاسلامى (٢٢٠) .

ومن المهم هنا ان ننوه بأن تاريخنا الاسلامى اعظم واجل من أن يشوه اذا ما ذكرت في صفحاته امثال تلك الحوادث التى ان صحت فهي لا تعدوا نوازع بشرية بما في النفس البشرية من نقص أو خطا يغفره الله تعالى أو يحاسب عليه ، وفي تاريخنا الاسلامى امثلة ناصعة من التضحية والفداء ، والمواقف الانسانية الفذة والفريدة ، ولا يمكن أبدا ان يضار هذا التاريخ بموقف أو أكثر لا يرتفع الى مستوى المسؤولية ومن هنا يجب ان ننتبه الى الخطأ الذى قد نقع فيه حين نلقى بالشك كثيرا على مصادر تاريخنا الاسلامى دون ان تكون لدينا الادلة الواضحة والمؤكدة التى تثبت هذا الشك ، ولقد كان سلفنا رحمهم الله أكثر ادراكا في تسجيلهم لما وصل اليهم من معلومات أو حقائق ، سلبية كانت أم ايجابية ، وختموا عباراتهم باستمرار بكلمة « والله أعلم » ، لانه هو وحده الذى يلم بالحقيقة كما هي ، وتركوا للأجيال باستمرار الحكم على صحة الحدث من عدمه ، وبذلك تواصل

(٢١٩) عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين ص ١٠٧ ، وعبد الرحمن الحجى التاريخ ص ١٢٦ وما بعدها .

(٢٢٠) محمد محمد زيتون : تحليل لما يذكره المؤرخون عن موسى أبى نصير مقال سبق الاشارة اليها ص ٣٦٦ - ٣٦٨ - وانظر كذلك د . عبد الرحمن الحجى في كتابه المشار اليه الصفحات من ١٢٦ وما بعدها .

(م ١٢ - الفتح الاسلامى للاندلس)

البحث التاريخي واستمر الى يومنا هذا . والخطورة كل الخطورة تتمثل في عدم تسجيل التاريخ كما حدث ومحاولة تميع الحقائق أو تفسيرها تفسيراً غير واقعي لمجرد الظن بأن ذلك قد يرضى ما في نفوسنا من محبة لسلفنا ، لاننا في هذه الحالة لن نكون أمناء على تاريخنا ، ولا يعني هذا قولنا بالآخذ بكل ما سطرته مصادر التاريخ دون مناقشة أو اعمال الفكر والذهن للوصول الى الحقيقة لان في ذلك مخالفة لآبسط قواعد منهج البحث التاريخي ، وانما يجب علينا أن نتعرض للحقيقة مهما كان ايلامها لمشاعرنا ، ومخالفتها لآمالنا وطموحاتنا ، وفي ذلك أيضاً فائدة لا بأس بها ، اذا ما تعلمنا الخطأ من دروس التاريخ ، ثم عملنا على علاجه وتقديسه ، وفي هذا ربح عظيم ، وباليقين نتعلم التاريخ ونستوعبه بما لنا فيه وما علينا .

ونعود الى مناقشة ما أوردته المصادر التاريخية عن ما حدث بين الخليفة سليمان بن عبد الملك وموسى بن نصير قائد فتح الاندلس . لنجد أن الروايات التاريخية تتباين الى درجة كبيرة في سردها لما حدث بين الرجلين ، كما انها تناقض بعضها البعض في أحيان أخرى ، وهذا كفيلاً بأن لا يجعلنا نقبل هذه الروايات على علاقتها ، ومن ناحية أخرى فليس في إمكاننا أن نصل الى حد الإنكار لهذه الروايات إنكاراً تاماً لاجماع كل المصادر التاريخية على حدوث شيء ما بين الرجلين ومن هنا كان علينا أن نتلمس هذا الشيء ودوافعه بعيداً عن قصة الغنائم أو اتهام موسى بالغلول فيما أفاء الله عليه ، ومن الممكن أن نقول برأي بعض المؤرخين بأنه من المحتمل « أن يكون سليمان قد حاسب موسى على تصرفه في بعض الغنائم خلال سيره من الاندلس الى دمشق - لا لاستحوازه على شيء منها - بل لانه اعطى منها في الطريق لمن التقى به . وقد يكون قد وضع عليه غرامة مالية أو الغاها عنه . لان بطولة موسى وخدمته للإسلام وجهاده فيه - أن صح ما قيل - لا يبيح له التصرف في أموال المسلمين (٢٢١) .

تبرير آخر لدوافع سليمان ضد موسى يتعلق بمسألة ولاية العهد لان الوليد بن عبد الملك أراد عزل اخيه سليمان عن ولاية العهد وتولية ابنه عبد العزيز ودعا الناس الى ذلك فلم يجبه الا الحجاج بن يوسف وقتيبة بن مسلم وخواص من الناس ، فأشار على الوليد بعض خاصته أن يستقدم سليمان ، ويريده على خلع نفسه وببيعة عبد العزيز فكتب اليه فاعتل ، فأراد الوليد أن يسير اليه ، فأمر الناس بالتأهب ، ولكن منيته حالت دون ذلك ، ومن هنا كان الجفاء الشديد بين سليمان والحجاج ومن على رأيه (١٢٢) ومع انه ليس لدينا أى نص يشير الى أن موسى بن نصير قد عبر عن رأيه في هذه القضية ، الا انه لا يستبعد ان تستغل هذه المسألة من قبل بعض حاسديه (٢٢٣) .

جانب آخر حاولت البحث في ثناياه لتفسير هذه المسألة وهو موقف الخليفة سليمان من العربية القيسية أو اليمنية . ولقد جاء سليمان الى الخلافة ولديه فناعة تامة بأن أخاه الوليد قد تأمر ضده لابعاده عن ولاية العهد ، وكان بطل التأييد لهذه المسألة الحجاج بن يوسف الثقفي حاكم المشرق الاسلامي وابرز شخصيات الحزب القيسي في ذلك الحين . ولذلك وقف موقفا مغائرا من زعماء القيسية ، الا اننا نجد موسى بن نصير يمينيا من قبيلة لخم ، أو على الاقل من مواليها (٢٢٤) مما يدل على عدم وجود علاقة لذلك بموقف سليمان من موسى .

من هذا نتبين وجود عدة عوامل قد يكون أحدها ، أو جميعا قد تضافرت لتغيير قلب الخليفة سليمان بن عبد الملك على موسى بن نصير ونضيف اليها

-
- (٢٢٢) الشيخ محمد الخضرى : تاريخ الامم الاسلامية ج ٢ ص ١٧٦ .
وانظر المسعودى ج ٣ ص ١٧٣ فى بعض الاشارات الى امنية سليمان وفاة أخيه الوليد . وحسن ابراهيم حسن : التاريخ الاسلامى فى موقف سليمان من ولاية الوليد ج ١ ص ٣٢٣ - ٣٢٤ .
(٢٢٣) انظر فى ذلك ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ج ٤ ص ١٣٨ ، ومحمد الخضرى : محاضرات فى تاريخ الامم الاسلامية ج ٢ ص ١١٧ وما بعدها .
(٢٢٤) ابن الفرضى : تاريخ علماء الاندلس ، القسم الثانى ص ١٤٦ .
ابن خلكان وفيات الاعيان ج ٥ ص ٣٨ . ابن الاثير : اللباب فى تهذيب الانساب ج ٣ ص ١٣٠ ، والزركلى الاعلام ج ٧ ص ٣٣٠ ، وابراهيم بيضون : الدولة العربية ص ٨٥ .

سببا آخر يشير اليه المقرئ حين يترجم لحياة موسى فيقول : وكان قد جمع رحمه الله من خلال الخير ما أعانه الله سبحانه وتعالى به على ما بنى له من المجد المشيد ، والذكر الشهيد المخلد ، الذي لا يباليه الليل والنهار ولا يعنى جديده بلى الاعصار ، الا انه كان يغلب عليه ما لا يكاد رئيس يسلم منه ، وهو الحقد والحسد والمنافسة التي لا تخلو من ذلك (٢٢٥) .

من هنا نكتين سوء العلاقة بين سليمان وموسى ، على الاقل في بداية حكم الخليفة سليمان ، ثم تدخل يزيد بن المهلب ، وهو صديق لكلا الرجلين ، فضمن موسى فيما وقع عليه من غرامة مالية ، وتضافر مع قبيلته في سداد ما أغرمه به الخليفة (٢٢٦) ثم بدأت العلاقات في التحسن وأصبح موسى ممن يجالس الخليفة سليمان باستمرار ، ويستشيريه سليمان في بعض الامور الهامة (٢٢٧) كما تحتفظ لنا المصادر بالكثير من المساجلات التي دارت بين الخليفة وموسى ، والتي سادها جو من الود والوفاق بين الرجلين (٢٢٨) وتبين سليمان انه قد اسرف في أمر موسى وخاصة بعد مقتل عبد العزيز بن موسى ، فاهدر عنه عصبية القضية التي كان سليمان قد قاضاه عليها ، وكان سليمان قد آل قبل خلافته لئن ظفر بالحجاج بن يوسف وموسى بن نصير ليعزلنهما ، ثم لا يلبثان معه من

(٢٢٥) المقرئ : نفح الطيب ج ١ ص ٢٨٦ . ومن هنا لا نعجب مما أورده ابن قتيبة في السياسة والامامة بأنه لما استخلف سليمان بعد أخيه الوليد فكان أحنق الناس على الحجاج وموسى بن نصير ، وكان يحلف لئن ظفر بهما ليصلبهما ، وكان حنقه عليهما لآمر يطول ذكره . ج ٢ ص ٧٥ .

(٢٢٦) ابن الاثير : الكامل ج ٤ ص ١٢٤ .

(٢٢٧) انظر ما أورده الخجعي ص ١٢٧ من استشارة سليمان لموسى ومسلمة بن عبد الملك في أمر فتح مدينة القسطنطينية . ويرى الدكتور السيد عبد العزيز سالم أن عمر بن عبد العزيز قد توسط لدى سليمان بن عبد الملك حتى عفى عن موسى بن نصير . انظر تاريخ المسلمين ص ١٠٧ .

(٢٢٨) تحفل المصادر التاريخية عن اخبار تلك المسامرات بين موسى وسليمان بن عبد الملك ومنها سؤال سليمان لموسى عن الشعوب التي قاتلها وعن الغنائم التي حازها وعن هلال رمضان وعن اولاده الذين استخلفهم بالمغرب والاندلس وغير ذلك . انظر ابن قتيبة : الامامة ج ٢ ص ٨١ ، وما بعدها وابن عذاري : البيان المغرب ج ٢ ص ١٩ وما بعدها . وابن سماء المعالي : الزهرات المنثورة ص ٧٦ - ٧٧ . وغير ذلك من الكتب التاريخية .

الناس شيئا ، فلما رضى عن موسى جعل يقول : ما ندمت على شيء ندامتي ان لو كنت خلوا من اليمين على موسى في ان لا اوليه شيئا ، ما مثل موسى استغنى عنه (٢٢٩) .

ويواصل ابن قتيبة القول : ما زال موسى بباب سليمان عظيم المنزلة عنده ، فلما كان سنة ثمان وتسعين تجهز سليمان للحج ، وأمر موسى بالشخص معه ، فذكر له انه ضعيف ، فأمر له سليمان بثلاثين نجيبا موقورة جهازا ، وبجيرة من حجره وجائزة ، فحج سليمان وحج موسى معه قال فحدثني بعض أهل المدينة ان موسى قال يوما لبعض من يثق فيهم : ليموتن الى يومين رجل قد بلغ ذكره المشرق والمغرب فلم نطن الا انه يعنى الخليفة ، فلما كان اليوم الثاني ، لم اشعر وأنا في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم - حتى سمعت الناس يقولون : مات موسى بن نصير ، فاذا هو ، وصلى سليمان عليه ودفن ، رحمه الله (٢٣٠) .

وهكذا مضى واحد من كبار المجاهدين المسلمين بعد ان رفع راية الاسلام على الجزاء واسعة من الارض في المغرب والاندلس ، ولقد كرمه الله بجعل خاتمة حياته في اراضيه المقدسة ، نفس الارض التي تحوى رفات رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفي هذا مكافأة أخرى من الله سبحانه وتعالى لمن احسنوا عملا والله عنده خير الثواب (٢٣١)

وماذا عن طارق بن زياد ؟

أما المصير الذى اطبقت عليه صفحات التاريخ ، ولم تنيس عينت شفة عنه فهو مصير القائد الفذ طارق بن زياد ، ومن عجب ان تجمع كل المصادر

(٢٢٩) ابن قتيبة ، ج ٢ ص ٨١ .

(٢٣٠) ابن قتيبة ج ٢ ص ٨٤ - ٨٥ ابن عماد الحنبلى : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ج ١ ص ١١٢ . واختلفت في تاريخ الوفاة فجعله ابن بشكوال عام ٩٧ ، والحميرى في سنة سبع أو تسع وتسعين ص ٣٣٨ . وجعله الضبى عام ٩٧ هـ ص ٤٥٨ .

(٢٣١) لا أجد خيرا من كلمات ابن العماد عن موسى حيث يقول : الامير الذى افتتح الاندلس وأكثر المغرب ، ولم يهزم له جيش قط ، وكان من رجال العلم حزما ورأيا وهمة ونבלا وشجاعة واقداما . (شذرات الذهب ج ١ ص ١٢٢)

التاريخية قديمها وحديثها على ذلك الصمت الرهيب ، وعجزت جميع الدراسات عن ان تلقى ضوءا ولو بسيطا عن نهاية هذا الرجل الذى يستحق كل تكريم وتبجيل .

ولم تخرج دراساتي وبحثى عن ذلك كثيرا ، ولم أجد له ذكرا الا فى اربع ملحوظات قليلة وذلك بعد عودته الى المشرق مع موسى وهى :

أولا : شكواه الى الخليفة الوليد ، بأنه هو الذى حاز مائدة سليمان وأن موسى قد ادعى ذلك لنفسه ، وكان ذلك من الاسباب التى أخذت على موسى كما سبق أن تبينا (٢٣٢) .

ثانيا : ورد اسمه فى القضية التى قامت بين الخليفة سليمان بن عبد الملك وموسى بن نصير حيث طالب به وبماله موسى بن نصير ورفض سليمان ذلك (٢٣٣) .

ثالثا : ان الخليفة سليمان بن عبد الملك قد رغب فى ان يعهد اليه بولاية الاندلس ، ويعيده اليها ، واستشار فى ذلك مغيث الرومى الذى بالغ فى ثنائه على طارق مما كان له اثر سلبي على قرار الخليفة فغدل عن تولية طارق الاندلس ، ولا نحرى اذا كان ذلك أثناء ولاية عبد العزيز بن موسى على الاندلس أم كازر بعد مقتله فى سنة ٩٧ هـ ؟ (٢٣٤) .

(٢٣٢) انظر فى ذلك المقرئ : نفح الطيب ج ١ ص ٢٨٠ وغير ذلك من المصادر المشار اليها .

(٢٣٣) حين يتحدث ابن قتيبة عن هذه القضية فانه يورد اربعة مطالب لموسى بن نصير هى : الا تعزل عبد الله بن موسى عن افريقية لمدة سنتين ، وان كل ما جاء به عبد الله وعبد العزيز فهو لى فيما قاضيت عليه أمير المؤمنين وان تدفع الى طارقا مولاي ، وأكونا املا به عينا وبماله . فقال سليمان أما ما سألت من اقرار عبد الله وعبد العزيز فذلك لك ، وأما ما سألت من دفع طارق اليك فذلك املا عينا به وبماله فليس هذا جزءا أهل النصيحة لأمير المؤمنين فليست بفاعل ، ولا مذل بينك وبين عقوبته ، ولا آخذ ماله . ففاضاه موسى على مال ، فأحلته فى تلك ، وخلق سبيله . ج ٢ ص ٧٧ .

(٢٣٤) انظر المقرئ ج ٣ ص ١٣ حيث يقول : « ان سليمان بن عبد الملك لما أصغى الى طارق فى شأن سيده موسى بن نصير فعذبه واستصفى أمواله أراد =

ويشير الدكتور مؤنس الى رغبة مغيث في ان يتولى هو الاندلس ، والى هذه الرغبة ارجع موقف مغيث من كل من موسى وطارق « ولكنه على كل حال لم يفز من ذلك بشيء ، لانه عاد الى الاندلس فيما بعد ليعيش في بلاطه وأملاكه ولكي ينجب الكثير من الابناء سيكون لهم شأن عظيم في تاريخ الاندلس » (٢٣٥) **رابعاً :** هناك احتمال ان يكون طارق قد عاد الى الاندلس ، وأنه سكن هذه البلاد في هدوء غطت عليه بعد ذلك الحداث الفتن التي تعرضت لها هذه المنطقة خلال عصر الولاة ، ويشير المقرئ الى وجود ذريته وعقبه بالاندلس ، وأن هؤلاء كانوا يفكرون ولاء طارق انكاراً شديداً (٢٣٦) وهكذا تنتهي قصة هذين البطلين بهذا الصمت والغموض (٢٣٧) وان ظل اسمهما خالداً في سجل المجد ، ما بقيت صفحات هذا السجل يطالعها باعجاب وفخر كل من الاعداء والاصدقاء .

استكمال فتح الاندلس على عهد عبد العزيز بن موسى .

عاد موسى الى المشرق بعد ان ترك ابنه عبد العزيز واليا على الاندلس ، واختار له مدينة اشبيلية لتكون مقراً له ، ولا تتوفر لدينا معلومات كثيرة عن عبد العزيز بن موسى ، رغم دوره الكبير في الفتح الاسلامي للاندلس ، ورغم كثرة ورود اسمه في المعونات التاريخية مثله في

= ان يصرف سلطان الاندلس الى طارق وكان مغيث قد تغص عليه فاستشار سليمان مغيثاً في تولية طارق ، وقال له : كيف أمره بالاندلس ؟ فقال : لو أمر أهلها بالصلاة الى أى قبلة شاءوا لتبعوه ولم يروا أنهم كفروا ، فعلت هذه المكيدة في نفس سليمان ، وبداله في ولايته فلقية بعد ذلك طارق ، فقال له : لبيتك وصفت أهل الاندلس بعصيانى ولم تضمر في الطاعة ما أضمرت . فقال مغيث : لبيتك تركت لى العليج فتركك لك الاندلس . .

(٢٣٥) حسين مؤنس : فجر الاندلس ص ١١٠ .

(٢٣٦) المقرئ : النفع ج ١ ص ٢٥٤ . حين حديثه عن موسى بن نصير يقول : فدعا مولى له كان على مقدمته يسمى طارق بن زياد . . . وقيل انه ايس بمولى لموسى ، وانما هو من صدف ، وقيل مولى لهم . وقد كان بعض عقبه بالاندلس يفكرون ولاء موسى انكاراً شديداً . وانظر كذلك عبد الرحمن الحجى في تاريخ الاندلس ص ١٢٨ .

(٢٣٧) العبادى : في التاريخ العباسى والاندلسى . دار النهضة ،

بيروت ١٩٧٢ ص ٢٨٥ .

ذلك مثل فاتح الاندلس الاول طارق بن زياد . فلا نعرف مثلاً عام مولده ولا نشأته ، ولا حتى دوره في فتوح المغرب ، أو قيادة السرايا التي كان يرسلها والده إلى مناطق السوس ، اللهم الا اشتراكه في القتال عند فتح قلعة « سجوم » وأن مروان حين تقدم لمبارزة أحد ملوك هذه القلعة قد ترك اللواء في يد عبد العزيز (٢٣٨) في الوقت الذي كان فيه مروان وعبد الله ابني موسى يقومان بدور بطولى هام في استكمال فتح المغرب وغزو البربر . فان السم عند العزيز بن موسى لا يبدأ في الظهور بصورة واضحة الا منذ انتقاله إلى الاندلس مع والده ، حيث رحل إلى جوار والده مع كل من أخويه عبد الأعلى ومروان ، ومعهم وجوه قريش ، وأشرف العرب والبربر (٢٣٩) .

وفي الاندلس نجد أن عبد العزيز يحتل مكان الصدارة في أكثر من عمل حربي فهو الذي يعهد إليه الوالد باخماد ثورة أهل اشبيلية حين خرجوا عن طاعة المسلمين ، ثم بعد ذلك يقوم بفتح لبلة وباجة (٢٤٠) كما يترد اسمه في كتاب الضلع الخاص بمنطقة قديم كما سبق أن طالعنا في الصفحات السابقة من هذا الكتاب ، ثم يدفع به والده إلى قمة مجده حين يعهد إليه بأمور الاندلس ليصبح بذلك أحد قادة الفتح الاسلامي لبلاد الاندلس بعد طارق وموسى ، وعلى يديه تختتم مرحلة الفتح (٢٤١) ، أو ليصبح أول ولاة الاندلس ومنظميها بعد الفتح (٢٤٢) .

-
- (٢٣٨) انظر القصة عند ابن قتيبة : الامامة والسياسة ج ٢ ص ٥٥ .
(٢٣٩) مجهول : ذكر بلاد الاندلس ج ١ ص ٩٩ . وانظر كذلك مقالة د . حسين مؤنس فيما نقله عز ابن الرقيق القيرواني ، مجلة العهد المصري للدراسات الاسلامية العدد الثامن اليه ص ١٢٩ .
(٢٤٠) ابن عذاري : البيان المغرب ج ٢ ص ١٧ ، وفجر الاندلس ص ٩٥ - ٩٦ وغيرهما .
(٢٤١) حسين مؤنس : محاضرات في تاريخ المغرب والاندلس ص ٢٤٠ ، وانظر ايضا Watt, M. : Historia de la Espana Islamica. p. 22.
(٢٤٢) ابراهيم بيضون : الدولة العربية في اسبانيا ص ١٧ .

بدأ عبد العزيز نشاطه في الاندلس اعتباراً من ذى الحجة عام ٩٥ هـ بعد أن غادره والده وأخواه وتركوا لديه مهمتين أساسيتين كان عليه أن يواجههما : الأولى استكمال فتح الاندلس . والثانية هي استكمال تنظيمه إدارياً ، ويحدد الحميدى مهمة عبد العزيز في العبارات التالية : « واستخلف على الاندلس - أي موسى - عبد العزيز بن موسى ، وترك معه من العساكر ووجوه القبائل من يقوم بحماية البلاد ، وسد الثغور وجهاد العدو » (٢٤٤) .

لقد كان عبد العزيز قائداً ممتازاً « وكان مثل أبيه وجده خيراً فاضلاً » (٢٤٥) ولذلك فإن فترة حكمه لبلاد الاندلس رغم قصرها تعد من الفترات الهامة والأساسية في استقرار المسلمين ونجاحهم في شبه الجزيرة الأيبيرية .

نهض عبد العزيز لاداء رسالته في استكمال فتح الاندلس ، وإن كانت المدونات التاريخية لا تحدد لنا بدقة الأعمال التي قام بها بعد عودة والده ، وتخلط بين نشاطه وهو في الولاية ، ونشاطه أثناء وجود الوالد على أرض الاندلس . فيجمل صاحب أخبار مجموعة عمل عبد العزيز بقوله : « وقد افتتح في ولايته مدائن كثيرة (٢٤٦) . ولا يزيد قول المقرئ عن أنه « ضبط سلطانها - أي الاندلس - وضم نشرها ، وسد ثغورها ، وافتتح في ولايته مدائن كثيرة مما كان قد بقي على أبيه موسى منها » (٢٤٧) .

ومن المؤكد أنه استكمل فتح غرب الاندلس ، كما أنه من المحتمل أن يكون قد عاد إلى شرق الاندلس ، ومن هناك صعد بقواته إلى الشمال الشرقي حيث أخضع إقليم قطلونيا خضوعاً كاملاً ، ويرى المؤرخ

(٢٤٤) الحميدى : جذوة المقتبس ، ص ٤ - ٥ .

(٢٤٥) اسماعيل بن إبراهيم : أين أمير المؤمنين .

كراس في التاريخ الاندلسي . مخطوطة بمكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة

المتورة رقم ٢٥٣٦ ، الورقة ٢٠ ظهر .

(٢٤٦) أخبار مجموعة ، ص ٢١ .

(٢٤٧) المقرئ : نفح الطيب ج ١ ص ١٢٨١ .

الاسباني سواريث أنه قام بحملات جديدة ، وإن كانت المعلومات التي لدينا لا تسمح لنا أن نحدد بدقة خط هذه الحملات أو تاريخها ، ومن المحتمل جدا أنه خلال عامي حكمه قد خضعت قطلونيا Catalunya كما توغل المسلمون في اشتورياس Asturias حيث ترك هناك قائدا يعرف باسم « مونوسا » الذي اتخذ مقر إقامته في مدينة خيخون Gijon « (٢٤٨) .

ويخلص الدكتور السيد عبد العزيز سالم نشاط عبد العزيز الحربي بأنه ما كاد يتولى إمارة الاندلس في ذى القعدة سنة ٩٥ هـ ، حتى قام بحملة لاستكمال فتح بلاد غرب الاندلس وأنه قام في سنة ٧١٤ م بافتتاح يابرة Evora وشنترين Santarem وقلمرية Ciembra وظل متجها إلى أقصى المغرب لكي يلتقى مع الفرق الإسلامية الأخرى في أستورقة Astorga ، ويعتمد على فرنسيسكو كوديرة في قوله : « أنه طالع مخطوطا عربيا جاء فيه أن عبد العزيز خرج مع الناس في حملة حتى بلغ أربونة » وهي أول مرة يرد فيها خبر صريح عن وصول المسلمين إلى هذه الجهات ، ويورد ما يؤكد أن عبد العزيز قد أستأنف القتال مع البشكنس Los Vascos مستندال على آراء سافدرا وكذلك على نص ورد في كتاب تاريخ علماء الاندلس لابن الفرضي بأنه وجدت شهادة على بن رباح ، وحنش الصنعاني في عهد بنبلونة ، ولما كانت هذه المدينة قد سقطت في أيدي المسلمين قبل عام ٧١٨ م ، وهو عام وفاة حنش فيحتل أن يكون فتحها قد تم في عهد عبد العزيز لأن موسى كان قد أوغل في بلاد البشكنس « حتى أتى قوما كالبهائم » وذلك لأنهم كما يقول الحميري « يتكلمون بالشقية لا يفهمون » وبقيصد بذلك أهل بنبلونة (٢٤٩) .

ويبدو أن فتوحات عبد العزيز في الاندلس كانت من الأهمية بحيث يرى أنها جديرة بأن يكتب بأخبارها إلى والده وهو في الطريق إلى

Suarez, Fernandez, : Op. cit, p. 12.

(٢٤٨)

وانظر أيضا مونثوغمرى وات

Watt, M. Op. cit., p. 22.

(٢٤٩) عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم ص ١٠٩ - ١١٢ ،
والمصادر التي اعتمد عليها .

دمشق حيث تشير المصادر الى أن موسى وهو في طريقه الى المشرق قد نزل بالقرب من القيروان في مكان يعرف « بقصر الماء » ثم قعد مجلسه وجاءته جيوش العرب من القيروان ، فمنهم من سار معه ، ومنهم من تخلف مع ابنه عبد الله بأفريقية . فقال لاصحابه : أصبحت اليوم في ثلاث نعم : منها كتاب أمير المؤمنين بالشكر والثناء ثم كتاب ابنى عبد العزيز يصف ما فتح الله عليه في الاندلس بحمد الله ، فقاموا اليه فهنوه وأما الثالثة » (٢٥٠) .

ومن ذلك نتبين ان عبد العزيز قد أنفق معظم أيام ولايته في استكمال فتح شبه الجزيرة الاندلسية « لان الفاتحين الكبارين قضيا على دولة القوط ، ووصلا الى الحدود من كل ناحية ، غير أنه بقيت بعد ذلك أجزاء كاملة من شبه الجزيرة في شرقها وغربها دون فتح ، وكان لابد من استكمال فتحها ، وقد قام بهذه المهمة عبد العزيز بن موسى ، لذلك فنحن نعتبره ثالث فاتحى الاندلس ، وتعتبر فترة الولاة تبدأ بانتهاء ولايته سنة ٩٧هـ / ٧١٦ م (٢٥١) .

أما الجانب الآخر الذى لعب فيه عبد العزيز دورا خالدا على التاريخ فانه يكمن في كفاءته الادارية ، وحسن سياسته النابعة من روح الاسلام والتي تمكن بفضلها من أن يجذب المسلمين كثيرا من مقاومة الاسبان العسكرية ، التي كان يمكن أن تظهر نتيجة احساسهم بظلم الفاتح الجديد ، لقد عمل عبد العزيز منذ البداية على التقرب من الشعب الاسباني ، وجعله يشعر بمدى التغير الهائل في معاملة الحكام ، اذا ما قارن المسلمين بسابقيهم من القوط . بدأ عبد العزيز نشاطه هذا بزواجه من « ايجيلونا Egilona » أرملة الملك القوطى السابق لذريق ، وقتله في ذلك كبار رجال الجند ، وكذلك الجند المسلمون وكانت أرملة

(٢٥٠) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ١ ص ٤٤ ، وانظر ايضا نفس الرواية في النص الذى نقله د . مؤنس عن الرقيق القيروانى بمجلة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية ص ١١١ - ١١٢ .
(٢٥١) حسين مؤنس : محاضرات في تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٢٤٠ .

الملك القوطي ، وكنيتها أم عاصم قد صالحت على نفسها وأموالها وقت الفتح وباعت بالجزية وأقامت على دينها في ظل نعمتها إلى أن نكحها الأمير عبد العزيز فحظيت عنده (٢٥٢) وسكن بزوجته في مسكن له اتخذ في جانب من جوانب كنيسة أسماها ابن القوطية « ربينة » (٢٥٣) وابن عذارى « ربينة » (٢٥٤) كما اتخذ مسجدا له عرف في المصادر باسم مسجد ربينة (٢٥٥) .

وكان لذلك اثره في التقريب بين الشعبين المسلم والاسباني وخلص علاقاتهما من الكراهية ، ويعترف بذلك كثير من المؤرخين الاسبان ، فيشير بعضهم إلى « تسامح المسلمين وأعطائهم الحرية للاسبان في شعائهم وعدم اجبارهم على اعتناق الاسلام ، كما أن المسلمين عاملوا المهزومين معاملة انسانية ، وتركوا لهم الحرية الكاملة في شئون أرضهم وعلاقاتهم (٢٥٦) » .

(٢٥٢) القرى : النفج ج ١ ص ٢٨١ ، وانظر أيضا ابن الاثير : الكامل ج ٥ ص ٢٢ ، وابن القوطية : افتتاح الاندلس ص ٣٧ ، ويسمى ابن عذارى المرأة ملك القوط باسم « أيلة » انظر البيان المغرب ج ٢ ص ٢٣ ، كما أن ابن عذارى ينقل عن الواقدي أن هذه المرأة لم تكن زوجة لأزريق وإنما هي ابنته ، وأنها جائت من الدنيا بما لا يوصف انظر ص ٢٤ .

(٢٥٣) حين يتحدث ابن القوطية عن مصرع عبد العزيز بن موسى يقول : « في كنيسة ربينة ، واذ نكح امرأة من القوط تسمى : أم عاصم كان يسكن معها في هذه الكنيسة ، وكان قد ابتنى بها المسجد الذي قتل فيه وكان دمه هناك إلى عهد قريب » . افتتاح الاندلس ص ٣٧ . (٢٥٤) ينقل ابن عذارى عن الرازي قوله : لما قفل موسى بن نصير استخلف ابنه عبد العزيز على الاندلس ، فضبط سلطانها ، وسدد ثغورها وافتتح مدائن كثيرة ، وكان خير الولاة ، إلا أن مدته لم تطل لوثوب الجند عليه وقتلهم له ، لاشياء نقومها عليه ، وكان قتله صدر رجب من عام ٩٧ هـ بمدينة اشبيلية ، بمسجد ربينة . « البيان المغرب ج ٢ ص ٢٤ » وانظر كذلك تاريخ المسلمين وآثارهم ص ١١٢ - ١١٣ .

(٢٥٥) انظر ابن القوطية ص ٣٧ ، وتاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس ص ١١٣ .
(٢٥٦) Suarez, Fernandez, L. Op. cit., p. 13.

ومع ما يتميز به المؤرخ الأسباني Villa-Real من روح التعصب الشديد ، والانحياز الكامل إلى جانب الأسبان إلا أنه حين يتحدث عن فترة عبد العزيز بن موسى فإنه يجد نفسه مضطرا إلى الاعتراف بأن الوالي الذي اتخذ من أسبيلية بلاطاً له قد « كرس جهده من أجل أن تعود الحياة في الأندلس إلى مجراها الطبيعي - بعد اضطرابات الفتح - وأنه نجح في ذلك إلى حد بعيد ، فقد أعاد تنظيم الإدارة في البلاد بطريقة رائعة ، وعين جباة لجمع الضرائب ، كما أحاط نفسه بجماعة من كبار القوم تساعد في عمله ، وترك مهمة العدالة والقضاء إلى أهل العدل والقضاة » .

وتزوج عبد العزيز من الحسناء القوطية Egilona أرملة الملك القوطي لذريق وكناها بأمر عاصم ، وكان لهذا الزواج أثره الطيب في المعاملة الحسنة التي لقيها المسيحيون من المسلمين في الأندلس ، فقد تمتع المسيحيون بدرجة كبيرة من التسامح الديني ، وعوملوا معاملة أهل الذمة ، واحتفظوا بكنائسهم ورجال دينهم (٢٥٧) .

أما مونتجومري وات فإنه يرى أن عملية التشتت والتفكك التي أصابت البلاد بسبب الفتح ، قد عادت إلى التماسك والترابط تحت الحكم الإسلامي وأنه قد تم وضع شبكة إدارية كاملة مع كل ما يسند لها من القوة العسكرية وغطت هذه كل شبه الجزيرة الأيبيرية تقريباً ، مع درجة عالية من التحكم الكفء مارسته السلطة الإسلامية المركزية في دمشق ، حتى أنه يمكننا القول بكل تأكيد ، بأن سلطة خلفاء المسلمين على الأندلس قد أصبحت أقوى كثيراً من السلطة التي كان يمارسها الملوك القوط في فترة حكمهم الأخيرة (٢٥٨) .

نهاية عبد العزيز :

تعرض عبد العزيز بن موسى لنهاية مأساوية على يد جماعة من كبار رجال جنده منهم حبيب بن أبي عبده الفهري ، وزياد بن النابغة التميمي حيث تريضوا به حين خروجه لاداء صلاة الفجر وقتلوه ، وحملوا رأسه

الى دمشق (٢٥٩) وتقبّان الآراء تباينا شديدا حول الاسباب التى دفعت
بهذه الجماعة الى ارتكاب هذه الجريمة ، وقتل الامير عبد العزيز بن
موسى بن نصير ، ونشير الى أهم الآراء فى هذا المجال .

أولا : الشك الذى تمكن من قلوب قادة الجند بأن عبد العزيز قد
تنصر ، أو على الأقل قد أصبح طيعا سهلا فى يد زوجته الحسنة
وتروى المصادر التاريخية فى ذلك قصصا هى أقرب الى الخيال
منها الى الحقيقة ، وكيف أن هذه المرأة قد حملته على أن يجعل
الناس يسجدون له حين يدخلون عليه ، وألبسته التاج على رأسه
تشبها بملوك القوط (٢٦٠) .

(٢٥٩) ابن عبد الحكم : فتوح أفريقية والاندلس . ص ٨٤ - ٨٥ ،
ابن القوطية : افتتاح الاندلس ص ٣٦ ، وأخبار مجموعة ص ٢٠ ،
الحميدى : الجذوة ص ٤ - ٥ ، الضبى : بغية الملتبس ص ٣٨٦ ،
ابن الاثير : الكامل ج ٤ ص ١٢٤ ، الأرازمى : المعجب ص ٢٣ ،
المقرئ : نفح الطيب ج ١ ص ٢٨٠ وما بعدها .

(٢٦٠) ينقل ابن عذارى عن الواقدي : « أن التى نكح بعد خروج أبيه
هى ابنة لذريق فجاءته من الدنيا بما لا يوصف ، فلما دخلت عليه
قالت له : ما لى لا أرى مملكتك يعظمونك ، ولا يسجدون لك ، كما
كان أهل مملكة أبى يفعلون له ، فأمر بباب فنقب فى ناحية قصره
وجعله قصيرا ، فكان يأذن للناس منه ، فيدخل الداخل منكسرا
رأسه قبالة لقصر الباب ، وقد جعل لها مجلسا ، تنظر منه الى
الناس اذا دخلوا عليه من حيث لا يرونها ، فلما رأتهم على ذلك ، ظننت
أنهم يسجدون له . فقالت لعبد العزيز : الآن قوى ملكك « فبلغ الناس
ما أراد بذلك الباب فثار عليه حبيب بن أبى عبده الفهرى ٠٠٠ » ج ٢
ص ٢٤ ، وانظر رواية ابن الاثير حول قضيتى السجود ، وليس التاج
فى كتابه الكامل ج ٥ ص ٢٢ .

أما بالنسبة لوضع التاج على الرأس فيقول ابن عذارى أيضا وتزوج
بعد خروج أبيه أم عاصم امرأة رزريق (واسمها أيلة) وسكن معها
بأسبيلية ، فلما دخل بها قالت له : « ان الملوك اذا لم يتوجوا ،
فلا ملك لهم ، فلو عملت لك مما بقى عندى من الجوهر والذهب تاجا ؟
» فقال لها ليس ذلك فى ديننا « فقالت له : « ومن اين يعرف أهل
دينك ما أنت فيه فى خلوتك ؟ » فلم تنزل به حتى فعل فبينما هو ذات =

ثانيا : أن الخليفة سليمان بن عبد الملك هو الذي أوعز إلى الجند بالتخلص من عبد العزيز خشية تهرده ، أو أن يعمد إلى الاستقلال بالاندلس نتيجة لما حدث لوالده موسى بن نصير ولذلك نرى أن ابن القوطية يربط بين الحدثين ربطا مباشرا حيث يقول : « فلما صار الامر إلى سليمان حبس موسى بن نصير وأغرمه ، وعهد إلى خمسة نفر من وجوه العرب بالاندلس بقتل ابنه عبد العزيز منهم حبيب بن أبي عبده الفهري ، وزياد بن النابغة التميمي مقصدوا إليه . . . (٢٦١) » .

= يوم جالس معها ، والتاج على رأسه ، إذ دخلت عليه امرأة كان قد تزوجها زياد بن النابغة التميمي ، من بنات ملوكهم فعاينته والتاج على رأسه . فقالت لزياد « ألا أعمل لك تاجا ؟ » فقال لها : ليس في ديننا استحلال لباسه ، فقالت له ودين المسيح ، انه على رأس ملوككم وأمامكم » . فاعلم بذلك زياد حبيب بن أبي عبده ، ثم تحدثا بذلك حتى علمه خيار الجند ، فلم يكن لهم هم الا كشف ذلك حتى رأوه عيانا . فقالوا تنصر « ثم هجموا عليه ، فقتلوه » . ج ٢ ص ٢٣ - ٢٤ . ويضيف ابن عذاري قائلا : واكثر الناس على أن هذه الحكاية لا تصح « ونضيف أن أكبر دليل على وضعها صعوبة التفاهم اللغوي في ذلك الوقت بين النساء العجم وبين رجال الجيش الاسلامي في تلك الفترة البادرة جدا من التاريخ الاندلس ، ثم تلك المصادفة التي تجعل من زوجة زياد ، وهي من بنات الملوك هي التي تدخل على عبد العزيز ومعه امرأته ، وكيف سمح عبد العزيز كمسلم لاهرة أجنبية بالدخول عليه وهو في خلوته مع امرأته ؟ » .

(٢٦١) ابن القوطية : افتتاح الاندلس . ص ٣٦ . وذكر ابن عذاري نقلا عن الرازي « أن سليمان بعث إلى الجند يأمرهم بقتله عند سخطه على أبيه ، وأنهم لما قتلوه حزوا رأسه ، وقدم به على سليمان حبيب بن أبي عبده الفهري ، فقبل أنه عرض الرأس على والده وهو في محنته ، فجلد لحر المصيبة ، وقال هنيئا له الشهادة ، قتلتهم والله صواما قواما ! » . ج ٢ ص ٢٤ . وانظر ايضا رواية الضبي في بغية المتوس ص ٣٨٦ ، وابن الفرضي : تاريخ علماء الاندلس ص ٢٧٦ . ورواية ابن الاثير : الكامل ج ٥ ص ٢٢ . أما ابن قتيبة فيما ينسب إليه من كتاب الامامة والسياسة فانه أكثر الروايات تفصيلا في هذا =

لكن الحقيقة التاريخية التي تعرض لها عدد من الباحثين تثبت أن اتهام سليمان بن عبد الملك بالتورط في تدبير مقتل عبد العزيز ، إنما هو اتهام مبالغ فيه ، بل إن هناك من النصوص التاريخية التي تثبت عدم علم الخليفة بما حدث بل ورفضه لهذا الاثم ، وعمله على محاسبة الضالعين فيه ، ولدينا في هذا المجال نصان صريحان نقبين من دراستهما بعد سليمان عن هذه القضية . الأول من هذين النصين أنه حين الخلاف بين موسى بن نصير وسليمان بن عبد الملك ، ومطالبة الخليفة سليمان لموسى بمبالغ كبيرة من المال ، اشترط ابن نصير للوفاء بذلك أربعة شروط كان منها : لا تعزل عبد الله بن موسى عن أفريقية ، وجميع عمله سنتين ، (٢٦٢) وأن كل ما جاء عبد الله بأفريقية ، وعبد العزيز بالاندلس فهو لى فيما تراضيت عليه أمير المؤمنين فقال له سليمان : أما ما سألت من اقرار عبد العزيز وعبد الله على مكانهما فذلك لك » ثم يكتب نص القضية ، والاتفاق بينهما ، ويشهد على ذلك كل من ولدى الخليفة سليمان ، أيوب وداد ، وكذلك عمر بن عبد

= المجال ، وأن كان في روايته شيء من الأهمية ففي اشارته الى أن أن الجند الذين قتلوا عبد العزيز لم يكونوا من جند الاندلس ، وإنما كانت اقامتهم بالقبروان مع عبد الله بن موسى ، وكتب اليهم سليمان بما بلغه من نية عبد العزيز خلع طاعة الخلافة والاستقلال بالاندلس وطلب اليهم التوجه الى هناك للتخلص من عبد العزيز في نفس الوقت الذى كتب فيه الى عبد الله بن موسى بضروة ايفاد هؤلاء النفس الى الاندلس لمساعدة عبد العزيز في الجهاد ضد العدو ، وكتب الى عبد العزيز يأمره بحسن استقبال هؤلاء وأن يعتمد عليهم في الجهاد . وحين وصل هؤلاء الى الاندلس أحسن عبد العزيز لقاءهم وأوسع لهم في مجلسه . وأشرك هؤلاء في مؤامرتهم أيوب بن حبيب ابن أخت موسى ، فقبل وباعوه على ذلك ، ثم كهنوا له في صلاة الفجر وضربوه ، وأصبح الناس فأعظموا ذلك ، فأخرجوا كتاب سليمان بذلك ، فلم يقبله الناس » . انظر ج ٢ ص ٧٩ - ٨٠ .

(٢٦٢) ويعنى هذا أيضا بقاء عبد العزيز لنفس المدة ، لأن الاندلس كانت حتى ذلك الوقت جزء من ولاية أفريقية التي كان يتولاها عبد الله بن موسى ، والمالفت للنظر هنا أن مقتل عبد العزيز كان بعد أكثر من سنتين .

العزیز رضى الله عنه ، وغيرهم من كبار المسلمين (٢٦٣) .
أما النص الثاني فهو أنه « لما بلغ سليمان مقتل عبد العزيز بن موسى شق ذلك عليه ، فولى أفريقية عبيد الله بن زياد لقريش - لا أدري لمن من قريش - وإلى أفريقية كان أمر الاندلس وطمجة وكل ما وراء أفريقية وأمره سليمان فيما فعله حبيب بن أبى عبده ، وزیاد بن النابغة من قتل عبد العزيز بأن يتشدد في ذلك ، وأن يقفلهما إليه ومن شركهما في قتله من وجوه الناس » (٢٦٤) .

ويبقى الاحتمال الذى يمكن أن نطمئن إليه ، وهو أن مقتل عبد العزيز كان نتيجة لمؤامرة تم تدبيرها وتنفيذها في الاندلس ، بعيدا عن الخليفة سليمان ، ربما لسوء علاقة نشبت بين عبد العزيز وكبار رجاله (٢٦٥) ، وربما لما في طبيعة النفس البشرية من نقص أحيانا أو رغبة في انتهاز فرصة أحيانا أخرى . إذ ليس من المستبعد أن يكون بعضهم قد نفس عليه مكانته ، أو أن تكون أخبار ما وقع بين أبيه وبين الخليفة في دمشق قد وصلت إلى الاندلس محرفة ومبالغ في تصويرها ، فحركت عواامل الطمع في الملك ، وإرضاء الخليفة ، بعض هؤلاء الجند ، وتصوروا أنهم يتصرفهم هذا إنما يتقربون إلى الخليفة ، ومن ثم ارتكبوا جريمتهم ، أو أن هذه الأمور قد تفاعلت

(٢٦٣) انظر الامامة والسياسة ج ٢ ص ٧٦ - ٧٧ .
(٢٦٤) أخبار مجموعة ص ٢٢ ، ويرى د . عبد العزيز سالم أن « أما ما قيل من أن سليمان هو الذى دبّر قتله ، وهو الذى دس عليه من قتله ، وقدم برأسه عليه فأمر بعيده الاحتمال ، فلو كان سليمان هو المدبر لهذه الجريمة ، لكان قد بادر بتنصيب وال مكانه . ولما مكث أهل الاندلس شهورا لا يجمعهم وال ، حتى اجتمعوا على أيوب بن حبيب اللخمى ، ولما شق على الخليفة نبأ مقتله ، فأمر وإلى أفريقية عبد الله ابن يزيد بالتحقيق في مقتله ، والقبض على قتلته وهم حبيب بن أبى عبده ، وزیاد بن النابغة ومن شاركهما في قتله ، ولما أسف على قتله بعد أن ثبت أنه براءته مما اتهم به » . تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس ص ١١٥ .

(٢٦٥) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين ص ١١٣ .
(م ١٣ - الفتوح الاسلامي للاندلس)

في نفوسهم ، بالإضافة الى ما قد يدور بخلدهم من شك في بعض تصرفات
الامير عبد العزيز غير الملائمة لهواهم ، فدبروا مقتله حيث يذكر الضبي :
بأن الجند اجتمعوا على قتله لامور نقوموها عليه وبلغتهم عنه ، فثاروا
به ، وقتلوه ، وخرجوا برأسه الى سليمان (٢٦٦) . وفي هذه الحالة
كان من الضروري ايجاد مبرر معقول لتصرفهم ، ولذلك ليس من المستبعد
المبالغة في تصوير علاقة الامير المسلم بزوجه المسيحية الحسناء ،
وخضوعه لها ، وابتكار قصة الباب المتخفض ، ولبس التاج ، والوصول
بتلك المبالغة الى درجة اتهامه « بالتنصر » ومن ثم وجوب القتل
عليه (٢٦٧) .

ومن ناحية أخرى يمكن أن نضيف الى هذه العوامل ، التحليل
المقنع الذي أرتآه الدكتور عبد العزيز سالم « من أنه ولا بد أن عبد العزيز
ابن موسى قد أظهر أمام أحد قواده شيئاً من الامتعاض على تصرف
ال خليفة سليمان نحو أبيه ، أو أنه الضطر رغماً عنه الى التنفيس عن
نفسه بكلام خفيف أساء الى الخليفة ، فتناقل الناس هذا الكلام
محرراً مشوها ، فوصل الى رؤساء الجند ٠٠٠ ٠٠٠ فأجمعوا على
قتله غيرة على الخلافة الاموية ثم أبلغوا الخليفة بمقتله بسبب
خروجه عليه (٢٦٨) .

(٢٦٦) الضبي : بغية المتמים ص ٢٨٦ (ترجمة رقم ١٠٩٨) . وكذلك
يقول المقرئ في بعض رواياته « ألا أن مدته لم تطل لو ثوب الجند عليه
لأشياء نقوموها عليه » . النفح ج ١ ص ٢٨١ .
(٢٦٧) انظر رواية أخبار مجموعة ص ٢٠ ، فبعد أن يروى قصة
التاج ومعرفة زياد بن حبيب بذلك « فلم تكن له همة الا كشف ذلك
حتى رآه عياناً ورآه أهله صدقاً ، فقالوا « تنصر » ، ثم هجموا عليه
فقتلوه » .

(٢٦٨) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين ص ١١٤ . الذي
لا يستبعد أيضاً أن يكون القتل بدافع من الغيرة والحسد لما صار
عليه أولاد موسى من تفوق وارتفاع مكانة ، فقتلوه ، وأختلفوا هذه الروايات
كذباً . انظر نفس الصفحة الحاشية رقم (٣) . وأعيد القارىء الكريم .

طويت بذلك صفحة من صفحات المجد والعظمة التي سجلها أبطال
فتح الاندلس الثلاثة طارق بن زياد وموسى بن نصير ، وعبد العزيز بن
موسى . بعد أن أدى كل منهم دوره كاملا ، ووفى برسالتة ، وضرب مثلا
عاليا في تثبيت جذور الاسلام في أركان الاندلس ، ووضع الاساس المتين
لحضارة اسلامية شامخة ، شاء الله سبحانه وتعالى أن ترتفع الى ذروة
عالية على هذه الارض البعيدة من ديار الاسلام . رحم الله أبطال
الفتح الاسلامي للاندلس ، وبارك في المجاهدين المغاوير الذين حملوا راية
الاسلام الى هذه الاصقاع البعيدة .

أتوقف عند ذلك الحد ، مع علمي بوجود قضايا أخرى تستحق المناقشة
والإشارة آملا استكمال النقص في مناسبة أخرى ان شاء الله تعالى .
د . محمد عبد الحميد عيسى صقر

= الى تلك العبارات الى نقلها المقرئ عن الحجارى حين أشادته بخلال
وسجاييا موسى بن نصير « الا أنه كان يغلب عليه ما لا يكاد رئيس
يسلم منه ، وهو الحقد والحسد والمنافسة التي لا تخلو من ذلك »
النفح ج ١ ص ٢٨٦ . وهذا بالضبط هو ما أصاب عبد العزيز .

مراجع الكتاب

المراجع العربية :

● ابراهيم بيضون «الدكتور»

: الدولة العربية في أسبانيا ، من الفتح حتى سقوط الخلافة ٩٢ - ٤٢٢ هـ / ٧١١ م
٢٠٣١ م : دار النهضة العربية بيروت ،
١٩٨٠ م .

● ابراهيم العدوي «الدكتور»

: موسى بن نصير ، مؤسس المغرب العربي ،
العدد ٦٨ ، من سلسلة أعلام العرب ،
القاهرة .

● ابراهيم ياسر نخضر الدوري

: عبد الرحمن الداخل في الاندلس وسياسته
الخارجية والداخلية ، مطبوعات وزارة
الثقافة والاعلام بالعراق ، بغداد ، ١٩٨٢ م
: عز الدين ، ابو الحسن علي بن محمد بن
عبد الكريم بن الاثير الجزري المتوفى
٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م .
: الكامل في التاريخ : طبعة دار الفكر العربي
بيروت ، ١٩٨٣ م .

● ابن الاثير

: اللباب في تهذيب الانساب ، طبعة دار
صادر ، بيروت ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .
: أبو القاسم محمد بن علي بن حوقل
النصيبى ، ٣٢٢ هـ / ٩٣٤ م .
كتاب صورة الارض ، منشورات دار مكتبة
الحياة ، بيروت ، ١٩٧٩ م .

● ابن حوقل

● ابن الخطيب

: لسان الدين محمد بن عبد الله بن سعيد
السلماىى الغرناطىى ، ت ٧٧٦ هـ / ١٣٧٤ م
الاحاطة فى اخباف غرناطة ، تحقيق محمد
عبد الله عفاىى ، الطبعة الثانية ،
القاهرة ، ١٩٧٣ م .

● ابن الخطيب

: اللوحة البدرية فى الدولة النصرىة ،
مختصارات دار الافاق الجديدة ، بيروت
١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .

● ابن خلدون

: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمى
المغربى المتوفى ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م .
تارىخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر ،
ودىوان المبتدأ والخبر فى ايام العرب والعجم
والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان
الاكبر ، طبعة القاهرة ، ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م .

● ابن خلكان

: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد ،
المتوفى ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م .
وفىات الاعيان ، تحقيق الدكتور احسان
عباس ، دار الثقافة ، بيروت .

● ابن الرقيق

: ابراهيم الرقيق القىروانى ، توفى بعد
٤١٧ هـ / ١٠٢٦ م .
تارىخ افريقىة والمغرب ، تحقيق المنجى
الكعبى ، تونس ، ١٩٦٨ م .

● ابن سـعـيد

: على بن سعيد الاندلسى المتوفى ٦٧٣ هـ /
١٢٧٤ م .
راىات المبرزىى ، تحقيق نعمان القاضى نشر
المجلس الاعلى للشئون الاسلامىة ،
القاهرة ١٩٧٣ م .

● ابن سسماك العاملي

: أبو القاسم محمد بن أبي العلاء محمد بن
سسماك المالقي ، النصف الثاني من القرن
الثامن الهجري - الرابع عشر الميلادي .
الزهرات المنثورة في نكت الأخبار الماثورة
دراسة وتحقيق الدكتور محمود علي مكي ،
منشورات المعهد المصري للدراسات الإسلامية
بمديرد ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م .

● ابن الشباط

: محمد بن علي بن محمد التوزري المصري ،
ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م .
صلة السمط وسمة المرط ، القطعة المنشورة
ضمن كتاب تاريخ الاندلس لابن الكردبوس ،
تحقيق الدكتور أحمد مختار العبادي ،
مطبوعات المعهد المصري للدراسات الإسلامية
بمديرد ، ١٩٧١ م .

● ابن عبد الحكم

: عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم ،
١٨٧ - ٢٥٧ هـ / ٨٠٣ - ٨٧١ م .
فتوح أفريقية والاندلس ، تحقيق عبد الله
أنيس الطباع ، مطبوعات دار الكتاب
اللبناني بيروت ، ١٩٦٤ م .

● ابن عذارى

: أبو العباس أحمد بن عذارى المراكشي ،
المتوفى ٦٩٥ هـ / ١٢٩٥ م .
كتاب البيان المغرب في أخبار الاندلس
والمغرب تحقيق كولان ، وليفي بروفنسال ،
دار الثقافة بيروت ، بدون تاريخ .

● ابن العماد الحنبلي

: أبو الفلاح عبد الحى بن العماد الحنبلي
المتوفى ١٠٨٩ هـ / ١٦٧٨ م .
شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، طبعة
دار السيرة ، بيروت ، ١٩٧٩ م .

● ابن الفرضي

: أبو الوليد عبد الله بن محمد يوسف

الأزدي ، المتوفى ٤٠٣ هـ

تاريخ علماء الاندلس ، الدار المصرية للتأليف

والترجمة ، ١٩٦٦ م

● ابن قتيبة

: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة

الدينوري

الإمامة والسياسة ، تحقيق طه محمد الزيني

مجلدان ، مؤسسة الحلبي ، القاهرة ،

١٩٦٧ م

● ابن الكردبوس

: أبو مروان عبد الملك ، المتوفى ٥٧٣ هـ /

١١٧٧ م

تاريخ الاندلس ، تحقيق دكتور أحمد مختار

العبادي ، منشورات المعهد المصري للدراسات

الإسلامية بمديرية ، ١٩٧١ م

● ابن ماجه

: أبو عبد الله محمد بن يزيد ، المتوفى

٢٧٣ هـ / ٨٨٥ م

تاريخ الخلفاء ، رواية أبي بكر السدوسي

عنه تحقيق محمد مطيع الحافظ ، منشورات

مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م

● أبو يوسف

: القاضي يعة ثوب بن ابراهيم ، المتوفى

١٨٣ هـ / ٧٩٨ م

كتاب الخراج ، مطبوعات دار المعرفة ببيروت ،

١٣٩٩ - ١٩٧٩ م

● أحمد بدر «الدكتور»

: دراسات في تاريخ الاندلس وحضارتها ،

من الفتح حتى الخلافة ، الطبعة الثانية ،

بدون تاريخ ومقدمتها كتبت بدمشق في

١٩٧٢/١٢ م

● أحمد ابراهيم الشريف

: دراسات في الحضارة الإسلامية ، دار الفكر

العربي ، القاهرة ، د ٠ ، المقدمة ، ١٩٧٦ م

« الدكتور »

● أحمد فكري :

: قرطبة في العصر الاسلامي ، مؤسسة
شباب الجامعة ، الاسكندرية ١٩٨٢ م .

« الدكتور »

● أحمد مختار العبادي :

: دراسات في تاريخ المغرب والاندلس ،
شباب الجامعة ، الاسكندرية ، ١٩٨٢ م .

● أحمد مختار العبادي

: في تاريخ المغرب والاندلس ، دار النهضة ،
بيروت ، ١٩٧٨ م .

● الادريسي

: الشريف الادريسي المتوفى ٥٦٠ هـ / ١١٦٤ م
نزهة المشتاق في اختراق الآفاق طبعة لين ،
١٩٤٨ م .

● اسماعيل بن ابراهيم

: ابن أمير المؤمنين كان حيا بعد ١١٨٧ هـ .
كراس في تاريخ الاندلس ، مخطوط بمكتبة
الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة رقم ٥٢٣٧ .

● البلاذري

: الامام أبي الحسن ، المتوفى ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م
فتوح البلدان ، مراجعة رضوان محمد
رضوان مكتبة الهلال ، بيروت ، ١٣٩٨ هـ -
١٩٧٨ م .

● حسن ابراهيم حسن « الدكتور »

: تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي
والاجتماعي ، الطبعة الثانية ، مكتبة
النهضة ، مصر ، ١٩٨٢ م .

● حسين مؤنس « الدكتور »

: رواية جديدة عن فتح المسلمين للاندلس ،
مجلة العهد المصري للدراسات الاسلامية
بمديرية العدد ١٨ ، ١٩٧٤ - ١٩٧٥ م .
الصفحات ٧٩ - ١٣٠ .

● **حسين مؤنس**

« الدكتور »

: فجر الاندلس ، الشركة العربية للطباعة
والنشر ، القاهرة ١٩٥٩ .

● **حسين مؤنس**

: محاضرات في تاريخ المغرب والاندلس ،
الطبعة الاولى ، القاهرة ١٩٨٠ .

● **الحميدى**

: محمد بن أبى نصر فتوح بن عبد الله الأزدي
المتوفى ٤٨٨ هـ .
جذوة المقتبس في ذكر ولاية الاندلس ، طبعة
الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٦ م .

● **خليل ابراهيم صالح السامرائى**

: الثغر الأعلى الاندلسى ، دراسة في أحواله
السياسية ٩٥ - ٣١٦ هـ ، طبعة جامعة بغداد ،
١٩٧٦ م .

● **الزركلى : خير الدين**

: الأعلام ، طبعة دار العلم للملايين ، بيروت
الطبعة الخامسة ، ١٩٨٠ م .

● **السيد عبد العزيز سالم « الدكتور »**

: المغرب الكبير « العصر الاسلامى » ، المجلد
الثانى سلسلة تاريخ المغرب الكبير ، دار
النهضة بيروت ، ١٩٨١ .

● **السيد عبد العزيز سالم**

: تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس ، من
الفتح العربى حتى سقوط الخلافة بقرطبة ،
دار النهضة العربية بيروت ، ١٩٨١ م .

● **سعيد عبد الفتاح عاشور « الدكتور »**

: أوربا العصور الوسطى ، الجزء الاول -
التاريخ السياسى ، الطبعة التاسعة ، مكتبة
الانجلو القاهرة ، ١٩٨٣ .

● السيد التناضوري « الدكتور »

: المغرب الكبير « العصور القديمة » المجلد
الأول من سلسلة تاريخ المغرب الكبير ، دار
النهضة ، بيروت ، ١٩٨١ م .

● السيوطي

: جلال الدين عبد الرحمن ، المتوفى ٩١١ هـ /
١٥٠٥ م .

تاريخ الخلفاء ، طبعة دار الفكر ، بيروت ،
١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م .

● شكري فيصل « الدكتور »

: حركة الفتح الاسلامي في القرن الأول ،
الطبعة الثالثة ، دار العلم ، بيروت ، ١٩٧٤ م

● شكيب أرسلان : الامير

: تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا
وايطاليا وجزائر البحر المتوسط ، منشورات
دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٧٤ م .

● شكيب أرسلان

: الحل السندسية في الاخبار والآثار
الاندلسية ٣ مجلدات ، مطبوعات دار مكتبة
الحياة ، بيروت د . ت .

● شكيب أرسلان

: خلاصة تاريخ الاندلس ، منشورات
دار الحياة بيروت ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .
أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة المتوفى ،
٥٩٩ هـ .

● الضبي

بنية الملتمس في تاريخ رجال أهل الاندلس
طبعة دار الكاتب العربي ، ١٩٦٧ م .

● الطاهر أحمد هكي « الدكتور »

: دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ

والفلسفة دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة

الاولى ١٩٨٠ م .

● **الطبرى** : أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى ، المتوفى

٣١٠ هـ / ٩٢٢ م .

تاريخ الامم والملوك ، دار الفكر للطباعة

والنشر ، بيروت ، ١٩٧٩ م .

● **عبد الجليل عبد الرضا الراشد**

: العلاقات السياسية بين الدولة العباسية

والاندلس فى القرنين الثانى والثالث

للحجرة مكتبة النهضة ، الرياض ، ١٣٨٩ هـ

- ١٩٦٩ م .

● **عبد الحليم عويس الدكتور**

: دراسة فى اجناس الحضارة الاسلامية

« البربر » مجلة كلية العلوم الاجتماعية ،

الرياض ، العدد الثالث ، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م

(٢٣٩ - ٢٥٦) .

● **عبد الرحمن على الحجى**

: التاريخ الاندلسى من الفتح الاسلامى حتى

سقوط غرناطة (٩٢ - ٨٩٧ هـ / ٧١١ -

١٤٩٢ م) ، دار القلم بيروت ، الطبعة

الاولى ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م .

● **المذرى** : أحمد بن أنس ، المتوفى ٤٧٨ هـ / ١٠٨٦ م .

: نصوص عن الاندلس ، تحقيق د . عبد

العزیز الاهوانى ، طبعة المعهد المصرى

للدراستات الاسلامية بمدرید ، ١٩٦٥ م .

● **على الجارم**

: العرب فى أسبانيا ، وهو كتاب « ستانلى

بول » الطبعة التاسعة ، دار المعارف ،

القاهرة ، د . ت .

● على حبيبة : « الدكتور »

: مع المسلمين في الاندلس ، الطبعة الثانية
دار الشروق ، جدة ، د . ت . المقدمة
١٩٧٢ م .

● مجهول

: أخبار مجموعة ، تحقيق لافوينتى دى
الكنترا ، طبعة مكتبة المثنى المصورة عن
طبعة مدينة مجريط (مدريد) ١٨٦٧ م .

● مجهول

: ذكر بلاد الاندلس ، تحقيق لويس
مولينا ، مجلدان ، طبعة المجلس الاعلى
للابحاث العلمية مدريد ، ١٩٨٣ م .

● محمد الخضرى « الشيخ »

: اتمام الوفاء في سيرة الخلفاء ، دار الفكر
بيروت ، بدون تاريخ .

● محمد الخضرى

: محاضرات في تاريخ الامم الاسلامية ، طبعة
المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ، ١٩٦٩ .

● محمد عبد الحميد عيسى : « الدكتور »

: تاريخ التعليم في الاندلس ، دار الفكر العربى
القاهرة ، ١٩٨٢ م .

● محمد عبد الحميد عيسى

: تعليق على « رواية جديدة عن فتح المسلمين
لاندلس للدكتور حسين مؤنس ، مجلة
المعهد المصرى للدراسات الاسلامية بمدير
العدد ١٩ ، ١٩٧٨ م . الصفحات ١٤١ -
١٤٤ .

● محمد عبد الحميد عيسى

: الحضارة الاندلسية : مرحلة التكوين ، مقالة
نشرت ضمن كتاب ندوة التاريخ الاسلامى

الوسيط المجلد الثاني ، دار المعارف ،
القاهرة ، ١٩٨٣ م الصفحات من ٢٦٣ -
٢٩٨ .

● محمد عبد الحميد عيسى

: فتح الاندلس : رواية متجددة ، مجلة
أوراق ، المعهد الاسباني العربي للثقافة
بمدريد ، العدد الخامس ، ١٩٨٣ م .
الصفحات ٧٩ - ٨٨ .

● محمد عبد الله عنان

: دولة الاسلام في الاندلس ، مكتبة الخانجي
القاهرة ، الطبعة الرابعة ، ١٣٨٩ هـ /
١٩٦٩ م .

● محمد علي حموده «الدكتور»

: تاريخ الاندلس : السياسي والعمراني
والاجتماعي دار الكتاب العربي ، القاهرة .
الطبعة الاولى ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٧ م .

● محمد علي المغربي

: عثمان بن عفان ، المجلد الثالث من أعلام
الصحابة ، جدة ، الطبعة الاولى ١٤٠٤ هـ /
١٩٨٤ م .

● محمد علي المغربي

: عمر بن الخطاب ، أمير المؤمنين ، المجلد
الثاني من سلسلة أعلام الصحابة ، جدة
الطبعة الاولى ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ .

● محمد محمد زيتون «الدكتور»

: الفتح الاسلامي لاندلس : دراسة
وتحليل ، مجلة العلوم العربية والاجتماعية ،
الرياض ، العدد الرابع ١٤٠٠ هـ /
١٩٨٠ م . الصفحات من (٣٠٣ - ٣٣١) .

● محمد محمد زيتون

: تحليل تاريخي لما يذكره المؤرخون عن موسى
ابن نصير في فتح الاندلس ، مجلة العلوم
العربية والاجتماعية الرياض ، العدد الثاني
١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م الصفحات من ٣٥٩ -
٣٦٨ .

● محمد الهادي العامري

: تاريخ المغرب العربي في سبعة قرون ،
تونس ١٩٧٤ م .

● المراكشي

: عبد الواحد ، المتوفى ٦٤٧ هـ / ١٢٤٩ م
: المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق
محمد سعيد العريان ، ومحمد العربي العلمي
الطبعة السابعة ، الدار البيضاء ، ١٩٧٨ م .

● المسعودي

أبو الحسن علي بن الحسين بن علي
مروج الذهب ومعادن الجوهر تحقيق محمد
محيي الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، بيروت
ق ٠ ت .

● المقري

: الشيخ أحمد بن محمد المقرئ التلمساني ،
المتوفى ١٠٤١ هـ / ١٦٣١ م .
نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ،
تحقيق احسان عباس ، ٨ مجلدات ، دار صادر ،
بيروت ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م .

● الوثائق

: مجلة دورية تصدرها مديرية الوثائق
الملكية بالمغرب ، المجموعة الاولى ، الرباط ،
١٩٧٦ م .

● اليعقوبي

: تاريخ اليعقوبي ، دار صادر ، بيروت ،
١٩٦٠ م .

المراجع الأفرنجية :

● **Anwar G. Chjne :**

Historia de Espana Musulmana, Traduccion Espnola del titulo Original « Muslim Spain History » and Culure, Càtedra. Madrid 1980.

● **Arranz Velarde; F :**

Lecturas de Historia de Espana y de la Civilizacion Espanola. Santander; 1935.

● **Lopez Anglado; Luis :**

Canto de Tarik «Poema de la Coquista» Instituto Hispano-Arabe de Cultura Madrid- 1984.

● **Suarez Fernandez ; Luis :**

Historia de Espana « Edad Media » Edicion Gredos-Madrid 1970.

● **Valdeavellano; Luis Garcia :**

Historia de las Instituciones Espanolas de los orgines al final de la Edad media. Revista Occidente. Madrid. 1968.

● **Vilar Pierre :**

Historia de Espana, 12ªEdicion, Barcelona, 1891.

● **Villa-Real; Francisco de Paula :**

Historia Critica de Espana. 2ª Edicion; Granada 1899.

● **Watt. Montgomery :**

Historia de Espana « Tra. Espanola de la Obra » History of Islamec Spain » Madrid 1982

الفهرست

الموضوع	الصفحة
الاستفتاح	٣
الاهداء	٥
اعتذار	٧
المقدمة	٩

الفصل الأول : الطريق الى الأندلس

١٧	١ - المغرب الاسلامى
١٧	- تمهيد
١٨	- المغرب قبل الفتح الاسلامى
١٩	- العصر الرومانى
٢١	- العصر الوندالى فى افريقية
٢٢	- العصر البيزنطى فى افريقية
٢٤	٢ - الفتح الاسلامى لبلاد المغرب
٢٦	- المرحلة الاولى
٣٠	- المرحلة الثانية
٣٤	- المرحلة الثالثة
٣٦	- المرحلة الرابعة
٤٠	- المرحلة الخامسة
٤٣	- المرحلة السادسة
٤٨	- المرحلة السابعة
٥١	- المرحلة الثامنة
٥٩	٣ - اسباب طول مدة الفتح الاسلامى للمغرب
٦٠	- الاحوال السياسية فى الدولة الاسلامية
٦٢	- بعد الميدان الافريقى
٦٣	- مساعدات البيزنطيين
٦٤	- اختلاف وجهات النظر بين قادة الفتح
	(م ١٤ - الفتح الاسلامى للأندلس)

الموضوع	الصفحة
عدم وجود قواعد ثابتة للمسلمين هناك	٦٥
طبيعة السكان في أفريقية	٦٦

الفصل الثاني : الأندلس ، الأرض والتاريخ

٧٣	● الأندلس قبل الفتح الاسلامي
٧٣	- جغرافية الأندلس
٧٦	- الأندلس قبل العصر الروماني
٧٩	- شبه الجزيرة في العصر الروماني
٨٢	- القوط في إسبانيا
٨٤	- أحوال الأندلس قبيل الفتح الاسلامي
٩٣	- قائمة باسماء ملوك القوط الغربيين
٩٦	● الفتح الاسلامي للأندلس
٩٧	- دوافع المسلمين وأسباب قيامهم بفتح الأندلس
١٠٦	- التمهيد لفتح الأندلس
١٠٨	- الاستعداد للفتح
١١٠	- طارق في الأندلس
١١٥	- معركة شذونة
١٢٣	- طارق بعد معركة شذونة
١٢٧	- فتح طليطلة
١٣٠	● موسى بن نصير في الأندلس
١٣٠	- أسباب عبور موسى الى الأندلس
١٣٢	- فتوح موسى في الأندلس
١٣٥	- لقاء طارق مع موسى بن نصير
١٤٢	- فتوحات طارق وموسى في الأندلس
١٥١	- فتح مناطق جنوب شرق وشرقي الأندلس
١٦٢	● العودة الى المشرق
١٦٩	- لماذا عاد طارق من الأندلس ؟
١٧١	- موكب النصر